الآيات الساطعة

في العصر الساطع

2274
.983
.313
v.1

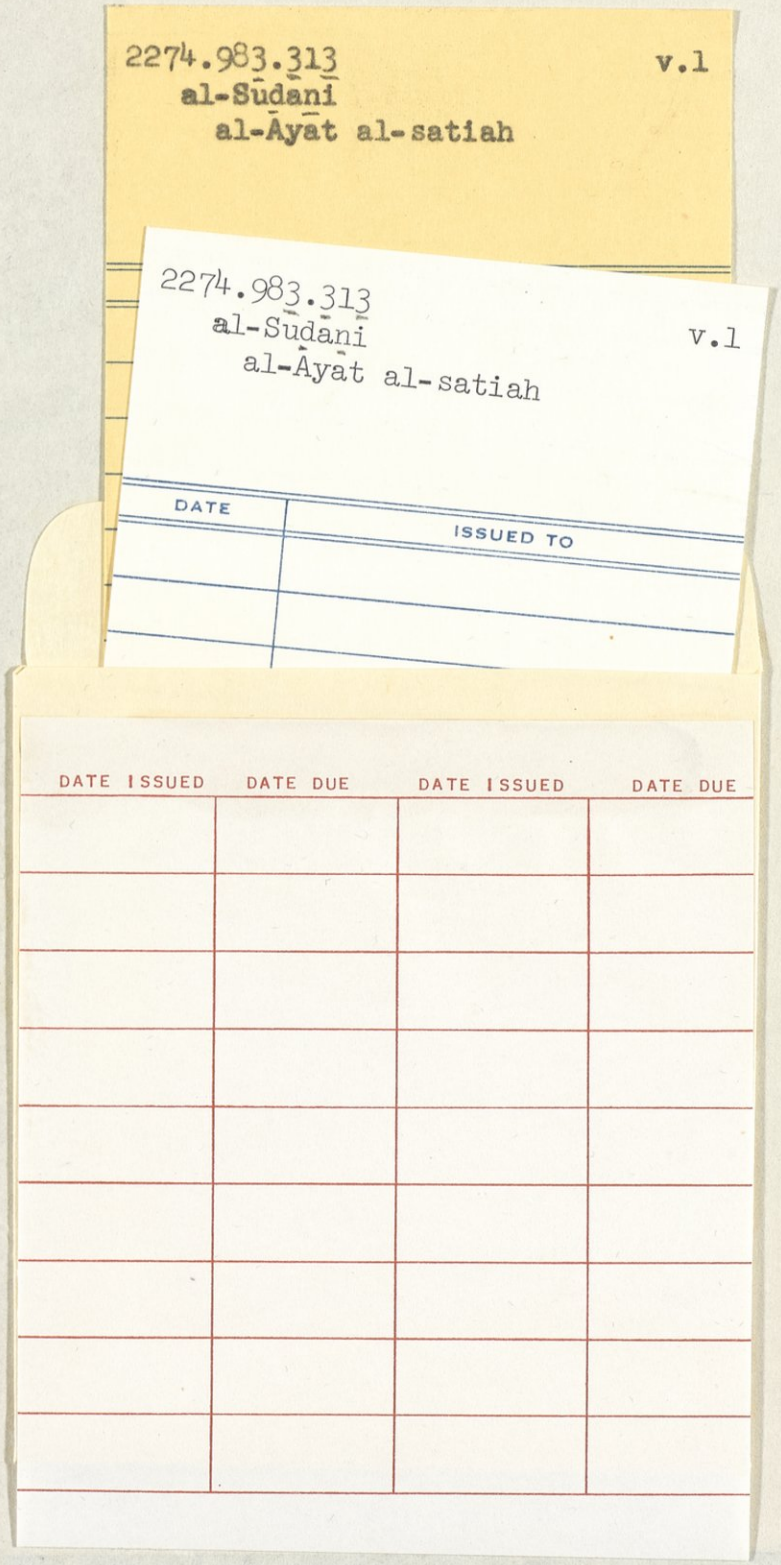

Princeton University Library
32101 072238247

al-Sūdānī, Mūsā Jaʿfar

الآيات الساطعة
في العبر النافعة

al-Āyāt al-sāṭiʿah

علمي ، ديني ، فلسفي ، أخلاقي

تأليف

الشيخ موسى الشيخ جعفر
السوداني

nf2

الجزء الاول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة النجف ـ النجف الأشرف
١٣٨٥ هجـ

2274
.983
313

V.1

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد النبيين وخاتم المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه المرضيين .

فقد كان يختلج في فكري من زمن بعيد ان ابرز كتيباً في الفقه والأصول نتيجة لمكاسبي في دراستي المستمرة دون أي فتور رغم ما قاسيت في النجف الأشرف من مرارات الدنيا خصوصاً بعد انتقال والدي نور الله مرقده إلى جوار ربه وقد اجتزت مراحلها رغم تعقيدها حتى اكملت اصول دراستي بتوفيق الله تعالى

ثم وفقت إلى إجابة الدعوة لسكنى سامراء لاقتضاء الحال ذلك يومئذ حيث قد اهتم السيد ابو الحسن اعلى الله مقامه بارسال جماعة من اهل العلم اليها وهنا تكون المشكلة الكبرى عندي لعدم موافقة العيال وان زائرها يفر منها بيوم واحد مستوحشاً ضجراً فكيف بمجاورها .

وقد تم إقناعهم بمزيد الأجر والحصول على وظيفة المجاهد لاشغال الحرم المقدس والمعهد العلمي الأثري للفاتح الميرزا الشيرازي قدس سره .

ويمر علي فيها ربع قرن خمس وعشرون عاماً دائباً على التدريس بتمام الرغبة وبغير ملل واجتنينا ثمار الرحلة وأهمها بث الأخلاق وحسن المعاشرة والتأثير بما يؤول إلى راحة المجاورين ودفع اذى الجاهلين وقد اخذ الحب لنا مقره من قلوب اهاليها .

وعندما اقتضت الضرورة انتقالنا إلى بغداد خيم عليهم الحزن واظهروا الأسف وتعصبوا لتعطيلي غير انهم اقتنعوا بما بينت لهم من السبب الديني الملجىء لتوجيه السواد من المسلمين المنجرف وراء المغررات يوم ذاك وباحتكاكي الجديد مع السواد انعكس ما كان يخالجني من تأليف في الفقه والأصول إلى تأليف مجموعة في المعارف لكفاية ما اتعب العلماء انفسهم فيه من ذلك اولا ولعدم نفع العلم بدون العمل ثانياً بل قد يكون وبالا على صاحبه .

ولا تزال غالبية الناس منصرفة عن العمل سواء كان هو الواجب او مطلق العمل الخيري بعد ان فهموا ان لا منجى لهم إلا بالعمل حيث قد ملأ اسماعهم لن يدخل احدكم الجنة إلا بعمله وإن الأعمال الصالحة كرصيد لهم عند الله سبحانه ليوم فاقتهم ومع ذلك لا تجد الرغبة ولا اقدام حتى من العامل نفسه فضلا عن التارك ومن المؤسف جداً ان عصرنا واهله يطلق عليهما عصر النور والجيل الصاعد وهو كذلك إذ لا مجال لانكار التوسع في التفكير والشحذ في الأذهان وكذلك في علو الهمة والتقدم في مراحل السير وسلم الصعود غير أن ذلك كله قد جمد على الماديات فقط ولم تستخدم تلك القوى يوماً ما ولو عرضاً في اكتساب الروحيات بل لو نظرنا دقيقاً لوجدناها قد سددت معظم سهامها لقتل الروح وإبقاء صاحبها هيكلا حيوانياً تستعبده الشهوات وتسوقه الأوهام والخيالات وبذلك تخسر ما اليه مآلها وان المادة مهما مست الحاجة اليها واعترفنا بضرورتها لا قيمة لها ما لم تحفظ الروح وتكفل حياتها وتربيتها ومن هنا قيل إن الدنيا مزرعة الآخرة فيما إذا احتضنت المادة الروح وقامت بتنميتها وقال سبحانه : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) فيما إذا تسممت الروح بالمادة وخسرنا الأمرين جميعاً وقال سبحانه : (وإن الآخرة هي دار القرار) تلميحاً بنا لأن نكثر بزاد يناسب طول زمانها كما ان من اراد تشييد دار يسكنها طيلة حياته واولاده بعد مماته يستعد لها بأضعاف

2-27-67 1948

ما يستعد به لتشييد دار يروم سكناها سنة واحدة وهذا كله مسبب عن النفس وتلوثها وانطباعها برذائل الصفات ولو انها صفيت وتبلورت وتحلت بجميل الصفات لانهمكت بأعمال الخير ولم تقنع منه بالقليل كما كان اولياء الله كذلك ولذا انقدح في خاطري من جديد تأليف مجموعة في العرفان من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مشفوعة بالبيان والشواهد والتعليق بما يتسنى لنا مما يكون له مساس في صقل النفس وإزالة الرين الذي عليها قد تكلس من جراء إهمالها وتركها وشهواتها

وقد جعلت مضامين الكتاب مصدرة بآيات من الكتاب العزيز هي موجز مفصلاته وبراهين مدعياته ليطابق الاسم المسمى .

وقد رتبته على عقود وفصول وخاتمة كما هو مذكور في فهرسته وقد اصر علي جماعة من المؤمنين ممن لايسعني ردهم بسرعة ابراز ذلك لمسيس الحاجة وشجعني ما شاهدته من إقبال الأساتذة والطلاب وغيرهم والتزامهم حضور محاضراتنا في كل ليلة بعد الفراغ من الصلاة وحفظ ما القيه عليهم وتطبيق غالبه لذا بادرت إلى إبراز هذه المجموعة وأسميتها الآيات الساطعة في العبر النافعة راجياً من المولى جل شأنه تحقيق المأمول ونفع عباده بها مشفوعاً بالقبول ومؤملا من القراء الكرام الغض عن هفواتها وما توفيقي إلا بالله وتوكلي إلا عليه .

المدخل

هوى النفس ومدى تأثيرها :

قال الله تعالى : « إن النفس لأمارة بالسوء » (١) .

افتتحنا الكتاب بموضوع النفس لأنها قاعدة الاندفاع نحو كل شر ، كما انها الجاذبة عن كل خير ، فهي مجمع السلب عن الخير والايجاب للشر .

فنقول :

الانسان ذو إرادة ، بمعنى ان صدور الأفعال منه عن إرادة وقصد ، وتلك الارادة تارة تنبعث عن النفس وشهوتها فقط ، وهذا ما يسمى بالشهوات النفسية ، واللذات الفردية ، دون نظر إلى مصالح اخرى وفوائد عامة .

وتارة اخرى تندفع عن العقل وهذا ما يسمى بالمدركات العقلية ، وتكون النظرة فيها وفي تحقيقها إلى معارف واسعة ومنافع شاملة ، وبعبارة اجلى النفس تمتّ إلى الماديات والعقل يصرف إلى الروحيات فهما في الانسان متقابلان تقابل السلب والايجاب او المقتضي والمانع .

وحكمة إيداع الله سبحانه لهما في الانسان حصول المعدل من إرادته وافعاله ليستقيم نظام الفرد والمجتمع معاً اولا ، وليحصل على سعادة الدارين ثانياً .

حيث ان العقل بمجرده يجر إلى رفض الدنيا بأسرها ، وعدم العمل لها لأنه يدرك انها موقتة وفانية ، ويكرس حياته وكل جهوده على العمل لآخرته حيث علم انها الدار الباقية وهذا هو الرهبانية الممنوعة في الدين الاسلامي .

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٣ .

وإن النفس بمجردها تدفع بصاحبها إلى تحقيق شهواته الشخصية ولذاته الفعلية وتسحق في سبيل إنجازها مصالح آلاف من ابناء نوعه لو عارضتها وانها فوارة غير قارة طموحة غير قنوعة .

وإذا اطلق لها العنان وانقاد لها الانسان لا تقف به عند حد في ارتكاب الموبقات من الظلم والغدر والخيانة والفتك والهتك والطغيان والتمرد .

وحتى تصل به إلى إنكار خالقه . بل ادعاء انه الموجد والعلة الأولى لغيره كما صدر عن فرعون بقوله : أنا ربكم الأعلى .

وانها لا تدفع بصاحبها إلا إلى الشرور والمهالك كما افصح عن ذلك قوله تعالى « إن النفس لأمارة بالسوء » وكما يوضحه ما ورد عن النبي (ص) انه بعث سرية فلما رجعوا قال (ص) : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر فقيل : يا رسول الله ما الجهاد الأكبر ؟ قال (ص) : جهاد النفس .

علاجها

هو الالتفات إلى جليل ما رتب الشارع من الأجر على مخالفتها ومجاهدتها بعد ما علم عظيم مفاسدها .

ففي الأمالي عن رسول الله (ص) : إن افضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه .

وفي الغرر عنه (ص) : جاهد نفسك على طاعة الله مجاهدة العدو عدوه ، وغالبها مغالبة الضد ضده ، فان اقوى الناس من قوي على نفسه .

وفيه عنه (ص) : جهاد النفس مهر الجنة جهاد النفس ثمن الجنة .

وقال (ص) : لا عاجز اعجز ممن اهمل نفسه فأهلكها .

وقال الصادق (ع) : من اعان نفسه في هوى نفسه فقد اشرك نفسه في قتل نفسه .

وقال (ع) : طوبى لمن جاهد في الله نفسه وهواه .

وفي خبر المعراج عند ذكر الله تعالى لصفات المؤمنين في مقام مدحهم « يموت الناس مرة واحدة ويموت احدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة انفسهم ومخالفة هواهم والشيطان يجري في عروقهم » .

ومعلوم ان النفس هي باب دخول الشيطان على الانسان فيما إذا ملكت قياده كسهولة دخول السارق الدار عندما يجد بابها مفتوحاً أمامه .

وبعكسه فيما إذا سحق الانسان نفسه وأحكمها باللجام فيبقى الشيطان خاسراً أمامه لا مدخل له عليه كالسارق فيما إذا وجد الباب موصداً والدار محصنة فحق لخبر المعراج ان يقول والشيطان يجري في عروقهم لأنهم بعد لم يملكوا نفوسهم بحيث تكون عديمة فيهم كما فعل الأولياء .

وقال الصادق (ع) : من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضي حرم الله جسده على النار .

وقال (ع) : اقصر نفسك عما يضرها من قبل ان تفارقك ، واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فان نفسك رهينة بعملك .

وقال لقمان : يا بني إنه النفس عن هواها ، فانك ان لم تنه النفس عن هواها لم تدخل الجنة ولم ترها .

وكان ابو الحسن (ع) يقول : لا تدع النفس وهواها فان هواها في رداها وترك النفس وما تهوى اذاها وترك النفس عما تهوى دواءها .

وقال ابو عبدالله (ع) : احذروا اهواءكم كما تحذرون اعداءكم فليس بشيء اعدى للرجال من اتباع اهوائهم وحصائد السنتهم .

وفي انوار النعمانية (١) روي ان عابداً عبد الله تعالى سبعين عاماً صائماً نهاره قائماً ليله فطلب الى الله حاجة فلم تقض فأقبل على نفسه وقال : من قبلك أُتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك .

فأنزل الله اليه ملكا فقال : يابن آدم ساعتك التي ازريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت .

وليس معنى ذلك ان عبادته لا قيمة لها عند الله تعالى بل هي على محلها ودرجتها من القبول غير ان جهاد النفس اثقل منها وزناً بالحسنات عنده تعالى .

فان حالات النفس عجيبة فانظرها وقت إرادة شهوتها فانك لو توسلت اليها بالأنبياء والمرسلين وعرضت عليها الجنة والنار وقلت لها هذه الجنة مهيئة لك ان تركت الذنب والنار لك ان فعلت كانت حريصة على الاتيان بالذنب ورفضت كل تلك الوسائل وإذا كانت جائعة وعوضتها عن تلك الوسائل رغيفاً من شعير اقلعت عن ذلك الذنب ورضيت بذلك الرغيف وصار عندها افضل من الحور العين . فما أطغاها في وقت وما أذلها في آخر .

وعن النبي (ص) : اشجع الناس من غلب هواه .

وقال امير المؤمنين (ع) لا عدو أعدى على المرء من نفسه .

وقال (ع) أيضاً : زنوا انفسكم قبل ان توزنوا ، وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا ، وتنفسوا قبل ضيق الخناق ، وانقادوا قبل عنف السياق ، واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ .

وأما ما ورد من الجزاء لقاهرها والآخذ بخلافها فكثير .

منها ما ورد ان رجلا كان معتنقاً لغير الاسلام ديناً وكانت تجري على

(١) ج ٢ ص ٣٨٣ .

يده كرامات غير اعتيادية مثل اخباره عما يقبضه الشخص بيده دون أن يشاهده وإعلامه بما يضمره الانسان في قلبه ومثل مشيه على وجه ماء النهر دون ان تبل قدماه فضلا عن الغرق فيه . فأخبر بذلك الامام موسى بن جعفر (ع) حيث كان في عصره فاستدعاه الامام كما هو شأنه في تفنيد الشبه والذب عن الدين حيث قد داخل الناس الشك والارتياب فامتحنه فوجده صادقاً وليس ما عنده من نوع الشعبذة والسحر فقال (ع) له : اصدقني أي عمل عملته خالصاً لوجه الله تعالى ولم يكن مألوفاً لغالبية الناس قال : عاهدت ربي ان لا اوافق نفسي فيما تأمرني به وان آخذ بخلافها حيث علمت انها الأمارة بالسوء فقال الامام الكاظم (ع) : احسنت انها لطاعة عظيمة فهل انت على عهدك مع ربك ؟ قال : نعم فقال (ع) له : اعرض دين الاسلام على نفسك ، فعرضه عليها بعدما تعرف على اصول احكامه قال : لم تقبله نفسي فقال (ع) له : خذ بخلافها كما عاهدت ربك . فعرف ان الاسلام حق واعتنقه ديناً له .

ثم قال (ع) : امتحنوه فيما كان يعلمه فاذا هو لم يعرف شيئاً فزاد الشك عند الحاضرين لتشرفه بدين الاسلام مما يتطلب زيادة كراماته .

فسألوا الامام عن سر ذلك فقال (ع) : إن الله سبحانه قدر له هذه الطاعة لأن مقاومة النفس ليس بالأمر الهين فأراد جزاءه بما يقابل طاعته ، وحيث لم يكن قابلا لدخول الجنة لانكاره نبوة محمد (ص) والدين الاسلامي خصه بهذه الكرامات الغريبة في الدنيا جزاء عهده مع ربه ، ولما أن دخل في دين الاسلام سلخها منه وجعل جزاءه الجنة لأنها افضل واعظم من ذلك .

وهذا كله يعطينا عرضاً عن مدى تأثير النفس وانها المنتهية بتتبعها إلى رذائل الصفات والمردية له في اشد الهلكات .

وبعكسها العقل فانه الآخذ بيد المستمد منه إلى جميل الصفات ورفيع الدرجات

ومنها ما ذكر في بعض الروايات : إن رجلا ضعيف الحال لا يملك من حطام الدنيا سوى رغيفين في يومه وليلته من كل مساعيه فقال يوماً في نفسه : إني اترك الدنيا واهلها واذهب إلى جبل أعبد الله تعالى فيه منعزلا عن الناس والله ولي معيشتي ، حيث ان الرهبانية والانعزال عن الناس كان معروفا فذهب فصلى مدة من السنين وكان ينزل عليه من السماء في كل يوم رغيفان فيحمدالله على ذلك

وقد كان رجل آخر حسن الحال وكانت الموائد تنصب لديه على اختلاف الوانها وان سعة الحال ووفور النعمة مما تجر بصاحبها إلى البطر والطغيان غير انه التفت وفكر يوماً في امر الدنيا وانها زائلة وإنما الباقي للمرء هو ما يقدمه لنفسه من العمل الصالح كما قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات » فترك جميع مايملك وذهب إلى ذلك الجبل فأخبر العابد بما قصد فلبس المسوح وجبة الصوف وانقطع إلى الله تعالى بخالص نيته فقال له العابد : إني تركت الدنيا وقد اكرمني ربي بانزال المائدة علي من السماء في كل يوم رغيفين يقول ذلك مفتخراً ومستعلياً عليه .

فصليا معاً فلما حان وقت نزول المائدة نزل على الأول رغيفان كعادته ونزل على الثاني مائدة عظيمة منوعة وموسعة فلما نظر الأول إلى ذلك حسده وحقد عليه وقال : لابد ان نمضي إلى من يحكم بيننا فذهبا إلى نبي زمانهما .

فقال الأول : إني عبدت الله سنين عديدة ولم ينزل علي إلا رغيفان وهذا قد عبد الله يوماً واحداً فأنزل عليه مائدة عظيمة .

فجاءه الوحي ان هذا قد ترك الموائد العظيمة لأجلي وانت تركت رغيفين لأجلي وأنا اجزي على قدر الطاعة وقهر النفس .

وحيث قد علم الصلحاء ذلك تراهم قاهرين لها بترك المعاصي محاسبين لها فيما إذا تفلتت عليهم وأغفلتهم لحظة وصدرت منهم هفوة فلا ينفك موقفهم معها إلا

بالتخلص مما ارتكبوه مخافة كثرة الذنوب وبتكلسها على القلب تقوى شوكتها وتتستر بما يعتري القلب من الظلمة لجذب صاحبها إلى معصية اخرى وذنب اعظم فهم على حذر من ذلك .

روي : ان رجلا كان ملازماً للصلاة ومحافظاً على اوقاتها فاشترى ذات يوم من بقال تمراً فلما وزن له البقال ودفع له التمر وقعت منه تمرة صغيرة على تمر البقال فتناول المصلي تمرة عوضها وأكلها وكانت اكبر من تمرته فلما أتى بيته وحل وقت الصلاة تكاسل عنها وفضل النوم فرأى في منامه كأن رجلين يتساءلان عن سبب تساهله عن الصلاة فقال احدهما للآخر : ان هذا قد تنجس قلبه بأكل التمرة فلما انتبه وعرف سبب تكاسله عن الصلاة ذهب مسرعاً إلى صاحب التمر واستوهبه فرجع على عادته من مراعاة اوقات الصلاة وقال امير المؤمنين (ع) في وصفهم :

قد ألزم نفسه العدل ، يصف الحق ويعمل به ، لا يدع للخير غاية إلا أمها ولا مظنة إلا قصدها ، لا يستكبرون ولا يستعلون ولا يغلون (١) ، يأمرون بالقسط ويأتمرون به ، ينهون عن المنكر ويتناهون عنه ، فرغوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة أمروا بها فقصروا عنها او نهوا عنها ففرطوا فيها .

فقد روي : ان رجلا منهم كان يصلي في بستان له فوقع طائر ذو ألوان غريبة على شجرة فشاغلته نفسه بالنظر اليه والغفلة عما تعوده من استحضار معاني صلاته واستجماع حواسه فلما فرغ من صلاته خرج من البستان وتصدق بها على الفقراء إرغاماً لنفسه وغلقاً لباب حاولت فتحه عليه .

والخلاصة في معركة النفس الشعور برذائل الصفات وما هي مسقطة لفاعلها في مجتمعه ومستتبعة لعقابه في دار بقائه فيصدها عنها ويمنعها من ارتكابها مخاطباً

(١) الخيانة .

لها بلسان الحال ويحك يا نفس تريدين هلاكي وفضيحتي في الدارين معاً وكذلك الشعور بمحامد الصفات وانها الآخذة بيده إلى مراتب السمو والتقدير بين افراد نوعه ومحققة له البشرى عند لقاء ربه فيحثها على فعلها ثم الاتصاف بها وبمرور الأوقات تكون منطبعة عليها ومتنفرة من اضدادها هاربة عن المتصف بها وعند ذلك يكون سليما من شرورها متخلصاً من إشراك شياطينها متملصاً من حبائل إبليسها معدوداً من افراد مصلحيها منخرطاً في صفوف مرغميها مبائناً بالذات لصور مطيعيها ولربما يلتحق بصنوف الملائكة بتوفيق من الله تعالى فيما إذا انطبع على ذلك حتى حصل على الملكة المتعذر زوالها فحينئذ لا يجد لما كان يقاسيه من جراء مقاومتها من تعب اصلا حيث قد اندكت إرادتها وانعدمت شوكتها .

فتكون انجذاباته نحو الخيرات والفضائل طبيعية لا شيء من الكلفة فيها بحيث يتراءى انها وفق إرادة النفس ونتيجة التعب الراحة وعاقبة العناء الهناء . ولذا قيل : من جد وجد .

العقد الأول

في توحيد الله تعالى

وفيه فصول

الفصل الاول

في معنى التوحيد

قال الله تعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (١) » .

معنى التوحيد ظاهراً هو شهادة ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أي انه الواحد المتفرد وباطناً هو العقيدة بأن هناك قوة جبارة ، موجدة لكل شيء وموجود ، ومسيطرة على كل قوة ومخلوق ، وهي المدبرة لتربيتها والمنظمة لسيرها وفق الحكمة والمصلحة لها ولغيرها .

فاذا اعتقد الموحد ذلك اعتبر نفسه محتاجاً إلى تلك القوة ومقيداً بارادتها وانه غير مطلق وما تتطلبه نفسه وشهوته .

فتكون اعماله حينئذ ومساعيه وكل حركاته وسكناته مقيدة ومرتبطة بتلك القوة والارادة حيث علم انه لا مناص له منها .

فأما ان ينقاد اليها طمعاً ورغباً وهو المعبر عنه في الأخبار بعبادة التجار .

واما خوفاً ورهباً وهو المسمى بعبادة العبيد .

واما ذاتاً وإنصافاً حيث علم باستحقاق ذاته القدسية للطاعة والانقياد

---

(١) سورة فاطر الآية ١١ .

كما قال مولانا امير المؤمنين (ع) مخاطباً ربه معطياً حقيقة التوحيد وجوهر العبادة : « عبدتك لا طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك » وهذه تسمى بعبادة الأحرار .

فاذا فهم ارتباطه بتلك الارادة صار همه معرفة الارادة وانحصر توجهه اليها وان المعبر له عن تلك الارادة هو الأحكام المفروضة على الأنام سواء كانت افعالا كالواجبات او تروكا كالمحرمات .

ولذلك تجد الرسل والأنبياء في مقام الدعوة للبشر يصدّرون ذلك بطلب التوحيد أولا ثم فرض الأحكام عليهم ثانياً لكي ينصاعوا الى امتثال الأحكام كما ستقف على سيرتهم في الفصل الثاني .

ويجري الشارع المقدس على عادته مع عباده في دفعهم لصالحهم ترغيباً وترهيباً ، فيترتب على كلمة التوحيد لقائلها من الخير ما تكثرت به الأخبار ويشير في مضامينها الى باطن التوحيد كما ان لمن استظهرها عظيم التهديد .

ولنذكر شيئاً منها مما يكون له ربط بما صدرنا به الموضوع من الآية الكريمة « اليه يصعد الكلم الطيب » حيث قيل : إن المراد من الكلم الطيب هي كلمة لا إله إلا الله .

ذكر في الاحتجاج عن امير المؤمنين (ع) انه من قال : لا إله إلا الله مخلصاً طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض فاذا قال ثانية : لا إله إلا الله مخلصاً خرق ابواب السماء وصفوف الملائكة حتى يقول الملائكة بعضهم لبعض : اخشعوا لعظمة أمر الله فاذا قال ثالثة : لا إله إلا الله مخلصاً لم تذته دون العرش فيقول الجليل : اسكتي فوعزتي وجلالي لأغفرن لقائلك بما كان فيه ثم تلا (ع) هذه الآية « اليه يصعد الكلم الطيب » .

وعنه (ع) : ما من عبد مسلم يقول : لا إله إلا الله إلا صعدت تخرق

كل سقف ولا تمر بشيء من سيئاته إلا طلستها (١) ، حتى تنتهي الى مثلها من الحسنات فتقف . قال تعالى يا موسى لو أن السموات وعامريهن عندي والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله .

وعن جابر عن ابي جعفر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فانها تهدم الذنوب ، قالوا : يا رسول الله فمن قالها في صحته فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ذلك اهدم واهدم إن لا إله إلا الله انس للمؤمن في حياته وعند موته وحين يبعث .

وقال رسول الله (ص) : قال جبرئيل : يا محمد لو تراهم حين يبعثون هذا مبيض وجهه ينادي لا إله إلا الله والله اكبر وهـــذا مسود وجهه ينادي يا ويلاه يا ثبوراه .

وعنه (ص) من قال : لا إله إلا الله غرست له شجرة في الجنة من ياقوتة حمراء منبتها في مسك ابيض احلى من العسل واشد بياضاً من الثلج واطيب ريحاً فيها امثال اثداء الأبكار تفلق (٢) عن سبعين حلة .

وعنه (ص) من قال : لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة وإخلاصه بها ان تحجزه عما حرم الله .

وعنه (ص) : رأيت اشهد ان لا إله إلا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عز وجل من قالها مخلصاً استوجب الجنة ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره الى النار .

وهو مفاد الحديث الرضوي المشهور بذي السلسلة الذهبية عند مسيره من نيشابور وطلب منه الجمع حديثاً عن الرسول الأعظم فقال (ع) : سمعت أبي عن آبائه عن النبي (ص) عن جبرئيل عن الله تعالى يقول كلمة : لا إله إلا الله

(١) محتها . (٢) تنشق .

حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي .

وبعد ان حرك راحلته وخطى خطوات اوقفها فوقف الجمع الغفير فقال : ولكن بشرطها وشروطها وانا من شروطها .

وقد اشرعت لكتابة الحديث آلاف الأقلام .

والأقوال في مرجع الضمير في قوله تعالى يرفعه ثلاثة :

(الأول) انه يعود الى الكلم الطيب اعني كلمة التوحيد .

اي انها هي التي ترفع العمل الصالح لقائلها لأن الانسان مهما عمل من الصالحات لا تقبل ولا ترفع بدون التوحيد بل ربما يجازى عاملها عليها في الدنيا تحقيقاً للعدل منه سبحانه لأنه القائل : إن الله لا يضيع عمل عامل منكم .

(الثاني) انه يعود الى العمل الصالح ومعناه ان التوحيد بدون عمل وبدون ان يطبق القول بالعمل لا يجدي فان قلنا ان كلمة التوحيد ترفع ذلك الارتفاع فبالعمل والتطبيق فالعمل هو الذي يرفعها وبدونه فهي باقية في مكانها .

(الثالث) انه يعود الى الله تعالى اي هو الذي يتولى رفع العمل الصالح والكلم الطيب لعامله الأزلي وقبل الخلقة والايجاد بمن يستحق ذلك فلا يتولى الرفع احد غيره .

وذلك لدفع وهم الاشتباه او الحيف على الرافع لو كان غير الله سبحانه تطميناً لعباده وتوثيقاً لهم بحفظ اعمالهم وانها رصيد لهم يوم فاقتهم .

الفصل الثاني

بعثة الأنبياء وحالهم في الدعوة

قال الله تعالى : « وإلى مدين اخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين » (١) .

إن الأديان والأحكام محفوظة في السماء وهي في لوح محفوظ وإنما يكون بعث الرسل لبثها في الأرض ونشرها على البشر كي يتدينوا بها ويلتزموا بمضامينها فيسعدوا في الدارين .

وقد أعطتهم الرسل اصول الأديان وقواعد الأحكام وبلغوهم بأوضح بيان وأقوى برهان .

فالدين موجود من بدء الخلقة غير أن متابعة الرسل لطف من الله تعالى بعباده للتأكيد ولزيادة التنبيه وللأخذ بهم الى درجات الرقي في المعارف الالهية والأحكام السماوية .

وإلى ذلك يؤل قول الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: « أتيت لأتمم مكارم الأخلاق » . فاذاً الأصول موجودة وأولها وأصل اصولها التوحيد ثم العبادة ثم بقية الأحكام .

ولهذا نجد شعيباً في هذه الآية يسلك مع قومه نفس الطريقة .

(١) سورة هود الآية ٨٤ و ٨٥ .

يبتدئهم بقوله : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ثم قال ثانياً : ولا تنقصوا ... الخ ، فقد فرض عليهم اداء الحق لأهله ونهاهم عن اكل مال الناس بنقيصة الكيل والوزن حيث كان قوم شعيب دأبهم ذلك وكانوا من الأمم الساقطة السافلة يعبدون الأوثان ويبخسون .

ولذا يمكن ان يقال كيف نسب الله نبيه وهو اكمل اهل زمانه إلى هذه الأمة الساقطة بكونه اخاهم مما يعطي بظاهره المساواة بين المنسوب والمنسوب اليه.

فيقال : إن ذلك لطف منه تعالى ويشير اليهم انكم جميعاً ايها الخلق اخوة ولا تفاوت بينكم بالأصل لأنكم كلكم من آدم وحواء وهما من تراب ومآلكم ايضاً إلى تراب فلا تفاضل بينكم من هذه الجهة ولذا آخى رسول الله (ص) بين اصحابه مراراً حتى آخى بين عمه حمزة بن عبد المطلب سيد البطحاء اسدالله واسد رسوله وبين جويرية وهو عبد إلى غير ذلك .

فكأنه سبحانه يقول لنبيه : لاتأخذك العزة حيث اخترك عليهم وارسلتك مبلغاً لهم بل إنما انت اخوهم هذا بالنسبة إلى نبيه .

وأما بالنسبة إلى عباده فكأنه يقول لهم : هو اخوكم ليس بأكبر منكم وإنما ارسلته اليكم ليعرفكم إرادتي ويبلغكم احكامي كما حكي عن النبي (ص) إنما انا بشر مثلكم .

كل ذلك منه سبحانه استعطافاً لهم واستجلاباً لنفعهم . نعم هناك امتياز بين العباد عظيم وفرق جسيم به يرتقي العبد عن إخوانه إلى اوج السماء وينخرط مع صفوف الملائكة وبعدمه يهبط العبد عن إخوانه إلى اسفل الدرجات وينخرط مع صفوف الشياطين .

ألا وهو التقوى « إن اكرمكم عند الله اتقاكم » .

هذا ويمكن ان تكون نسبة الاخوة اليهم على واقعها لأنه وإياهم ينتسبون

إلى جدهم مدين بينهما ثلاثة اظهر ومدين بن ابراهيم (ع) وشعيب بن نوبة ابن مدين .

ثم يقول لهم : إني اراكم بخير اي بخصب في المزارع ورخص في الأسعار وكثرة في الرزق فلا حاجة بكم تمسكم وتلجئكم إلى اكل اموال الناس بالباطل وهذا من حسن البيان في مقام الاحتجاج لأن الطبيعة تقتضي التعفف لذوي الثراء عن الخسة وخيانة الناس في اموالهم .

نعم الفقير المضطر ربما دفعه ضيق حاله إلى ذلك فيما إذا لم يكن له الايمان الكافي بأن الرزق من الله تبارك وتعالى وهو مصدر القسمة وفق ما يراه من صالح عبده فلا يزيده إذاً اكل الحرام .

ثم قال : واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي شامل لا يفلت منه احد حيث علم تواطيهم على ذلك ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي بالعدل ولاتبخسوا الناس اي لا تنقصوهم اشياءهم اي اموالهم وحقوقهم اي ادوا حقوق الناس على التمام في المعاملات .

ولا تعثوا في الأرض مفسدين اي لا تسعوا بالفساد في الأرض بارتكاب المعاصي واستحلال المحرمات بعد ان اصلحها الله بالأمر والنهي وبعثة الأنبياء فيختل نظام الناس حيث ان الله سبحانه فرض عليهم الأحكام لنظم امورهم وسير معاشهم إضافة إلى حصول الأجر والثواب لهم منه تعالى في دار بقائهم بجاه امتثالهم اوامره ونواهيه المسببة عن تصفيتهم لنفوسهم من الكدر والتلويث فيكون الخير كله لهم بذلك .

فاذا عثتم الفساد في الأرض وسببتم اختلال النظام الذي اراده الله لعباده فقد عرضتم انفسكم للهلاك بانتقامه منكم وإحاطة عذابه بكم .

وحيث لم ينتهوا فجاءهم العذاب الموعودون به .

ففي الكافي عن ابي عبدالله (ع) : اوحى الله إلى شعيب اني معذب من قومك مائة الف اربعين الف من شرارهم وستين الف من خيارهم ، فقال (ع) : يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله اليه داهنوا اهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي !! « فلنعرف مصيرنا بسكوتنا » .

قال عطاء : كان شعيب خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وهم اصحاب الأيكة .

وقال قتادة : ارسل شعيب مرتين مرة إلى مدين واخرى إلى اصحاب الأيكة .

فعن علي بن الحسين (ع) : إن شعيباً هو اول من عمل المكيال والميزان عمله بيده فكانوا يكيلون ويوفون ، ثم انهم طففوا فاستحقوا العذاب .

وقال رسول الله (ص) : بكى شعيب من حب الله تعالى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه يا شعيب إلى متى يكون هذا ابداً منك ان يكن هذا خوفاً من النار فقد اجرتك وان يكن شوقاً إلى الجنة فقد ابحتك .

فقال : إلهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك ولكن عقد حبك في قلبي فلست اصبر حتى اراك .

فأوحى الله اليه اما إذا كان هكذا فمن اجل هذا سأخدمك كليمي موسى ابن عمران (ع) .

والمراد بقوله : اراك اما طلب كمال المعرفة او اراك بعد الموت اي ابكي على حبك حتى القاك ولا افتر عن ذلك كمن غاب عن حبيبه فهو يبكي لفراقه إلى ان يلقاه .

او ان معناه حتى اراك قد قبلتني حبيباً .

حيث قد ثبت انه تعالى لا تدركه الأبصار فلا بد من تنزيه كلمات اوليائه عما لا يجوز عليه وصرف ما ظاهره ذلك إلى ما يصح عليه سبحانه لأنهم الأولى بمعرفته وتنزيهه .

بعثته الى قومه

قال وهب : لما بعث شعيب إلى اهل مدين وكان عليهم ملك جبار لايطيقه احد من ملوك عصره وكان يأمرهم بالتطفيف والاحتكار إضافة إلى كفرهم وعبادة الأوثان فوعظهم شعيب فأرسل اليه الملك ماتقول فيما صنعنا اراض انت ام ساخط فقال شعيب : اوحى الله تعالى إلي ان الملك إذا صنع مثل ما صنعت يقال له ملك فاجر فكذبه الملك واخرجه وقومه الذين آمنوا به من المدينة .

قال الله تعالى حكاية عنهم : « لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا » فزادهم شعيب في الوعظ فقالوا : « يا شعيب أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء » .

فآذوه بالنفي من بلادهم فسلط الله عليهم الحر والغيم حتى انضجهم فلبثوا فيه تسعة ايام وصار ماؤهم حميما لا يستطيعون شربه فانطلقوا إلى غيضة لهم وهو قوله تعالى : « وكان اصحاب الأيكة لظالمين » (١) .

فرفع الله لهم سحابة سوداء فاجتمعوا في ظلها فأرسل الله عليهم ناراً منها فأحرقتهم فلم ينج احد منهم وذلك قوله تعالى : « فأخذهم عذاب يوم الظلة » .

فلما اصاب قومه ما اصابهم لحق شعيب ومن آمن معه بمكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا .

(١) سورة الحجر الآية ٧٨ .

والرواية الصحيحة ان شعيباً صار منها إلى مدين فأقام بها وبها لقيه موسى ابن عمران (ع) .

وقال الطبرسي في قوله تعالى : فأخذتهم الرجفة اي الزلزلة .

وقيل : ارسل الله عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا اجواف بيوتهم فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولاماء وانضجهم الحر فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وظل السحابة فنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد وصاروا رماداً وهو عذاب يوم الظلة .

وقيل : كان لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم اهلكوا بالظلة .

وقيل : إنه قيل : يا امير المؤمنين حدثنا ، قال : إن شعيباً النبي دعا قومه إلى الله حتى كبر سنه ودق عظمه ثم غاب عنهم ما شاء الله ثم عاد اليهم شاباً فدعاهم إلى الله تعالى .

فقالوا : ما صدقناك شيخاً فكيف نصدقك شاباً .

فانظر إلى نتيجة قساوة القلب وسيطرة النفس كيف تؤل بصاحبها إلى جحود حتى المحسوس ، فبدل ان يقنعوا ويتيقنوا بعود شبابه وانه معجزة لتصديقه يجيبوه بأنهم ما صدقوه شيخاً فكيف يصدقونه شاباً وكأنهم احتاطوا لدينهم .

فما اشبه ذلك بما يحكى من ان رجلا دخل مسجداً فرأى إمام المسجد يلوط بغلام فبصق عليه فقال له الامام : الم تعلم بأن البصاق في المسجد مكروه .

وهكذا الأئمة الأطهار اهل بيت النبي (ص) مع حاسديهم يتركون كراماتهم المعجزة ويلتزمون ذوي الشعبذات باعتبارها كرامات وينصرفون عن الأخذ من علومهم الزاخرة تراث جدهم لهم ويأخذون ممن تتلمذ عليهم وعلم اليسير من علومهم ودروسهم .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : لم يبعث الله عز وجل من العرب إلاخمسة انبياء هوداً ، وصالحاً ، واسماعيل ، وشعيباً ، ومحمداً (ص) خاتم النبيين .

وفي قصص الأنبياء للراوندي من علمائنا بسنده إلى سهل بن سعيد قال : بعثني هشام بن عبدالملك استخرج له بئراً في رصافة عبد الملك فحفرنا منها مائتي قامة ثم بدت لنا جمجمة رجل طويل فحفرنا ما حولها فاذا رجل قائم على صخرة عليه ثياب بيض وكفه اليمنى على رأسه على موضع ضربة في رأسه .

فكنا إذا نحينا يده عن رأسه سالت الدماء وإذا تركناها عادت إلى موضعها وسدت الجرح وإذا في ثوبه مكتوب انا شعيب بن صالح رسول رسول الله شعيب النبي (ع) إلى قومه فضربوني وطرحوني في هذا الجب وهالوا عليّ التراب .

فكتبنا ما رأينا إلى هشام فكتب أعيدوا عليه التراب كما كان واحتفروا في مكان آخر .

وفي كنز الفوائد عن عبد الرحمن بن زياد الافريقي .

قال : خرجت مع عم لي إلى مزدرع لنا فحفرنا موضعاً فأصبنا تراباً هشاً فحفرنا عامة يومنا حتى انتهينا إلى بيت كهيئة الأذج (١) فاذا فيه شيخ مسجى وإذا عند رأسه كتابة فقرأتها فاذا هي انا حشان بن سنان الأوزاعي رسول شعيب النبي (ع) إلى اهل هذه البلاد دعوتهم إلى الايمان بالله فكذبوني وحبسوني في هذا الحفر إلى ان يبعثني الله واخاصمهم يوم القيامة .

وذكروا ان سليمان بن عبدالملك مر بوادي القرى فأمر ببئر يحفر فيه

(١) بالذال المعجمة السقاء المنفوخ ، ولعله يريد أن البيت محدب كالسقاء المنفوخ وان قرئ بالزاء المعجمة وهو الحاجب المقوس ، فالمراد أيضاً كالأول لأن المقوس والمحدب متقاربان فى المقصود من تحديب ظهر البيت .

ففعلوا فانتهي إلى صخرة فاستخرجت فاذا تحتها رجل عليه قميصان واضع يده على رأسه فجذبت يده فشج مكانها بدم ثم تركت فرجعت إلى مكانها فرقى الدم .

فاذا معه كتاب فيه انا الحارث بن شعيب الغساني رسول شعيب إلى اهل مدين فكذبوني وقتلوني .

نوح (ع)

قال تعالى : « ولقد ارسلنا نوحاً إلى قومه : إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم » (١) .

ويجري نوح ايضاً نفس المجرى وعلى عين الطريقة سالفة الذكر من ابتداء دعوته لقومه بالتوحيد وحصر العبادة لله تعالى .

تركيزاً للعقيدة والاعتراف بتلك القوة القهارة المدبرة وهو الخالق سبحانه ويحكي ذلك لنا رب العزة في كتابه المجيد لا كقصاص تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، بل للطفه بعباده وليعتبروا بمن سلف ، وانهم هل اجداهم تمردهم شيئاً أم كانوا من المهلكين .

فيعود سبحانه بقصته ثانياً علينا فيقول مبيناً لنا سهولة إهلاكهم وابتكار الطريقة لذلك « حتى إذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل » (٢) .

حالة نوح في الدعوة

يكفينا عن بيان إخلاصه (ع) في دعوته لقومه وإيضاح شدة تمردهم عليه طول الزمان لذلك كما افاده قوله تعالى: « فلبث في قومه الف سنة إلاخمسين عاماً »

(١) سورة هود الآية ٢٧ . (٢) سورة هود الآية ٤٠ .

كل ذلك في الدعوة ، واما معنى قوله : حتى إذا جاء امرنا اي قضاؤنا بنزول العذاب عليهم حيث قامت الحجج الكافية لديهم فاستحقوا العذاب وفار التنور بالماء اي ارتفع الماء بشدة واندفاع وفي التنور اقوال احدها انه الاعتيادي للخابزة وانه تنور كان لآدم فار الماء منه علامة لنوح إذ نبع الماء من موضع غير معهود خروج الماء منه ثم اختلف في مكان التنور .

فقال بعض : كان في دار نوح بعين وردة من ارض الشام ، وقال آخرون : كان في ناحية الكوفة وهو المروي عن أئمتنا (ع) ، وروى المفضل بن عمر عن ابي عبدالله (ع) : إن التنور كان في دار عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة مسجد الكوفة قلت : كيف خروج الماء من ذلك التنور .

قال (ع) : نعم إن الله احب ان يري قوم نوح آية ثم ارسل عليهم المطر يفيض فيضاً وفاض الفرات فيضاً وفاضت العيون كلها فيضاً فأغرقهم الله وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة ، فقلت : كم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها .

قال (ع) : لبثوا فيها سبعة ايام بلياليها .

وفي رواية اخرى ان السفينة استقلت بما فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوماً بلياليها .

وفي رواية ابي عبيدة الحذاء عن ابي جعفر (ع) قال : مسجد كوفان وسطه روضة من رياض الجنان الصلاة فيه بسبعين صلاة صلى فيه الف نبي وسبعون نبياً فيه فار التنور وجرت السفينة وهو سرة بابل ومجمع الأنبياء .

(ثانيها) الأقوال في المقصود من التنور .

انه وجه الأرض ويؤيده قوله تعالى : « وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على امر قد قدر » (١) .

(١) سورة القمر الآية ١٢ .

(ثالثها) ان معنى فار التنور طلع الفجر وظهرت إمارات تقضي الليل ودخول النهار .

(رابعها) ان التنور اعلى الأرض وأشرفها اي نبع الماء من الأمكنة المرتفعة فشبهت بالتنانير لعلوها .

(خامسها) ان فار التنور معناه اشتد غضب الله عليهم ووقعت نقمته بهم تقول العرب حمي الوطيس إذا اشتد الحرب وتقول : فار قدر القوم أيضاً إذا اشتد حربهم .

وحيث اراد الله استئصالهم وإبقاء الدنيا ليعتبر الباقي بالفاني ، قال تعالى مخاطباً لنوح : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » اي من كل جنس من الحيوان ذكراً وانثى .

وأهلك اي احمل اهلك وولدك إلا من سبق عليه القول اي سبق الوعد باهلاكه وسبق الأخبار منا به اليك بانه لا يؤمن وهي امرأته الخائنة واسمها واغلة وابنها كنعان .

والصحيح ان معنى خيانتها انها كانت تطلق عليه اسم الجنون كما يطلقه قومه وأما معنى قوله تعالى : ومن آمن اي واحمل من آمن بك من غير اهلك مع اهلك لما علم سبحانه بما اودعه في اصلابهم ثم قال : وما آمن معه إلا قليل وهم ثمانون انساناً في قول الأكثرين .

وقيل : اثنان وسبعون رجلا وامرأة وبنو نوح الثلاثة ونساؤهم وحمل معه جسد آدم .

وقيل : عشرة انفس ، وقيل ثمانية ، وقيل سبعة .

وبنوه هم سام وحام ويافث .

فالعرب والروم وفارس واصناف العجم ولد سام والسودان من الحبش

والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين ويأجوج ومأجوج ولد يافث .

وقال نوح لمن آمن معه : اركبوا فيها فيركبون معتمدين على ربهم في حال سخرية القوم بهم قائلين بسم الله مجراها ومرساها .

اي متبركين باسمه تعالى لأنه مبدأ فيوضات الخيرات بأجمعها فذكر اسمه سبحانه يعطي البركة فهم يقولون باسم الله وقت إجرائها وإرسائها اي لا يفترون عن ذكره تعالى على كلا الحالين .

وقيل : إذا ارادوا ان تجري قالوا : بسم الله مجراها فجرت وإذا ارادوا ان تقف قالوا : باسم الله مرساها فوقفت ، فقد اجرى الله تعالى ذلك لهم حساً كرامة لهم وإظهاراً لثمرات الصمود على الايمان .

وأما قوله : « إن ربي لغفور رحيم » هذه مقالة نوح لقومه عند رؤية النعمة بالنجاة يحكيها سبحانه وقوله : وهي تجري بهم في موج كالجبال بيان منه للخلق الآتي لعظيم قدرته في إهلاك العاصي وإنقاذ المطيع .

وفي رواية ان الماء ارتفع فوق كل شيء وفوق كل جبل ثلاثين ذراعاً وقيل : خمسة عشر ذراعاً ، وقيل : إن سفينة نوح سارت لعشر مضين من رجب فسارت ستة اشهر حتى انتهت الى الجودي وهوجبل بأرض الموصل فاستقرت عليه يوم العاشر من محرم بعد ان اتت الحرم فطافت بموضع الكعبة اسبوعاً حيث قد رفع الله تعالى البيت إلى السماء وقت الطوفان .

وروى اصحابنا عن ابي عبدالله (ع) ان نوحاً ركب في اول يوم من رجب فصام وأمر من معه ان يصوموا ذلك اليوم وقال : من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة .

ونادى نوح ابنه كنعان وكان في معزل اي في قطعة من الأرض غير التي فيها نوح وقيل : إن معناه كان في ناحية من دين ابيه .

يا بني اركب معنا ولا تكن من الكافرين .

كان سبب دعوة نوح لابنه انه كان ينافق اباه ويظهر له الرضا بدينه لذلك دعاه الى الركوب ودعا الله بالقبول بقوله (ع) : إن ابني من اهلي ولكن الظاهر لضعفه يفضحه الباطن لقوته لذا قال : سأوي الى جبل يعصمني من الماء مصرحاً بما انطوت عليه سريرته .

قال نوح : لا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع ولا دافع من امر الله حيث علم ان قد اشتد غضبه سبحانه عليهم ، وحان وقت هلاكهم واستئصال جرثومتهم وتطهير الأرض من ميكروبهم ، ثم قال تعالى : وحال بينهما الموج اي بين نوح وابنه فكان من المغرقين مبيناً قطع الوصل بين نوح وبين ابنه .

قبس عن عدالة الباري جل شأنه

حيث ان الله تعالى قد حكم على من تلوث قلبه بالشرك ان لا يشم رائحة الجنة وبالخلود في نار جهنم ، لأن شفافية الجنة وما فيها روحياً لا تلتئم مع كدورة تلك الذوات المنغمسة فيها فلا تجده تؤثر عليه المحسوبيات من اعز اهل زمانه عليه وخيرتهم لديه في اعز احد من امته .

من شيخ المرسلين وابي البشر الثاني نوح (ع) وفي ولده وفلذة كبده كنعان تراه يستعطف ربه بقوله : إن ابني من اهلي فيجيبه انه ليس من اهلك مبيناً له المدرك لنفي ولده وما هو النسب الروحي بقوله تعالى : إنه عمل غير صالح ولذا ورد آتوني بأعمالكم ولا تأتوني بأنسابكم ومؤنباً له بقوله تعالى : فلا تسألني ما ليس لك به علم لأن قد سبق علمه جل شأنه بما انطوت عليه سريرته من الشرك والنفاق وان اظهر لأبيه الاسلام مما دعاه إلى الشفاعة له جرياً منه على ظاهر الحال

لأن الغيب والسرائر لا يعلمها إلا الله او من اعلمه الله فأخرجه سبحانه عن نسبه.

بينما نجد العكس من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى يلحق سلمان الفارسي بنسبه الشريف ويقول : سلمان منا اهل البيت والقصة مشهورة عند حفر الخندق ، ولابد ان يكون صدور ذلك منه (ص) برضا من ربه حيث قد سبق علمه سبحانه بما انطبعت عليه طوية سلمان من الصلاح وصفاء النفس من أزله إلى نهاية حياته واستقامته على عقيدته فيقرر الله نبيه على ما وسم به حواريه من رفيع الرتبة وعظيم المنزلة والفوز في الدنيا مع الآخرة ومن جد وجد

نوح وابليس في معركة بعيدة القعر

في قصص الجزائري (١) عن ابي عبدالله (ع) انه لما هبط نوح (ع) من السفينة غرس غرساً وكان فيما غرس النخلة ثم رجع الى اهله فجاء ابليس فقلعها .

ثم إن نوحاً عاد الى غرسه فوجده على حاله ووجد النخلة قد قلعت ووجد ابليس عندها فأتاه جبرئيل فأخبره ان إبليس قلعها .

فقال نوح لابليس : ما دعاك إلى قلعها فوالله ما غرست غرساً احب إلي منها ووالله لا ادعها حتى اغرسها .

فقال إبليس : وأنا والله لا ادعها حتى اقلعها وقال : اجعل لي منها نصيباً قال : فجعل له منها الثلث .

فأبى ان يرضى فجعل له النصف فأبى ان يرضى وأبى نوح ان يزيده .

فقال جبرئيل لنوح : يا رسول الله احسن فان منك الاحسان فعلم نوح انه قد جعل الله له عليه سلطاناً فجعل نوح له الثلثين .

(١) ص ٨٤ .

قال ابو عبدالله (ع) : فاذا اخذت عصيراً فاطبخه حتى يذهب الثلثان من نصيب الشيطان فاذا ذهب فكل واشرب حينئذ .

وعنه (ع) في رواية اخرى : ان إبليس نازع نوحاً في الكرم فأتاه جبرئيل فقال : إن له حقاً فاعطه فأعطاه الثلث فلم يرض إبليس ثم اعطاه النصف فلم يرض بالنصف ايضاً فطرح جبرئيل ناراً فأحرقت الثلثين وبقي الثلث .

فقال : ما احرقت النار فهو نصيبه وما بقي فهو لك يا نوح حلال

وعلة ذلك ما ذكر في موضع آخر ان إبليس طلب من حواء في الجنة ان تطعمه من التمر والعنب فامتنعت فقال إبليس : إذا لم تطعميني فدعيني أمص تمرة وحبة عنب مصاً فسمحت له بذلك فمصها وبذلك تعرف جلياً فلسفة حرمة الخمر الجوهرية لما اودع فيها إبليس من سموم روحه وجرثومة نفسه لغاية ان يتسمم بها ذرية آدم وابناء نوح وعباد الله فيعصون ربهم كما تعهد بذلك حيث قال لعنه الله فوعزتك لأغوينهم اجمعين ... الخ .

نصيحة ابليس لنوح (ع)

في قصص الجزائري (١) عن العسكري (ع) ان إبليس جاء الى نوح فقال ان لك عندي يداً عظيمة فانتصحني فاني لا أخونك « وحيث ان هذا من ابليس غريب واقرب من ان يكون كذباً وغشاً » فتألم نوح بكلامه ومسألته فأوحى الله تعالى اليه أن كلمه وسله فاني سأنطقه بحجة عليه ، فقال نوح له : تكلم فقال إبليس : اذا وجدنا ابن آدم شحيحاً او حريصاً او حسوداً او جباراً او عجولا تلقفناه تلقف الكرة « كناية عن سهولة إيقاعه في المعاصي حيث ان هذه الصفات

(١) ص ٨٢ .

ركيزة الشهوات » فان اجتمعت لنا هذه الأخلاق سميناه شيطاناً .

فقال نوح (ع) : ما اليد العظيمة التي وصفت ؟ .

قال : إنك دعوت الله على اهل الأرض فألحقتهم في ساعة بالنار فصرت فارغاً ولولا دعوتك (١) لشغلت بهم دهراً طويلا .

ومن طريق آخر بسنده الى ابن عباس .

قال إبليس : يا نوح لك عندي يد سأعلمك خصالا .

قال نوح : وما يدي عندك ؟

قال : دعوتك على قومك حتى اهلكهم الله جميعاً .

فاياك والكبر وإياك والحرص وإياك والحسد فان الكبر هو الذي حملني على ان اترك السجود لآدم فأكفرني وجعلني شيطاناً رجيما .

وإياك والحرص فان آدم ابيح له الجنة ونهي عن شجرة واحدة فحمله الحرص على ان اكل منها .

وإياك والحسد فان ابن آدم حسد اخاه فقتله .

قال نوح (ع) : فأخبرني اي ساعة تكون اقدر على ابن آدم ؟ قال عند الغضب .

مقارنة بين نبينا محمد ﷺ ونوح (ع)

وجدنا كيف يربح إبليس في معركته مع نوح بدعوته على قومه على حد تصريحه لعنه الله .

وتحدثنا الروايات الصحيحة عن نبينا نبي الرحمة في عدة مواقف من اذى

(١) قوله (ع) : لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا .

قومه المرير له (ص) فيدعو لهم بدل ان يدعو عليهم بقوله : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

تراه كيف يستدفع عنهم العذاب من ربه بأن عصيانهم لي ليس ناشئاً عن التمرد عليك ، بل لجهلهم بواقع الأمر ، ولعل الجهود في الارشاد والتوجيه يرفع ذلك عنهم بعد حين .

وبهذا ونظائره نفهم جلياً عظيم شخصيته (ص) ورفيع درجته اولا .

ودقيق حكم الله وسابق علمه بخلقه وتفضيل بعضهم على بعض وفق عدله ثانياً

ومن هذا جعله (ص) سيد المرسلين وخاتم النبيين ، بل علة التكوين وقس عليه آل بيته الطاهرين ، حيث حصر التطهير من الرجس بهم ولم يشرك في ذلك معهم غيرهم بقوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً » (١) .

وقد اوضحنا مفادها في الحصر في مقام آخر .

المصير الاخير لنوح (ع)

يأتيه ملك الموت وهو نائم بالشمس وقد مر عليه من العمر على اقل الروايات الفان وخمسمائة عام فيستمهله لانتقاله إلى الفيء ثم يقول له : ما مر عليّ من الزمان كهذه اللحظة التي انتقلت بها من الشمس الى الظل .

وقد ارسلها (ع) عبرة كافية وموعظة شافية مدوية في مسامع ذريته الى آخر الدهر لو سمعوها بآذان قلوبهم فيستسلم للقاء ربه بعد اداء رسالته فيودع آثار علم النبوة الى ولده سام ويحرم من ذلك ولداه حام ويافث لتصفية الأول لنفسه

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٤ .

من الكدر مما جعلها تنسبك مع العلم والروحيات والتلويث لها منهما مما جعلها تتباعد وتنفصل عن الجوهريات .

ثم يبشر أمته بمن يتلوه بالنبوة كما هي سيرة كل مبعوث إكمالا لأداء الوظيفة وإتماماً للحجة فيقول : سيأتيكم نبي من بعدي اسمه هود (ع) .

هود في بعثته

قال الله تعالى : « وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا نراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين » (١) .

هود بن شبالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح .

وعاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقد جعلهم الله سكان الأرض من بعد قوم نوح وزادهم بسطة في الخلق كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم سبعين ذراعاً

قال ابو جعفر (ع) : كانوا كأنهم النخل الطوال فكان الرجل منهم يضرب الجبل بيده فيهدم منه قطعة .

وكانوا يعبدون اصناماً سموها آلهة ولذا قال لهم هود (ع) : « أتجادلونني في اسماء سميتموها » (٢) .

ويسلك هود نفس المسلك تبعاً لأسلافه من السفراء فيصدر دعوته بطلب التوحيد ايضاً لتثبيت القاعدة في مركز القلب كي تبنى عليها الأحكام .

فقال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

(١) سورة الأعراف الآية ٦٥ .

(٢) قيل فى معنى تسميتهم : إن هذا يسقيهم المطر وهذا يقيم الزرع وهذا يأتيهم بالرزق وهذا يشفى المريض والآخر يصحبهم فى السفر إلى غير ذلك .

ترجعون اليه في مهامكم أفلا تتقون وتخافون وتخشون عقابه وسخطه ان انتم عدلتم عنه إلى غيره او اشركتم معه احداً .

الجواب من قومه

قال الملأ أي الجماعة وقيل الأشراف والرؤساء الذين يملأون الصدور هيبة وجمالا : إنا نراك في سفاهة أي جهالة أي نراك سفيهاً لكن قالوا في سفاهة للمبالغة أي نراك منغمساً في السفاهة .

وإنا لنظنك من الكاذبين أي كذبوه ظانين لا متيقنين وقيل : المراد من الظن هنا اليقين والعلم ، قال : ياقوم ليس بي سفاهة أي لم يحملني على هذا الاخبار السفاهة ولكني رسول من رب العالمين ، هذه آداب الله تعالى لرسله بأن لايقابلوا السفهاء بالكلام القبيح ولكن يقتصر الانسان الكامل .

على نفي ما نسب اليه من النقص فيكون موقفه منهم سلبي لا إيجابي بحيث يقابلهم بالشتم واللعن ابلغكم رسالات ربي .

أتى بصيغة الجمع لأن الرسالة تتضمن عدة امور من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد إلى غير ذلك فهي إذاً بهذا المعنى تكون عدة رسالات

وأنا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه من طاعة الله وتوحيده كي تفوزوا بنعيم الدنيا وتسلموا من غضبه وانتقامه وتسعدوا بنعيم الآخرة وتحصلوا على اجره وثوابه وهو الجنة الدائمة والسعادة السرمدية .

أمين أي ثقة ومأمون في تأدية الرسالة فلا اكذب ولا اغير بزيادة ولا نقصان بل ابلغكم كما بلغني ربي .

القصة

كانت عاد تنزل اليمن وكانت مساكنهم بالشجر والأحقاف وهي رمال يقال لها رمال عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان إلى حضرموت .

وكان لهم زرع ونخل ولهم اعمار طويلة واجساد عظيمة وكانوا اصحاب اصنام يعبدونها فبعث الله اليهم هوداً نبياً وهو من اوسطهم نسباً وافضلهم حسباً كي يكون اقبل عندهم فدعاهم إلى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل : ثلاث سنين حتى قحطوا وهذا منه تعالى كالفات نظر وبالمرحلة الأولى من نزول العذاب عليهم .

وكان الناس في ذلك الزمان إذا قحطوا ونزل بهم جهد وبلاء التجأوا إلى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم واهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم إذ ذاك رجلا اسمه معاوية بن بكر وكانت امه من عاد فبعث عاد وفداً إلى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معاوية وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم فأكرمهم واقاموا عنده شهراً .

فلما رأى معاوية طول مكثهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم .

شق ذلك عليه وقال : هلك اخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيوفي أستحي ان آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا اليه وشكا ذلك إلى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم فقالتا : قل شعراً نغنيهم به لايدرون من قاله فنظم ابياتاً تتضمن تنبيههم على ما جاءوا اليه وان عاداً قد اشرفوا على الهلاك ووفدهم مشغولون في شهواتهم فالتفتوا ولام بعضهم بعضاً وقالوا : قوموا ندخل الحرم ونستسقي فقال رجل منهم

قد آمن بهود سراً والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم سقيتم فزجروه ودخلوا مكة يستسقون وكان رئيس وفد عاد قيل ابن عنز فقال : يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا قد هلكنا « فانظر إلى قدر عتوهم حتى عند اضطرارهم » فأنشأ الله سبحانه سحباً ثلاث بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل إختر لنفسك ولقومك فاختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة إلى عاد .

فلما رأوها استبشروا وقالوا : هذا عارض ممطرنا فيقول الله تعالى : بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فسخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوماً اي دائمة ومتوالية .

فلم تدع من عاد احداً إلا هلك قيل : هي التي تسميها العرب ايام العجوز نسبت اليها لأنها دخلت سرباً فتبعتها غمامة فقتلتها في اليوم الثاني واعتزل هود ومن معه المؤمنين في حظيرة لايصيبه ومن معه إلاما تلين عليه الجلود وتلذ النفوس وانها لتمر من عاد بالظعن مابين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة فأهلكتهم

وروى ابو حمزة الثمالي عن سالم عن ابي جعفر (ع) قال : إن لله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض ما ارسل الله على قوم عاد منه إلا قدر الخاتم .

الخلاصة

فالمستفاد من الآية ان الاعتراف بالله فطري يرجع اليه عند الشدة .

لذا استجار قوم هود على كفرهم وعبادة اصنامهم ببيت الله الحرام .

وان اهل الحق قليل بل هم الضعفاء لقوله تعالى الملأ من قومه ... الخ ،

ففي الآية من التسلية للمؤمنين لقلتهم وضعفهم ما لا يخفى وانهم هم الفائزون والمنصورون مهما بلغ بهم الظلم والعدوان .

وقال تعالى في بيان استهتارهم وإخلالهم بالنظام إضافة إلى كفرهم مما تقتضي فيه الحكمة إهلاكهم كجرثومة تنشر الأمراض لابد من القضاء عليها ولزوم استئصالها من جذورها ثم قال تعالى : « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين » (١) .

هو اتخاذهم بروجاً للحمام عبثاً وكانوا يبنون البنيان في المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة فيسخروا بهم ويعبثوا منهم فتنقطع بذلك السبل .

وفي تفسير علي بن ابراهيم لما اقحطوا جاء قوم إلى بابه (٢) يريدونه فخرجت اليهم شمطاء عوراء فقالت : ما تريدون ؟ قالوا : نحن من بلاد كذا وكذا جئنا إلى هود نسأله ان يدعو لنا حتى تمطر وتخصب بلادنا فقالت : لو استجيب لهود لدعا لنفسه احترق زرعه لقلة مائه وكان هود زارعاً .

قالوا : فأين هو قالت في موضع كذا فجاؤا اليه فقالوا : يا نبي الله قد اجدبت بلادنا فسل الله ان يمطرها فصلى ودعا لهم فقال : ارجعوا فقد امطرتم فقالوا : يا نبي الله لقد رأينا في بيتك عجباً امرأة شمطاء عوراء وحكوا له كلامها

فقال هود : هي امرأتي وأنا ادعو الله لها بطول البقاء قالوا : وكيف ذلك قال : لأنه ماخلق الله مؤمناً إلا وله عدو يؤذيه وهي عدوتي فلأن يكون عدوي ممن املكه خير من ان يكون عدوي ممن يملكني .

وقد كان دائباً في دعوة قومه إلى التوحيد ونهيهم عن عبادة الأصنام كي تخصب بلادهم كما حكى ذلك رب العزة عنه بقوله : « ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا

(١) سورة الشعراء الآية ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ . (٢) أي إلى باب دار هود (ع)

مجرمين » (١) ، على منهج التعاليم السماوية ترغيباً وترهيباً .

وحيث لم يجد فيهم وقد قامت عليه الحجة ارسل الله تعالى عليهم الريح الصرصر فقال : « إنا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر » (٢) قيل : كان القمر منحوساً بزحل .

وعن ابي جعفر (ع) الريح العقيم تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرج منها شيء إلا على قوم هود حين غضب الله عليهم فأمر الخزان ان يخرجوا منها على قدر سعة الخاتم .

فعصفت على الخزنة فخرج منها على قدر منخر الثور فضج الخزنة إلى الله من ذلك وقالوا : يا ربنا انها قد عتت علينا ونحن نخاف ان تهلك ممن لم يعصك من خلقك وعمار بلادك .

فبعث الله جبرئيل فردها بجناحه وقال لها : اخرجي على ما امرت به فرجعت على ما امرت به فأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم .

قال علي بن ابراهيم : امر المعتصم ان يحفر بالبطانية بئر فحفروا ثلاثمائة قامة فلم يظهر الماء فتركه ولم يحفره فلما ولي المتوكل امر ان يحفر ابداً حتى يبلغ الماء فحفروا حتى وضعوا في كل مائة قامة بكرة حتى انتهوا إلى صخرة فضربوها بالمعول فانكسرت فخرج عليهم منها ريح باردة فمات من كان بقربها فأخبروه بذلك فلم يعلم ما ذاك فقالوا : سل ابن الرضا (ع) عن ذلك ، فكتب إلى الامام الهادي عليه السلام يسأله عن ذلك فقال (ع) : تلك بلاد الأحقاف (٣) قوم عاد اهلكهم الله بالريح الصرصر نبيهم هود وكانت بلادهم كثيرة الخير إلى آخر القصة .

وفي كتاب الاحتجاج ان الدوانيقي امر يقطين ان يحفر بئراً بقصر العبادي فلم يزل يقطين في حفرها حتى مات المنصور ولم يستنبط منها الماء فأخبر المهدي

(١) سورة هود الآية ٥٥ و ٥٦ . (٢) سورة القمر الآية ٢٠ (٣) الرمل .

بذلك فقال : احفروا ابداً حتى يستنبط الماء ولو انفقت جميع ما في بيت المال .

فلم يزالوا في حفرها حتى ثقبوا ثقباً في اسفل الأرض فخرجت منه الريح فهالهم ذلك فأخبروا ابا موسى فقال : انزلوني وكان رأس البئر اربعين ذراعاً في اربعين ذراعاً فأجلس في شق محمل ودلي في البئر فلما صار في قعرها نظر إلى هولها وسمع دوي الريح في اسفل ذلك فأمرهم ان يوسعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم ثم ادلى بها رجلين في شق محمل فقال : ائتوني بخبرهذا فنزلا ومكثا ملياً ثم حركا الحبل فأصعدا فقال لهما : ما رأيتما ؟ قالا : امراً عظيما نساءً ورجالا وبيوتاً وآنية ومتاعاً كلهم مسوخ من حجارة .

فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم فمن بين قاعد ومضطجع ومتكئ ، فلما مسسناهم إذا ثيابهم تنقشأ مثل الهباء ومنازلهم قائمة .

فكتب ابو موسى إلى المهدي فكتب إلى المدينة إلى موسى بن جعفر (ع) يسأله ان يقدم عليه فقدم فأخبره فبكى الامام بكاءً شديداً وقال : هؤلاء بقية قوم هود « وهو القادر على إبقائهم عبرة » غضب الله عليهم فساخت منازلهم هؤلاء اصحاب الأحقاف .

وقال (ع) : الرياح خمسة ومنها العقيم فنعوذ بالله من شرها ولكل ريح ملك موكل بها فاذا اراد الله ان يعذب قوماً بنوع من العذاب اوحى إلى موكل ذلك النوع من الريح الذي يريد ان يعذبهم به فيأمرها الملك فتهيج كما يهيج الأسد الغضبان .

ولكل منها اسم اما تسمع قوله تعالى في عاد : إذ ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً ، وقال تعالى : الريح العقيم ، وقال تعالى : ريح فيها عذاب اليم ، وقال : فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت وما ذكر من الرياح التي يعذب بها من عصاه .

وعن وهب ان الريح العقيم تحت الأرض التي نحن عليها قد وكل الله بها

سبعين الف ملك سلطها الله على عاد استأذنت خزنة ربها ان يخرج منها قدر منخري الثور ولو أذن الله لها ما تركت شيئاً على وجه الأرض إلا احرقته وبها ينسف الله الجبال نسفاً وذلك قوله تعالى : « يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » (١) .

سميت العقيم لأنها تلقحت بالعذاب وتعقمت عن الرحمة كتعقم الرجل إذا كان عقيما لا يولد له .

وطحنت تلك القصور والحصون والمدائن حتى صاروا رملا وإنما كثر الرمل في تلك البلاد لأن الريح طحنتها وعصفت عليهم وكانت ترفع الرجال والنساء فتهب بهم صعداً ثم ترمي بهم من الجو فيقعون على رؤوسهم منكبين .

وكانت الريح قد نقضت الجبال كما نقضت المساكن فتطحنها فتعود رملا دقيقاً

وإنما سميت عاد إرم ذات العماد ، لأنهم كانوا يسلخون العمد من الجبال فيجعلون العمد مثل طول الجبال الذي يسلخونها منها من اسفله إلى اعلاه ، ثم ينقلون تلك العمد فينصبونها فيبنون عليها القصور فسميت ذات العماد .

النتيجة فيما يخصنا

ذكرنا مراراً ان المقصود من قصص القرآن الكريم هو الاعتبار بمن مضى حيث لم تدفع عنهم قواهم لحظة واحدة حين جاءهم امر الله ، وهو تهديد لنا ووعيد وهو ابلغ من توجيهه لنا مباشرة ، لأنه كناية ، وهي ابلغ لأنها دعوى مع برهان فلسان حال القصص بأجمعها ينادي إحذروا يا امة محمد لا يصيبكم مثل ما اصاب من قبلكم ، ومن هم اقوى منكم .

(١) القاع هي التي لا نبات فيها ، والصفصف لا عوج فيه ، والأمت المرتفع .

ثم لم يكتف سبحانه للطفه بعباده بذلك فقط ، بل صدح القرآن بصوته المدوي في اوضح عبارة فقال : « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها » (١) .

اي فهلا ساروا في الأرض ورأوا آثارهم ، وبقايا ملكهم ، وإمارات مكانتهم ، واقتدارهم وسيطرتهم ، ونظروا في عواقب امورهم ، وانهم اهلكوا منهم بالغرق ، ومنهم بالحجارة ، ومنهم بالخسف ، ومنهم بالريح ، ومنهم بالصيحة ، إلى غير ذلك ، ولم يهلكهم سبحانه بنوع واحد من العذاب ، لزيادة الردع والتخويف ، لأن التفنن بأنواع العذاب يوجب شدة الرهبة في النفوس ، غير ما إذا كان الاهلاك بنوع واحد .

كما إذا كان عند دولة انواع من السلاح الفتاك ، فان الخوف منها يكون اشد من الدولة التي لا يكون لها إلا نوع واحد من السلاح .

وهذا ايضاً يعد لطف منه جل شأنه ، كي يري خلقه عظيم قدرته ، فيخشوه ولا يقعوا في معصيته ، فيستحقوا نعيم جنته ، ويتخلصوا من اليم ناره وشديد عقابه .

ابراهيم الخليل وصفاته

قال الله تعالى : « وإذا قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ اصناماً آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن

(١) سورة محمد (ص) الآية ١٠ .

من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين » (١) .

ذكر سبحانه ابراهيم (ع) في كثير من السور ، لأنه أب الأنبياء ، وثاني اولي العزم ، وخليل الرحمن ، وكانت الأنبياء ينسبون إلى دينه ، ولذا قال (ع) : ما على دين ابراهيم غيرنا وغير شيعتنا ، قال تعالى : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » .

وفي علل الشرائع مسنداً إلى الرضا (ع) قال : إنما اتخذ الله ابراهيم خليلا لأنه (ع) لم يرد احداً قط ، ولم يسأل احداً غير الله .

وعن ابي عبدالله (ع) : اتخذ الله ابراهيم خليلا لكثرة سجوده على الأرض .

وعن الهادي (ع) : إنما اتخذ الله ابراهيم خليلا لكثرة صلواته على محمد وآله ، وعن النبي (ص) ما اتخذ الله ابراهيم خليلا إلا لاطعامه الطعام وصلاته بالليل والناس نيام ، وعن علي (ع) ان ابراهيم اول من اضاف الضيف ، وأول من شاب ، قال (ع) : كان الرجل يموت وقد بلغ الهرم ولايشيب ، فكان الرجل يأتي النادي فيه الرجل وبنوه ، فلا يعرف الأب من الابن ، فيقول : ايكم ابوكم فلما كان زمن ابراهيم قال : اللهم اجعل لي شيئاً اعرف به ، فشاب وابيض رأسه ولحيته فقال : ما هذا ؟ قيل له : وقار في الدنيا ونور في الآخرة .

وكان اول من اتخذ النعلين ، وعن ابي جعفر (ع) كان الناس يموتون فجأة ، فلما كان زمن ابراهيم قال : يارب اجعل الموت علة يؤجر بها الميت ، ويسلى بها عن المصائب ، فأنزل الله البرسام ، ثم انزل بعده الداء .

(١) سورة الأنعام الآية ٧٥ .

(امارات النبوة)

قيل : وكان آزر يصنع الأصنام لنمرود وللناس ويأمر اولاده يبيعونها ، ولما بلغ ابراهيم ثلاث عشرة سنة ، كان يعطيه الأصنام ليبيع مثل اخوته ، فكان يضع في اعناقها الخيوط ويسحبها على الأرض وتارة يضعها في الماء ، ويقول : من يشتري ما لايضره ولا ينفعه ، ويقول لها : تكلمي ، فذكر ذلك اخوته لأبيهم فنهاه فلم ينته ، فحبسه ولم يدعه يخرج .

وفي كتاب قصص الأنبياء للجزائري (١) قال رسول الله (ص): إن ابراهيم لما رفع في الملكوت وذلك قول ربي : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » قوى الله بصره لما رفعه دون السماء حتى ابصر الأرض ومن عليها ، ظاهرين ومستترين ، فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فدعا الله عليها بالهلاك فهلكا ثم رأى آخرين فدعا عليها بالهلاك فأوحى الله اليه : يا ابراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي ، فاني أنا الغفور الرحيم ، الجبار الحليم ، لا تضرني ذنوب عبادي ، كما لا تنفعني طاعتهم ، ولست اسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك ، فاكفف دعوتك عن عبادي فانما انت عبد نذير ، لا شريك في المملكة ، ولا مهيمن على عبادي وعبادي معي ، بين خلال ثلاث : اما تابوا إلي فتبت عليهم ، وغفرت ذنوبهم ، وسترت عيوبهم ، واما كففت عنهم عذابي ، لعلمي بأنه سيخرج من اصلابهم ذريات مؤمنون ، فأرفق بالآباء الكافرين ، وأتأنى بالأمهات الكافرات ، وأرفع عنهم عذابي ليخرج اولئك المؤمنون من اصلابهم ، فاذا تزايلوا حق بهم عذابي ، وان لم يكن هذا ولا هذا فان الذي

(١) ص ١٣٤ .

اعددت لهم من عذابي ، اعظم مما تريد لهم ، فان عذابي لعبادي ، على حسب جلالي وكبريائي ، يا ابراهيم وخل بيني وبين عبادي ، فاني أنا الجبار الحليم ، العلام الحكيم ، ادبرهم بعلمي ، وأنفذ فيهم قضائي وقدري .

وعلى منواله الحديث القدسي « يا موسى لو يعلم عبادي المدبرون عني ، كيف انتظاري لهم ، وشوقي إلى توبتهم ، وحبي لاقبالهم ، لتقطعت اوصالهم حباً لي ، هكذا انتظاري للمدبرين ، فكيف انتظاري للمطيعين .

هذا ربنا ، وهذه رحمته ، هذا خالقنا ، وهذا عطفه ، فهل لنا ان نرعى حقوقه ، ونقابل كرمه ، وننقاد إلى صالحنا من تعاليمه ، وسعادتنا من امتثال احكامه ، ونظمنا بالتزام حدوده .

تدبير الله تعالى فى رسله

ذكر اهل التفسير والتاريخ ان ابراهيم (ع) ، ولد في زمن نمرود بن كعنان وزعم بعضهم ان نمرود كان من ولاة كيكاوس ، وقال بعضهم : كان ملكا برأسه ، وقد قيل لنمرود : إنه يولد في بلده هذه السنة مولود ، يكون هلاكه وزوال ملكه على يده .

ثم اختلفوا فقيل : إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن ، وقيل : بل وجدوا ذلك في كتب الأنبياء ، وقيل : رأى نمرود كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر ، فسأل عنه فعبر بأنه يولد غلام ، يذهب ملكه على يده عن السدي

فعند ذلك امر بقتل كل ولد يولد تلك السنة ، وامر بأن يعزل الرجال عن النساء ، وبأن يتفحص عن احوال النساء ، فمن وجدت حبلى تحبس حتى تلد ، فان كان غلاماً قتل ، وان كانت جارية خليت ، حتى حبلت ام ابراهيم (ع) ،

فلما دنت ولادة ابراهيم (ع)، خرجت امه هاربة، فذهبت به إلى غار، ولفته في خرقة، ثم جعلت على باب الغار صخرة، ثم انصرفت عنه.

فجعل الله رزقه في إبهامه، فيمصها فتشخب لبناً، وجعل يشب في اليوم، كما يشب غيره في الجمعة، وفي الجمعة كما يشب غيره في الشهر، وفي الشهر كما يشب غيره في السنة، فمكث ما شاء الله ان يمكث.

وقيل: كانت تختلف اليه امه، فكان يمص اصابعه فوجدته يمص من إصبع ماء، ومن إصبع لبناً، ومن إصبع عسلا، ومن إصبع تمراً ومن إصبع سمناً، ولما خرج من السرب، نظر إلى النجم وكان آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر، ثم رأى القمر، ثم رأى الشمس، فقال ما قال ولما رأى قومه يعبدون الأصنام خالفهم، وكان يعيب آلهتهم، حتى فشا امره، وجرت المناظرات بينه وبين قومه.

ونعود لمعنى الآية.

اذكر يا محمد وانقل لقومك، ان ابراهيم قال لأبيه آزر وهذا على حد قوله تعالى لنبيه الكريم: «وأنذر عشيرتك الأقربين» والمقصود إلفات انظارهم إلى المقارنات لايضاح الأمر لهم وكشف اللبس عنهم.

وفي آزر اقوال (احدها) انه اسم أبي ابراهيم. (ثانيها) ان اسم ابيه تارخ. قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف في ان اسم ابي ابراهيم تارخ. والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر.

وقيل: إن آزر عندهم كلمة ذم كأنه قال (ع) لأبيه يا مخطىء، وقيل: آزر اسم صنم. فكأنه قال: أتتخذ آزر واشباهه ويكون آلهة معرباً على البدلية من آزر واشباهه.

وقال الامامية: إن آزر كان جد ابراهيم لأمه او كان عمه من حيث

صح عندهم ان آباء النبي (ص) إلى آدم كلهم كانوا موحدين واجتمعت الطائفة على ذلك على ما تقرر عندهم من تنزيه الأنبياء عن كل شين ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : لم يزل ينقلني الله من اصلاب الطاهرين ، إلى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا ، لم يدنسني بدنس الجاهلية ولو كان في آبائه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله تعالى : إنما المشركون نجس والاستفهام في قوله (ع) أتتخذ اصناماً آلهة انكاري ، اي لا تفعل هذا ، اني اراك وقومك في ضلال عن الصواب مبين اي ظاهر وفي الآية حث للنبي (ص) على محاجة قومه ، الذين دعوه إلى عبادة الأصنام والاقتداء بأبيه ابراهيم (ع) وتسلية له ، ووعد بالنصر ، كما ارى سبحانه ابراهيم ملكوت السموات والأرض تثبيتاً لقلبه ، وهي القدرة التي تقوى بها دلالته على التوحيد .

وقيل : معناه كما اريناك يا محمد اريناه آثار قدرتنا ، فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الأرض من البحار والمياه والرياح ليستدل بها .

وقيل : يعني بالملكوت آيات السموات والأرض ، وقيل : ملكها بلغة النبطية ، وقيل : الملكوت ما نشاهده من الحوادث الدالة على ان الله سبحانه مالك لها ولكل شيء بنفسه ، لا يملكه سواه فأجرى الملكوت على المملوك مجازاً

وقال ابو جعفر (ع) : كشط الله له عن الأرضين حتى رآهن وما تحتهن وعن السموات وما فيهن من الملائكة وحملة العرش ليكون من الموقنين بأن الله هو خالق كل ذلك والمالك له .

ثم اخبر سبحانه عن كيفية استدلاله بما اراه من الآيات فقال : فلما جن عليه الليل وستر كل ضياء بظلامه رأى كوكباً ، قيل : هو الزهرة وقيل : المشتري قال : هذا ربي ، فلما افل اي غرب قال : لا احب الآفلين .

وقد ذكر في تفسير هذه الآية اقوال تركنا منها ما لا يناسب مقام النبوة

لأنهم منزهون وعالمون .

(منها) انه (ع) لم يقل ذلك على سبيل الشك بل كان عالماً موقناً ان ربه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وإنما قال ذلك على سبيل الانكار على قومه والتنبيه لهم على ان المعبود لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث .

(ومنها) انه إنما قال : هذا ربي في المواطن الثلاثة استخداعاً للقوم ليريهم قصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق جارت عليه الحوادث بالأفول وغيره .

(ومنها) انه نوى الشرط في قلبه اي ان كان هذا الصنم والحجر ربكم كما تزعمون فهذه الكواكب ربي ، وتلك الأصنام لم تكن ربهم في الواقع ، فالكواكب إذاً ليست ربه لأن المشروط عدم عند عدم شرطه .

وفي هذه الآية بقصها على هذه الأمة من التنبيه والزجر لكل من عبد غير الله سبحانه ما لا يخفى حتى من عبد هواه .

وفيها من الحث على اتباع وسلوك طريق ابراهيم (ع) في النظر والتفكر ايضاً ومعنى قوله تعالى : وحاجه قومه اي خاصموه وجادلوه وخوفوه من ترك عبادة آلهتهم قال (ع) : أتحاجوني في الله وقد هدان اي وفقني ولطف بي في العلم بتوحيده وترك الشرك والاخلاص له .

ولا اخاف ما تشركون به ، اى لا اخاف منه ضراً وان كفرت به ، ولا ارجوه نفعاً وان عبدته ، لأنه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه ، وبين نجم قد دل أفوله على حدوثه واحتياجه ، فكيف تدعونني إلى عبادة من هذه صفته .

إلا ان يشاء ربي اى يغلبها فيحييها ويجعل فيها القدرة على الضر والنفع وهذا ايضاً يعود اليه سبحانه وانه العلة الأولى ، والمستحق للعبادة ، دون من احدثه وأوجده بارادته ثم قال (ع) : وسع ربي كل شيء علماً ، اي هو العالم

بكل شيء على مقتضى ذاته ثم امرهم بالتفكر والتدبر بقوله: « أفلا تتذكرون »

ثم اكد عليهم الاحتجاج بقوله: وكيف اخاف ما اشركتم وانتم تلزموني ان اخشاهم وقد وضح حالهم في انهم لا يضرون ولا ينفعون ، ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو القادر على الضر .

وقيل: معناه كيف اخاف شرككم وأنا منه بريء ، والله لا يعاقبني بفعلكم وانتم لا تخافون وقد اشركتم به ، ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ، اي حجة على صحته وهذا يدل على بطلان كل معتقد بدون حجة ، ثم قال (ع) : فأي الفريقين أحق بالأمن أنحن وقد عرفنا معبودنا بالأدلة ، ووجهنا عبادتنا نحوه ، ام انتم وقد عبدتم غيره ، ولو تركتم العصبية ونظرتم بالروية لما وجدتم لهذا الاحتجاج مدفعاً ان كنتم تعلمون باستخدام عقولكم ، وترك شهوات نفوسكم ، وتمييزكم للحق عن الباطل .

ثم يعود سبحانه بالوسام الرفيع على متبع الحق ، وبيان عدم ضياع التزامه الحق . فيقول الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وهو الشرك ، اولئك لهم الأمن من الله بحصول الثواب ، ودفع العقاب ، وهم مهتدون إلى الحق والدين ، او إلى الجنة اي حكم لهم بذلك فلا خلف لقوله ولا تبديل ، ثم قال تعالى مخبراً عن لطفه : « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم » اي البراهين على قومه من الكفار نرفع درجات من نشاء من المؤمنين المصدقين ، والتفضيل بحسب ما لهم من الايمان واليقين والتطبيق ان ربك حكيم عليم يجعل التفاوت بين عباده ورسله على ما توجبه حكمته ، ويقتضيه علمه ، بقدر ما يستحقون .

ولم يقتصر سبحانه على اصطفاء ابراهيم (ع) فقط بل قال تعالى : ووهبنا له اسحاق وهو ابنه من زوجته سارة ، ويعقوب بن اسحاق ، كلا هدينا اي كل الثلاثة فضلنا بالنبوة ونيل الثواب والكرمات ، للعلم الأزلي بصمودهم تجاه الحق ،

ونشر الدعوة اليه ، وتحمل المشاق في سبيل ذلك .

كما قال سبحانه في حقه من سورة الانبياء ، ولقد آتينا ابراهيم رشده أي الحجج التي توصله الى الرشد من قبل وكنايه عالمين انه أهل لذلك ، وانه المضحي في نصرة دين الله ، كما قد حقق ذلك وقال (وتا الله لأكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين) أى بعد ان تنطلقوا ذاهبين ، أي الى مقاصدهم .

ولم يأخذوا ذلك منه على الجد لضعفه بين اظهرهم ، وكان لهم في كل سنة مجمع وعيد اذا رجعوا منه دخلوا على اصنامهم وسجدوا لها ، فقالوا لأبراهيم ألا تخرج معنا فخرج فلما كان ببعض الطريق قال اشتكي رجلي ، وانصرف ورجع الى الأصنام فجعلهم جذاذاً ، أي قطعاً قطعا وحطاما الا كبيرا لهم تركه على حال ، وعلق الفأس في عنقه ، وخرج لعلهم اليه يرجعون ، فيسألونه عن حال الاصنام وهو لا ينطق ولا يجيب ، فيذنهون ويعلمون جهلهم ، فابقائه كجزء من الحجة منه (ع) عليهم ، فلما رجعوا ووجدوها مكسرة قالوا من فعل هذا بآلهتنا . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ، أي يعيبهم ويقول لأكيدن الخ . فأتوا به وقالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ، قال (ع) بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون .

والشبهة بلزوم الكذب منه (ع) مندفعة بعدة وجوه (منها) انه على تقدير الشرط أي فعله كبيرهم ان نطقوا وهم لا ينطقون ، فلا يكون حينئذ فعله كبيرهم فلا يكون كذبا .

(ومنها) انه بصورة خبر وليس بخبر وانما هو إلزام ومعناه ان هذه الاصنام ان كانت آلهة كما تزعمون فانما فعل ذلك كبيرهم لأن غير الآلهة لا يقدر ان يكسر الآلهة .

وقد ذكرت وجوه اخرى لا تجامع عصمة الانبياء رجحنا تركها .

ويشبهه بفعله هذا واقدامه وعدم مبالاته في سبيل طاعة ربه ، وانتصاره لتوحيده ، مافعله امير المؤمنين (ع) بالاصنام على ظهر الكعبة ، وقد وضع اقدامه على كتف النبي (ص) ، وهو محل ختم النبوة من الله تعالى ، ولا عجب من ذلك فان الشجرة واحدة والفرع يهتف بالأصل .

فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ، حيث تعبدون مالا يقدر على الدفع عن نفسه ، وهذه آلهتكم حاضرة فاسئلوها ، ثم نكسوا على رؤسهم ، اذ تحيروا كما هي عادة كل متحير في الجواب ، وعلموا انها لا تنطق .

ثم اعترفوا بما هو حجة عليهم ، فقالوا لقد علمت يا ابراهيم ماهؤلاء ينطقون فكيف نسألهم فاجابهم بعد اعترافهم بالحجة فقال : افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ، لأنها لو قدرت لدفعت عن نفسها ، فالمستحق للعبادة من قدر على اصول النعم التي هي الحياة والشهوة والقدرة وكمال العقل .

ثم يختم الكلام معهم مهجنا لأفعالهم ، مستقذرا لها عندما سيطر عليهم بالبرهان قائلا أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون . وتتفكرون بعقولكم وتتركون عصبيتكم وعنادكم فتهتدون لصالحكم .

آثار الغرور بالفاني من الدنيا

فيلتجئون بعد الافحام الى الظلم والقسر الفاحش كما هي عادة المتجبرين في الاحتفاظ بما اغتصبوه من غيرهم تاركين للقوة العقلية والصفة الانسانية متدرعين بالقوة الغضبية والحالة السبعية .

قائلين حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين .

أي لا يستقيم لكم تعظيمها إلا باعدامه وتحريقه بالنار ، لقصد التفظيع

وتنفير السواد عن الركون اليه ، والانصياع الى ادلته ، ولم يعلموا قوله سبحانه « والله متم نوره ولو كره الكافرون (١) » قيل : ان الذى اشار بتحريق ابراهيم عليه السلام ، رجل من اكراد فارس فخسف الله به الارض ، فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة .

وقيل : قاله نمرود اعتزازاً بما ابتلاه الله به من الملك ، فيطغو بدل ان يشكر ، فتقوم عليه الحجة ، فجمعوا الحطب حتى ان الرجل منهم ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله ليشترى به الحطب ، وحتى ان المرأة لتغزل فتشترى بالثمن الحطب ، حتى بلغوا من ذلك ما ارادوا .

وماشبه ذلك بما بعد عنه زماناً وقرب روحا واتحد ذاتاً ، الاوهو ماصممت عليه قريش من صد دعوة النبي محمد (ص) ، وتظاهرهم على ذلك حتى ان المرأة منهم كعمة معاوية لتبيع قلادتها وتصرفها على أذى النبي (ص) ، وجمع الشوك والحطب ووضعه في طريقه .

وتحقيقاً للتشابه ان كان الفوز لكليهما ، والانتصار لدعوتهما معا ، رغم حراجة الامر في بادئه واشراف الجائرين على خنقه ، وعدم ظهوره وانتشاره .

وهكذا الحال في مختلف الازمان والاحوال ، لاينبغي التراجع عن دعوة الحق والتخاذل عن نصرة الدين ، لأن الفوز قرينها والنجاح حليفها ولو بعد حين .

كما ورد اني لأبغض المؤمن الضعيف ، قيل وما المؤمن الضعيف فقال الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر .

---

(١) الصف آية ٩

ان تنصروا الله ينصركم

كما يوضحه جلياً نتيجة أمر ابراهيم (ع) حين ارادوا إلقاؤه في النار وتأخذهم الحيرة وكيف يلقونه لوسعة النار ، فجاءهم ابليس ودلهم على المنجنيق وهو اول منجنيق صنع .

وورد ان الوزغ كان ينفخ في النار ليزيدها ، والضفدع تأتي بالماء فتقذفه على النار ، ومن هنا ورد في مروان بن الحكم انه الوزغ ، لكثرة ما كانا يلهبان نار المعارك في وجه رسول الله (ص) ، ووصيه امير المؤمنين (ع) ، قال ابو عبدالله عليه السلام : لما جلس ابراهيم في المنجنيق لرميه في النار جاءه جبرئيل فقال السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته ، ألك حاجة فقال أما اليك فلا ، فلما طرحوه في النار دعا الله ، فقال يا الله يا واحد يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فحسرت النار عنه ، وانه لمحتب ومعه جبرئيل وهما يتحادثان في روضة خضراء .

وروي عن النبي (ص) : ان نمرود الجبار لما القى إبراهيم في النار ، نزل جبرئيل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص(١) واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه تمام الخبر .

وقال كعب : ما احرقت النار من ابراهيم غير وثاقه (٢) .

وقيل ان ابراهيم (ع) ألقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة .

---

(١) وهذا القميص فى عنق اسحق فى قصبة من فضة وعلقها اسحق فى عنق يعقوب وعلقها يعقوب فى عنق يوسف ولما دخل اخوة يوسف عليه وعرفوه ارسل القميص معهم وألقوه على وجهه فارتد بصيرا وهو من الجنة　　(٢) الحبل المكتوف به

ثمرات العقيدة ونجاته (ع)

كل ذلك منه سلام الله عليه نتيجة العقيدة والتوحيد الصحيح ، وان الله مرجع الامور كلها ، فتأتيه الاغاثة وتدركه النجدة من تلك القوة الجبارة عندما ظهر للناس ايمانه المعلوم لله سبحانه من قبل الخلقة .

بقوله تعالى « قلنا يانار كوني بردا وسلاماً علي ابراهيم » .

والمعنى ا ا جعلناها عليه بردا والا فالنار جماد لا يصح خطابها فهو مثل كقوله تعالى « كونوا قردة خاسئين » أي صيرهم لانه امرهم بذلك .

قيل بقيت عامة النار ثلاثة ايام لم تعمل شيئاً لبردها في عموم الدنيا .

وقال ابو العالية لو لم يقل سبحانه وسلاما ، لكانت تؤذيه من شدة بردها ولكان بردها عليه أشد من حرها ، ولو لم يقل علي ابراهيم ، لكان بردها باقياً إلى الأبد .

ومعنى ذلك ان اطاعة الجمادات لخالقها أقوى من اطاعة ذي العقول ، فيا للعار ويا للخجل لابن آدم . ثم اخبر سبحانه عن ألطافه لناصر دينه والذاب عن شرعه . فقال « وارادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين » .

قال ابن عباس سلط الله علي نمرود وخيله البعوض ، حتى اخذت لحومهم وشربت دمائهم ، ووقعت واحدة في دماغه فاهلكته وقيل كان يضرب بالنعال على دماغه لأنه يجد بذلك بعض الراحة .

ثم قال سبحانه : ونجيناه ولوطاً ، هو ابن اخي ابراهيم ، وقيل ابن اخته آمن به وهو اول من صدق به ، الى الارض التي بارکنا فيها للعالمين ، قيل هي الشام أي نجيناه من كوثى وهي قرية من قرى الكوفة الى الشام . ومعنى بركتها هو

خصبها ، وقيل الى بيت المقدس ، لأن بها مقام الانبياء ، وقيل اي الى مكة ، وبعد النجاة عقبها تعالى بالنعم ، فقال ووهبنا له اسحق حين سأل الولد من ربه ، فقال رب هب لي من الصالحين ، لأن الولد الصالح من اعظم النعم ، وهو الصدقة الجارية على حد تعبير الأحاديث واعطاه يعقوب نافلة أي زائدا على دعائه وطلبه ، وكلا جعلنا صالحين ، أي ابراهيم واسحق ويعقوب ، وجعلناهم أئمة يقتدى بهم في افعالهم واقوالهم ، يهدون الخلق الى طريق الحق ، والى الدين المستقيم بامرنا معناه ان من اهتدى فالنعمة لنا عليه لأنه لولا البعثة منه تعالى للناس لما فهموا شيئاً من الدين .

واوحينا اليهم فعل الخيرات ، أي شرائع النبوة واقام الصلاة ، والاستمرار على فعلها ، وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ومخلصين في العبادة .

لوط ونتيجة ايمانه

قال تعالى على أثر ذلك : ولوطاً آتيناه حكما وعلماً ، قيل هي الحكمة ، وقيل هي النبوة ، وقيل هي الفصل بين الخصوم بالحق أي جعلناه حاكماً وعلمناه ما يحتاج اليه من العلم .

ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ، وهي قرية سدوم ، والخبائث التي كانوا يعملونها ، إتيانهم الذكران في ادبارهم ، ويتضارطون في انديتهم ، وغير ذلك من القبائح ، ولذا قالا سبحانه في حقهم « انهم كانوا قوم سوء فاسقين » وفي حقه (ع) « وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين » أي حيث انه اصلح أفعاله باصلاح نفسه ، أدخلناه في رحمتنا وهي النبوة وعظيم الدرجة .

وقد قال تعالى في اتمام قصته . ولما جاءت رسلنا لوطاً (١) جاؤه في صورة الادميين ، سيء بهم أي ساءه مجيئهم ، لخوفه عليهم من فعل قومه القبيح ، وضاق بهم ذرعا ، أي ضاق قلبه لما رأى من جمال صورهم ، وقد دعوه الى الضيافة ، ومسارعة قومه الى امثالهم من الذكران وقال هذا يوم عصيب ، أي هائل شديد الشر لأنه لم يعلم انهم رسل الله ، وخاف الفضيحة لأنهم ضيوفه .

وقال الصادق عليه السلام : جاءت الملائكة لوطا وهو في زراعة قرب القرية فسلموا عليه ورأى هيئة حسنة عليهم ثياب وعمائم بيض ، فقال لهم المنزل فتقدمهم ومشوا خلفه ، فقال في نفسه أي شيء صنعت آتي بهم قومي وانا اعرفهم ، فالتفت اليهم ، فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله ، وكان قد قال الله تعالى لجبرئيل لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرات ، فقال جبرئيل هذه واحدة ، ثم مشى لوط ثم التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله ، فقال جبرئيل هذه اثنان ، ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله ، فقال جبرئيل هذه الثالثة ، ثم دخل ودخلوا معه . حتى دخل منزله فلما رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة ، فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا فدخنت فلما رأوا الدخان اقبلوا يهرعون ، فذلك قوله تعالى وجاءه قومه يهرعون أي يسرعون في المشي لطلب الفاحشة ، وروي ان ابليس أخذ طفلا من حجر امه زوجة لوط ، وطرحه في البئر فصارت الصيحة ، فاجتمع الناس على دار لوط فوجدوا الضيوف .

ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، أي من قبل بعثة لوط كانوا يعملون الفواحش مع الذكور ، فاستحقوا عذاب الاستئصال لاصرارهم على الذنب .

قال لوط ياقوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم لما هموا بأضيافه وألقوا جلباب

(١) سورة هود آية ٨٠

الحياء عرض عليهم نكاح بناته ، وقال هن اطهر لكم أي أحل لكم من الرجال فدعاهم الى الحلال ، وقوله هذا حيث كانوا يخطبونهن منه فلا يزوجهم . واسمها زعوراء وريتا ، فسمح لهم بها عند ذلك ، وقال فاتقوا الله ، أي اتقوا عقابه في مواقعة الذكور . ولا تخزوني في ضيفي ، أي لا تلحقوا بي فضيحة وعاراً ، فان الضيف اذا نزل به معرة لحق عارها للمضيف .

أليس منكم رجل رشيد ، فيعمل بالمعروف وينهي عن المنكر ويزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم . قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق ، أي حاجة وانك لتعلم ما نريد أي ميلنا إلى الغلمان .

فعند ذلك تأسف وتألم على فقد تمكنه من دفاعهم ، بان قال لو ان لي بكم قوة ، أي منعة وقدرة وجماعة أتقوى بها عليكم ، فادفعكم عن اضيافي .

او آوي الى ركن شديد ، أي لوانضم الى عشيرة منيعة تنصرني ، وشيعة تمنعني لدفعتكم قال الصادق (ع) لو يعلم أي قوة له .

فكابروه حتى دخلوا البيت ، فصاح به جبرئيل يالوط دعهم يدخلوا ، فلما دخلوا اهوى جبرئيل بأصبعه نحوهم فذهبت اعينهم ، وهو قوله تعالى فطمسنا اعينهم

قال قتادة ذكر لنا ان الله لم يبعث نبياً بعد لوط إلا في عز من عشيرته ، ومنعة من قومه ، وروي عن النبي (ص) انه قال رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد ، وهو معونة الله تعالى .

ولما رأت الملائكة مالقيه لوط من قومه ، قالوا يالوط انا رسل ربك ارسلنا لهلاكهم فلا تغتم ، انهم لن يصلوا اليك أي لا ينالون منك سوءاً ، فاسر باهلك أي سر بهم ليلا قال السدي لم يؤمن بلوط إلا ابنتاه .

بقطع من الليل ، أي بعد طائفة من الليل ، وقيل في نصف من الليل .

ولا يلتفت منكم احد ، قيل معناه لا ينظر احد منكم وراءه كأنهم تعبدوا

بذلك للنجاة بالطاعة في هـذه العبادة وقيل لا يلتفت احـد منكم الى ماله ومتاعه بالمدينة الذي خلفه وراءه وليس معناه من الرؤية ، لأن فيها عبرة فلم ينهوا عنها وقيل معناه لا يتخلف منـكم احد .

وقيل انه أمرهم ان لا يلتفتوا اذا سمعوا الوجبة والهدة .

الا امرأتك قيل انها التفتت حين سمعت الوجبة ، فقالت ياقوماه فاصابها حجر فقتلها . وقيل : معناه لا تسر بها انه مصيبها ما أصابهم ، أي العذاب وقد امروه ان يخلفها في المدينة .

« ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب » لما اخبر الملائكة لوطاً بأنهم يهلكون قومه قال لهم أهلكوهم الساعة لضيق صدره بهم وشدة غيظه عليهم ، فقالوا ان موعد اهلاكهم الصبح وانما قالوا اليس الصبح بقريب ، تسلية له وفي هذا دلالة على ان الله تعالى انما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وان ضاق صدر الغير به .

ويجوز ان يكون جعل الصبح موعد اهلاكهم لأن النفوس فيه اودع والناس فيه أجمع ، فلما جاء امرنا بالاهلاك والعذاب جعلنا عاليها سافلها ، أي قلبنا القرية اسفلها اعلاها .

فان الله امر جبرئيل فادخل جناحه تحت الارض فرفعها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الارض فهم يتجلجلون فيها الى يوم القيمة وامطرنا عليهم حجارة ، أي على الغائبين من اهل القرية ، وقيل على تلك القرية حين رفعها جبرئيل وقيل امطرت الحجارة عليهم ، بعـد ان قلبت تغليظا للعقوبة .

وقيل انها كانت اربع مدائن وهي المؤتفكات سدوم وعامورا ودوما وصبوايم واعظمها سدوم وكان لوط يسكنها .

من سجيل ، أي حجر الطين الصلب وانها ليست مما جرت به العادة من

سقوط البرد من الغيوم (منضود) أي مصفوف يتابع بعضه بعضاً (مسومة) أي معلمة ومعدة للعذاب .

وقيل كان مكتوبا على كل حجرة اسم صاحبها عند ربك ، أي في علم ربك وليست من باب الصدفة وماهي من الظالمين ببعيد .

فيه إرهاب لأمة محمد (ص) قال : قتادة ما أجار منها احدا بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا منه على حذر .

وقيل معناه : انها لم تكن تخطئهم وذكر ان حجراً بقي معلقاً بين السماء والارض اربعين يوما يتوقع به رجل من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منه فاصابه وكانوا اربعة آلاف ألف .

وعن الباقر (ع) : كان قوم لوط افضل قوم خلقهم الله عز وجل فطلبهم ابليس طلباً شديدا وكان من فضلهم اذا خرجوا الى العمل خرجوا جميعاً ، وتبقى النساء خلفهم مبالغة منهم في العفه فحسدهم ابليس على عبادتهم ، فكان اذا رجعوا خرب مايعملون فقالوا فلنرصد هـذا الذي يخرب متاعنا ، فاذا هو غلام كأحسن مايكون من الغلمان قالوا انت الذى تخرب متاعنا قال نعم مرة بعـد مرة فاجتمع رأيهم على قتله فبيتوه عند رجل فلما كان الليل صاح فقال له مابالك ، قال كان ابي ينومني على بطنه قال فنم على بطني فلم يزل به حتى علمه ان يعمل به ، والرجل علم غيره فاعجبهم « أي ذلك العمل وهو اللواط » وما كانوا يعرفون هذا العمل ثم انسل ففر منهم بعد ان شوق بعضهم على بعض .

هذه مكائد ابليس الخفية البعيدة المدى ، فيلزمنا الحذر بامعان وسهر على قدر ما يكيد ويتعمق وانه ليستعمل اقوى سلاحه لمن يقوى ايمانه ، وتكثر طاعته وعبادته .

الهجرة

وقال ابراهيم (اني مهاجراً الى ربي) (١) وقال ايضاً اني ذاهب الى ربي سيهدين) (٢) .

أي خارج من جملة الظالمين ومن العداد معهم على جهة الهجر لهم لقبيح اعمالهم ومعنى قوله (الى ربي) اي من حيث امرني ربي وهذا من اوضح مصاديق النهي عن المنكر واشدها تضحية وهو ترك الوطن كما هاجر المسلمون الى ارض الحبشة من مكة تاركين وطنهم ، ثم الهجرة الثانية الى المدينة بعد ان اشتد أذى المشركين لهم .

فعندما يئس ابراهيم (ع) من قومه وعلم باستحقاقهم العذاب ، وقد نزل قبلهم بقوم لوط ، فخرج قاصدا الشام ومعه لوط وامرأته سارة ، وكانت ابنة عمه وقيل ابنة خالته .

وقد كان (ع) غيورا قال رسول الله (ص) كان ابراهيم غيورا وانا اغير منه والله تعالى اغير منا وقد أدت به غيرته الى الغضب الذي هو ضد طبيعته لاجل زوجته وقد قال سبحانه في بيان طبيعته « ان ابراهيم لحليم (٣) اواه (٤) منيب (٥) » .

---

(١) العنكبوت (٢) هود (٣) الصافات آية ٩٨

(٤) الذى يمهل صاحب الذنب فلا يعاجله بالعقوبة

(٥) الرحيم وقيل هو الرجاع أى عن الذنب فيتأوه ويرجع عن الذنب خوفا من العقاب وذنب كل بحسبه (٦) الراجع الى الطاعة بعد الحالة الصارفة عنها .

القصة

لما خرج الى الشام اوالى البيت المقدس عمل تابوتاً وجعل فيه سارة ، وشد عليها الاغلاق وجعلها مع ماشيته غيرة منه عليها لئلا يراها احد .

فلما خرج من سلطان نمرود ودخل في سلطان غرارة ملك القبط فاعترضه العشار ، وقال له افتح هذا التابوت حتى نعشر مافيه فقال ابراهيم (ع) قل ماشئت فيه من فضة او ذهب حتى نعطي عشره ولا تفتحه فابى الا فتحه فغضب ابراهيم على حلمه لجهة رؤية العشار لسارة وكانت موصوفة بالجمال .

فقال العشار ماهذه الحرمة منك قال (ع) زوجتي وابنة خالتي قال لم وضعتها في التابوت قال (ع) غيرة عليها .

قال ان امرك لمريب لا ادعك تبرح حتى اعلم الملك حالها وحالك فامر الملك باحضار التابوت ، فقال ابراهيم (ع) لا افارق التابوت حتى تفارق روحي جسدي فقال الملك احضروه مع التابوت فاحضر وجميع مامعه .

قال له الملك افتح التابوت قال (ع) ايها الملك ان فيه حرمتي وابنة خالتي وانا مفتد فتحه بجميع ماعندي فاجبر الملك ابراهيم (ع) على فتحه .

فلما رأى ساره لم يملك نفسه ان مديده فاعرض (ع) بوجهه عنها غيرة منه وقال اللهم احبس يده عن حرمتي فلم تصل يده اليها . ولم ترجع اليه .

فقال ان إلهك هو الذي فعل بي هذا ، قال (ع) نعم ان إلهي غيور ويكره الحرام وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام قال فادع إلهك ان يرد علي يدي فان فعل لم اتعرض لها فقال (ع) إلهي رد اليه يده ليكف عن حرمتي فرد الله يده فاقبل الملك اليها ببصره فعاد اليها بيده ، فاعرض (ع) بوجهه

وقال اللهم احبس يده عنها فيبست ولم تصل اليها ، فقال لابراهيم ان إلهك لغيور وانك لغيور فادع الله يرد يدي فان فعل لم اعد فقال (ع) اللهم ان كان صادقا فاردد عليه يده فردت ورجعت فلما رأى منه من الغيرة عظم ابراهيم (ع) وهابه واتقاه وقال له قد امنت من ان اعرض لها ، او لشيء مما معك فانطلق حيث شئت فمضى الى بيت المقدس .

غيرة جبرئيل ايضاً

ذهبت خديجة (ع) يوما الى بيت عمها ورقة بن نوفل ، وكان شاكا بنزول الوحي على محمد (ص) : فقال لخديجة اذا جاءته حالة الوحي ودخل عليه صاحبه فاكشفي عن رأسك ، فان خرج فهو ملك ، وان بقي فهو شيطان .

فلما نزعت خمارها خرج الجائي فلما اختمرت عاد فلما فهم ورقة حالة الجائي من الغيرة قام وقبل رأس النبي (ص) : وقال والله هذا هو الناموس الذي نزل على موسى وعيسى .

ثم قال ابشر فانك النبي الذي بشر به موسى وعيسى ، وانك نبي مرسل مؤتمر بالجهاد والى غير ذلك من الاخبار .

حتى قيل من لا غيرة له لا دين له .

وقال رسول الله (ص) : من عرضت له فاحشة او شهوة فاجتنبها من مخافة الله ، حرم الله عليه النار ، وآمنه من الفزع الاكبر وانجز له وعده في قوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » (١) .

فهل آن للمسلمين ان يتراجعوا عما هم عليه من التهتك ، وبذل الاعراض

(١) الرحمن آية ٤٧

مجاناً للمتفرجين ، غيرة منهم ان لم يكن لهم دين .

الم يصغوا الى صريح قوله تعالى « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » وتعميم ملاكها وواضح قوله « يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلا بيبهن » (١) .

وقوله تعالى « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن الخ » (٢) .

وقد ذكر ان حكمة ابتلائهن بالحيض في كل شهر لاشغالهن عما كن تعودنه من مجالسة الرجال في النوادي زمن الجاهلية .

البشارة

قال تعالى « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخاً ان هذا شيء عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم اواه منيب يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود (٣) .

سبق وان دعا ابراهيم (ع) : ربه يطلب منه الولد بقوله رب هب لي من الصالحين » (٤) .

(١) الاحزاب آية ٦٠ (٢) النور ٣٢ (٣) هود ٦٩ (٤) الصافات ٩٩

حيث ان الولد الصالح من الصدقات الجارية كما انه محبوب لذاته ، فطلبه يجمع لذة الدنيا والآخرة .

فيجيبه ربه بارسال وفد يبشرونه بذلك قيل انهم ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وقيل اربعة ورابعهم كروبيل ، عن ابي عبد الله (ع) : وقيل كانوا تسعة وقيل احد عشر وكانوا على صورة الغلمان .

فبشروه بأسحق اولا ، وبأنه نبي ثانيا وانه يولد له يعقوب ثالثاً ، لان الكريم عادة لا يقتصر في عطائه على القدر المسئول به وهو سبحانه اكرم من كل كريم فعلينا ان نخلص في الدعاء ونكثر من السئوال ومنه الاجابة .

وروي عن ابي جعفر (ع) : ان هذه البشارة كانت باسماعيل من هاجر وقيل كانت البشارة بهلاك قوم لوط ، فعندما جاءوا الى ابراهيم وهم المؤدبون بتعاليم الله تعالى ابتدؤا وقالوا سلاما تحية منهم لابراهيم (ع) وقد اجابهم بنفس المعنى وهو الدعاء بالسلامة ، ويجري على عادته .

فما لبث ان جاء بعجل حنيذ أي لم يتوقف واسرع على عادته في اكرام الاضياف وقدم لهم العجل المشوي حيث اعتبرهم ضيوفا لكونهم على صورة البشر وكان يحب الضيوف وصار لذلك من السنة ان يعجل للضيف الطعام ، وقد جاء الحث والترغيب على الضيافة واكرام الضيف الكثير من الاخبار حتى ورد انه ما يضركم من الضيف فانه يدخل عليكم البيت برزقه ويخرج بذنوب اهل البيت .

قيل ان معنى قوله حنيذ أي نضيج بالحجارة المحماة في خد من الارض وهو فعل اهل البادية .

وقيل معناه مشوي يقطر ماؤه .

ولما رأى ايديهم اي الملائكة لاتصل اليه ، اي الى العجل نكرهم أي انكرهم واوجس منهم خيفة ، اي اضمر في نفسه منهم خيفة .

واختلف في سبب الخوف فقيل حيث راهم شباناً اقوياء وكان ينزل طرفا من البلد وكانوا يمتنعون من اكل طعامه لم يأمن ان يكون ذلك لبلاء ، لأن اهل ذلك الزمان اذا اكل بعضهم طعام بعض امنه صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا .

وقيل ظنهم لصوصاً يريدون به سوأ ، وقيل ظنهم انهم ليسوا من البشر وانهم جاؤا لأمر عظيم ، وقيل علم انهم ملائكة ، فخاف ان يكون قومه المقصودين بالعذاب .

لأن همم المرشدين اصلاح وانقاذ من يرشدونه لاهلاكه والانتقام والتشفي منه ، ولعله (ع) لقصد استمرار الارشاد يطلب من الله تعالى الولد الصالح كي يخلفه في الارشاد حتى قالوا له عندما شعروا منه الخوف لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب لا الى قومك .

وقيل انهم دعوا الله فاحيا العجل المشوي فطفر ورعى فعلم حينئذ انهم رسل الله تعالى وامرأته سارة قائمة من وراء الستر تسمع الكلام وقيل كانت قائمة تصلي وكان ابراهيم جالساً فضحكت قيل هو الضحك المعروف عند الفرح ، وقد يكون عند التعجب ايضاً فضحكت تعجباً من غفلة قوم لوط ، مع قرب نزول العذاب بهم وقيل ضحكت لانها كانت قالت لابراهيم اضمم لوطا ابن اختك اليك فاني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم العذاب فضحكت لما أتي الامر على ماظنت .

وقيل تعجباً وسروراً من البشارة باسحق لانها كانت قد هرمت وهي ابنة ثمان وتسعين سنة او تسع وتسعين سنة وزوجها قد شاخ وكان ابن تسع وتسعين او مائه سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يولد لهما ولد في حال شبابهما ، روي ذلك عن ابي جعفر (ع) : واما قوله تعالى فبشرناها باسحق أي بابن مع تسميته من الله تعالى باسحق نبياً ومن وراء اسحق يعقوب .

قيل ان الوراء هو ولد الولد ، أي بشرناها بنبي بين نبيين وهو اسحق هو نبي وابوه ابراهيم نبي وولده يعقوب نبي .

وقيل ضحكت اى حاضت لوقتها مع كبر سنها ، لما اراد الله تعالى ذلك يقال ضحكت الارنب ، اي حاضت والضحك بفتح الضاد الحيض وفي اللغة ضحكت النخلة اذا خرج الطلع او البسر .

قالت سارة : ياويلتى أألد وانا عجوز ، اي ان هذا شيء عجيب ، ان ألد وقد شخت ومن زوج شيخ ، ولم تشك في قدرة الله تعالى ، ولكن لخروجه عن العادة .

كما ولى موسى (ع) : هاربا حين انقلبت عصاه حية حتى قيل له إقبل ولا تخف والا فهي عارفة بأن الله على كل شيء قدير .

وقيل لم تتعجب من قدرة الله ولكنها ارادت ان تعرف هل تتحول شابة ام تلد على تلك الحال وهذا كله عجيب .

قالوا أتعجبين من أمر الله ، والاستفهام بمعنى التنبيه رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت أي ان هذا ليس موضع تعجب لأن التعجب انما يكون من الأمر الذي لا يعرف سببه ، والحال ان نعم الله وكثرة خيراته عليكم مستمرة ، وثابتة باقية فلا عجب .

ويحتمل ان يكون هذا الكلام من الملائكة لا للتنبيه على ماذكرنا ، وانما قصدوا به الدعاء لهم بالرحمة ، والمعني بأهل البيت اهل بيت ابراهيم ، وانما جعلت زوجته سارة من اهل بيته مع ان الزوجة لا تعد من اهل بيت الرجل لأنها ابنة عمه لا لأنها زوجة .

وروي ان امير المؤمنين (ع) : مر بقوم فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ومغفرته ورضوانه .

فقال (ع) : لا تتجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لابينا ابراهيم ، رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت .

انه حميد أي محمود على افعاله ، وقيل الحميد الذي يحمد عباده على الطاعات مجيد أي كريم ، وهو المبتدىء بالعطايا قبل الاستحقاق ، وقيل معناه واسع القدرة والنعمة .

وروي ان سارة قالت لجبرئيل ما آية ذلك فاخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين اصابعه فاهتز اخضراً .

فلما ذهب عن ابراهيم الروع ، أي الخوف والفزع الذي دخله من الرسل وجاءته البشرى بالولد واطمأن قلبه ، اخذ يتشفع لقوم لوط بالممكن .

يجادلنا في قوم لوط أى يجادل رسلنا ويسألهم في قوم لوط ، ومعنى تلك المجادلة انه قال لهم ان كان فيهم خمسون من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لاقال فاربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا ، فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الخ .

وقيل انه جادلهم وقال بأي شيء استحقوا عذاب الاستئصال ، وهل ذلك واقع لا محالة ام تخويف ليرجعوا إلى الطاعة وبأي شيء يهلكون وكيف ينجي الله المؤمنين فحيث سألهم سؤال مستقص ، سمي ذلك السؤال جدالا لانه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض والجدال غالباً يكشف الغوامض .

المدحة من الله تعالى لخليله (ع)

لدفع الشبهة عنه (ع)

« ان ابراهيم لحليم اواه » أي كثير الدعاء والبكاء وقيل الأواه الرحيم بعباد الله وقيل هو الذي اذا ذكر النار قال اوه وقيل الاواه المؤمن على لغة الحبشة وقيل الاواه الموقن المستيقن .

وقيل العفيف وقيل الرجاع عن كل مايكره الله ، وقيل هوالخاشع المتضرع وقيل هو المسبح الكثير الذكر لله سبحانه وقيل المتأوه شفقا وفرقا ، المتضرع يقينا بالاجابة ولزوما للطاعة .

حليم يقال بلغ من حلم ابراهيم (ع) : ان رجلا قد آذاه وشتمه فقال له هداك الله .

وقيل الحليم السيد وأصله الصبور على الأذى الصفوح عن الذنب ، لأن سيد القوم غالباً يكون كذلك .

منيب أي راجع الى الله في جميع اموره متوكل عليه وفي هذه الاوصاف اشارة الى ان تلك المجادلة من ابراهيم لم تكن من باب ما يكره ، فمدحه على اثرها بالحلم وبان ذلك كان من الرأفة والرحمة ورقة القلب حيث رأى الكثير من الخلق صائرين الي النار فتأوه ، وقوله تعالى يا ابراهيم اعرض عن هذا هو حكاية ماقالته الرسل لابراهيم (ع) : أي اعرض عن هذا التشفع والقول في قوم لوط وانصرف بالذكر والفكر في عظمة الله ، وقد حان وقت الانتقام .

وانه قد جاء أمر ربك بالعذاب فهو نازل بهم لا محالة وانهم آتيهم عذاب

غير مردود ، أي مدفوع عنهم ولا يقدر أحد على رده عنهم لانه من المحتمات المنجزات لعلمه سبحانه بعدم توبتهم وارتداعهم عما هم عليه وبقائهم مصرين على المعاصى وقد قامت عليهم الحجة الكافية فاستحقوا العذاب في الدارين .

ويعود سبحانه على الخليل (ع)
بأشد الامتحان

بينما اخذ ابراهيم شبه الراحة من هجرته عن اهل الشرك ، وتلذذه بالولد حيث هو ريحانة القلب وتأتي الارشاد لديه في عباد الله تعالى بعد رفع كابوس الاضطهاد الذي كان قد خيم عليه فيعود عليه الحكيم في افعاله حيث سبق في علمه ان يصب البلاء على عبده المؤمن في دار الدنيا صباً ، لا لهوان عبده المؤمن عليه سبحانه بل لترفيع درجته في الآخرة ، واظهار عميق طاعته في الدنيا وعظيم صبره وتسليمه لأمر ربه .

تكليفه بذبح ولده

« فلما بلغ معه السعى » اي شب حتى وصل الى مبلغ يسعى كسعي ابيه ويعينه على اموره ، حيث يأخذ الولد بهذا الحال مقره في سويداء القلب ويحصل على اكمل درجات الحب ، وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة ، ويعني بالسعي بالدرجة الأولى العمل لله والعبادة ، قال يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى .

معنى رأى في الكلام يأتي على خمسة اوجه ابصر ، وعلم ، وظن ، واعتقد وبمعنى الرأي .

والأولى ان يكون سبحانه قد اوحى اليه في حال اليقظة ، وتعبده بأن يمضي ما يأمره به في حال نومه .

وقال ابن جبير : منامات الانبياء وحي وقال قتادة رؤيا الانبياء حتى اذا رأوا شيئاً فعلوه وقال ابو مسلم ان رؤيا الانبياء على ضربين «الأول» ان يأتي كما رأوه ومنه قوله تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام » الخ .

(الثاني) : ان يكون على خلاف الظاهر كرؤيا يوسف (ع) الاحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين وكانت رؤيا ابراهيم من هذا القبيل لكنه لم يأمن ان يكون ما رآه مما يلزم العمل به على الحقيقة وليس فيه تأويل ، لذا شرع في مقدمات الفعل امتثالا ، فلما اسلما أعلمه الله انه صدق الرؤيا ، بما فعله وفدى ابنه من الذبح بالذبح .

فعندما عرض ما اراده على ولده مستكشفاً بذلك مدى طاعته ، وتسليمه لأمر ربه ، قال يا ابت افعل ماتؤمر أي ما امرت به لانه قد علم واعتقد بانه تعالى لا يأمر إلا بصالح عبده فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، أي ستصادفني بمشيئة الله وحسن توفيقه ممن يصبر على الشدائد في جنب الله ويسلم لأمره .

فلما اسلما ، اي استسلما لأمر الله ورضيا به واطاعاه وقيل معناه سلم الأب ابنه لله وسلم الابن نفسه لله .

وتله للجبين : اي اضجعه على جبينه وقيل معناه وضع جبينيه على الارض لئلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء عن ابن عباس .

وروي انه قال لأبيه إذبحني وانا ساجد ، لا تنظر إلى وجهي فعسى ان ترحمني فلا تذبحني .

الذبيح اسماعيل أم اسحق

اختلف العلماء على قولين ذهب بعض الى ان الذبيح اسماعيل (ع) وبعض الى انه اسحق والظاهر الأول ، لأن الله تعالى قال وبشرناه بأسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يبشره بذرية اسحق ، ثم يأمره بذبح اسحق قبل ان يتزوج ويولد له يعقوب . والاخبار في ذلك كثيرة .

فقد صح عن النبي (ص) : انه قال انا ابن الذبيحين ولا خلاف انه (ص) من ولد اسماعيل والذبيح الثاني هو ابوه عبد الله حيث كان قد نذر عبد المطلب ان رزقه الله عشرة اولاد ذبح واحدا منهم وكانت القرعة خرجت على عبدالله مرارا حتى تم فدائه بالمائة ناقة ، والقصة مشهورة ومفصلة في مواضعها .

واما القول بانه اسحق فمنشأه يظهر من هذه الرواية وهي :

قال محمد ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظي قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فسألني عن الذبيح ، فقلت اسماعيل واستدللت بقوله تعالى وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين فكيف يأمر بذبحه وبعد لم يبعث نبيا ، فارسل الى رجل بالشام كان يهوديا اسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال هو اسماعيل ثم قال والله ياامير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون ابوكم الذي كان من امر الله فيه ما كان ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لأنه ابوهم .

وقال الاصمعي : سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحق ام اسماعيل فقال الاصمعي اين ذهب عقلك عنك ومتى كان اسحق بمكة ، وانما كان بمكة

اسماعيل وهو بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة لاشك فيه ، وبعد ما ظهر صمود الخليل على امتثال ربه وكذلك ولده يعود سبحانه فيقول وفديناه بذبح عظيم .

الفداء جعل الشيء مكان الشيء لدفع الضرر عنه ، والذبح هو المذبوح ومعناه انا جعلنا الذبح بدلا عنه .

واختلف في الذبح فقيل كان كبشاً من الغنم ، قال ابن عباس هو الكبش الذي تقبل من هابيل حين قربه ، وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير (١) ولم سمي عظيماً ، قيل لأنه كان مقبولا وقيل لأن قدر غيره من الكباش يصغر بالاضافة اليه وقيل لأنه فداء عن عبد عظيم وهو اسماعيل .

وقال تعالى قبل هذا وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، أي فعلت ما أمرت به في الرؤيا .

« تعميم الملاك »

قال تعالى « انا كذلك نجزي المحسنين » اي كما جزينا ابراهيم (ع) : بالعفو عن ذبح ابنه كذلك نجزي من سلك طريقهما في الاحسان بالاستسلام والانقياد لأمر الله والتصميم على طاعته وبعبارة اجلى ان هذه الدرجات المعطاة لهذه الذوات هي ليست عفوا ، بل هي لاستحقاقهم اياها وقد سبق ذلك في علم الله تعالى وانما هذه الاختبارات مظاهر علم الله الخفي فيهم فكل من يعمل عملهم يستحق درجتهم وانى ذلك لمخلوق غيرهم .

وقد قال سبحانه في مدحهم « ان هذا لهو البلاء المبين » اي ان هذا لهو

(١) جبل عن يمين الرامي بمنى

الامتحان الظاهر والاختبار الشديد ، وقيل معناه ان هذا لهو النعمة الظاهر؟ وتسمى النعمة بلاء باسم سببها المؤدي اليها ، تسميه للمسبب باسم السبب كما يقال لاسباب الموت انها الموت لأنها تؤدي اليه .

ايضاح القصة

من ذهب الى ان الذبيح اسحق ، ذكر ان ابراهيم لما فارق قومه مهاجراً الى الشام هاربا بدينه ، كما حكى عنه الجليل جل شأنه بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين ، - وقد مرت - دعا الله ان يهب له ولدا من سارة ، فلما نزل به اضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة وبشروه بغلام حليم .

قال ابراهيم حين بشر به هو اذا للذبح ، فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له اوف بعهدك ونذرك فكان هذا هو السبب في امره بذبح ابنه .

فقال ابراهيم عند ذلك لابنه اسحق انطلق نقرب قربانا لله ، واخذ سكيناً وحبلا ثم انطلق معه حتى اذا ذهب بين الجبال ، قال له الغلام يا ابه اين قربانك فقال يابني اني ارى في المنام اني اذبحك الخ .

وقيل ان ابراهيم رأى في المنام ان يذبح ابنه اسحق ، وقد كان حج بوالدته سارة واهله وامر سارة فزارت البيت واحتبس الغلام فانطلق به الى موضع الجمرة الوسطى فاستشاره في نفسه فقال له الغلام امض فيما امرت به وسلما لأمر الله .

فاقبل شيخ فقال يا ابراهيم ماتريد بهذا الغلام قال اريد ان اذبحه ، فقال سبحان الله تريد ان تذبح غلاما لم يعص الله طرفة عين قط ، قال ابراهيم ان الله امرني بذلك .

قال ربك ينهاك عن ذلك وانما امرك بهذا الشيطان ، فقال ابراهيم لا والله

قال الغلام يا ابتاه خمر وجهي (١) وشد وثاقي .

قال ابراهيم (ع) يابني الوثاق مع الذبح والله لاجمعهما عليك اليوم ورفع رأسه الى السماء ثم انحنى عليه بالمدية وقلب جبرئيل المدية على قفاها ، واجتر الكبش من قبل ثبير واجتر الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي من ميسرة مسجد الخيف يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا باسحق انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين ، قال ولحق ابليس بأم الغلام حين زارت البيت ، قال ماشيخ رأيته بمنى قالت ذاك بعلي ، قال فوصيف رأيته (٢) قالت ذاك ابني .

قال فاني رأيته وقد اضجعه واخذ المدية ليذبحه ، قالت كذبت ان ابراهيم ارحم الناس فكيف يذبح ابنه ، قال فورب السماء ورب هذه الكعبة قد رأيته كذلك قالت ولم ؟ قال زعم ان ربه امره بذلك .

قالت حق له ان يطيع ربه فوقع في نفسها انه قد امر في ابنها بأمر فلما قضت نسكها اسرعت في الوادي راجعة إلى منى ، واضعة يديها على رأسها وهي تقول رب لا تؤاخذني بما عملت بأم اسماعيل .

فلما جاءت سارة واخبرت الخبر ، قامت الى ابنها تنظره ، فرأت اثر السكين خدشاً في حلقه ففزعت واشتكت وكان بدو مرضها الذي هلكت به .

رواه العياشي وعلي بن ابراهيم بالاسناد في كتابيهما .

ومن قال ان الذبيح اسماعيل :

ذكر ان ابراهيم (ع) : كان اذا زار اسماعيل وهاجر حمل على البراق فيغدوا من الشام فيقيل في مكة ، ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام .

حتى اذا بلغ معه السعي رأى في المنام ان يذبحه فقال له يا بني خذ الحبل والمدية ، ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب ، فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب

(١) الخمار مايغطى الوجه (٢) يعني بذلك الغلام

ثبير اخبره بما ذكره الله عنه .

فقال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب ، واكفف عني ثيابك حتى لاينتضح من دمي شيء فتراه امي ، واشحذ شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد .

فقال له ابراهيم (ع) : نعم العون انت يا بني على أمر الله ، ثم ذكر نحواً مما تقدم ذكره .

وروي العياشي باسناده عن بريد بن معاوية العجلي، قال قلت لابي عبد الله عليه السلام : كم كان بين بشارة ابراهيم بأساعيل وبين بشارته باسحق قال (ع) : كان بين البشارتين خمس سنين ، قال سبحانه فبشرناه بغلام حليم ، يعني اسماعيل وهي أول بشارة بشر الله بها ابراهيم في الولد .

ولما ولد لأبراهيم اسحق من سارة ، وبلغ ثلاث سنين اقبل اسماعيل وهو في حجر ابيه ، فنحاه وجلس في مجلسه ، فبصرت به سارة فقالت يا ابراهيم ينحي ابن هاجر ابني من حجرك ، ويجلس هو في مكانه ، لا والله لا تجاورني هاجر وابنها في بلاد ابدا فنحها عني .

وكان ابراهيم مكرما لسارة يعزها ويعرف حقها لأنها كانت من ولد الانبياء (١) وان هاجر كانت امتها ومملوكتها ، واعتقتها وتزوجها ابراهيم عليه السلام بأذنها .

فشق طلبها على ابراهيم ، واغتم لفراق اسماعيل ، فلما كان في الليل اتى آت إلى ابراهيم من ربه ، فاراه الرؤيا في ذبح ابنه اساعيل بموسم مكة .

فاصبح ابراهيم حزيناً للرؤيا التي رآها ، فلما حضر موسم ذلك العام حمل ابراهيم هاجر واسماعيل في ذي الحجة من ارض الشام ، فانطلق بهما الى مكة

(١) سارة بنت هاران بن ياحور بن ساروع بن ارعوى بن فالغ .

ليذبحه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام ، فلما رفع قواعده وخرج إلى منى حاجا وقضى نسكه بمنى رجع إلى مكة فطافا بالبيت اسبوعا ، ثم انطلقا الى السعي فلما صارا في المسعى قال ابراهيم لأسماعيل يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك في موسم عامي هذا فماذا ترى ؟

قال يا ابت افعل ماتؤمر ! ! .

فلما فرغا من سعيهما انطلق به ابراهيم الى منى وذلك يوم النحر فلما انتهى به الى الجمرة الوسطى، واضجعه لجنبه الأيسر واخذ الشفرة ، نودي ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الخ .

وفدى ابراهيم بكبش عظيم فذبحه وتصدق بلحمه على المساكين .

وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) : قال ساءلته عن كبش ابراهيم ماكان لونه قال (ع) : املح اقرن ، ونزل من السماء على الجبل الايمن من مسجد منى بحيلبال الجمرة الوسطى وكان يمشي في سواد ويأكل في سواد ، وينظر في سواد ويعبر في سواد ويبول في سواد .

وعن عبد الله بن سنان ، عن ابي عبد الله (ع) : انه سئل عن صاحب الذبح ، قال هو اسماعيل وعن زياد بن سوقة عن ابي جعفر (ع) : قال ساءلته عن صاحب الذبح فقال اسماعيل .

اخذ العبرة من القصة

استفدنا من هذه القصة ، ان ألطاف الله سبحانه لا زالت تساند العبد وتسدد مواقفه رغم مكائد الشيطان الدقيقة ، فيما اذا صمم العبد على الطاعة وضحى بكل امكانياته في سبيل دين الله كما رأينا من تصميم الخليل (ع) ولطف الجليل

به بالفداء مع المدحة له منه سبحانه وتعالى .

وفهمنا ايضاً الدقيق من مكائد إبليس وان مكره يختلف باختلاف ايمان العباد قوة وضعفاً فيغوي بعضهم بالكفر والجمود وبعضهم بالعصيان والفسوق وبعضهم بالشك والتحير وبعضهم من طريق الطاعة والعبادة المعكوسة ، كما وضح ذلك من قوله لأبراهيم ان الله ينهاك عن ذبحه ، وكيف يجوز لك ذبح غلام لم يعص الله ابداً .

وما سمعته من ازعاجه لسارة بفنونه كي يخرجها عن اعتدالها بدوافع الطبيعة على الاقل ، ومن طريق الرقة والعاطفة على ولدها .

وفهمنا اخيراً كيف يتثبت المؤمن عند عروض الشكوك والشبهات ، كما قد ساءلته سارة . لم فعل ابراهيم ذلك بولده لتعرف انه امر الهي ام لا .

فقال ابليس زعم ان ربه امره بذلك ، فعندما استسلمت بقولها حق له ان يطيع ربه .

كل ذلك للايمان بالله حق الايمان وانه المرجع في كل الامور ، وانه المدبر لها وفق الحكمة والمصلحة ، ولابد من التسليم له تعالى في كل الاحوال والانقياد لأوامره ونواهيه وقد علمنا ان الدنيا مرحلة كسب وعناء ، والآخرة دار سعادة وبقاء وان كل مايقاسيه العبد من شدائد الدنيا توفير لرزق الآخرة ، وترفيع لمراتب القرب من الله وجوار انبيائه واوليائه .

بالاضافة الى حصول راحة النفس والروح في الدنيا ، بتأمين مستقبلها ، كما نامس ان من تعب في عمل اشد التعب ، مؤملا اضعاف اجوره المعتادة لا يجد لذلك التعب اثراً .

ابراهيم حريص على زيادة المعرفة
بقدرة الله تعالى

قال الله تعالى : « وإذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى » (١) .

اختلف في سبب سؤال ابراهيم (ع) هذا على وجوه :

(احدها) وهو المروي عن ابي عبدالله (ع) انه رأى جيفة تمزقها السباع فيأكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر ، فسأل ابراهيم وقال : يارب قد علمت انك تجمعها من بطون السباع والطير ودواب البحر ، فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك .

(ثانيها) عن ابن عباس وسعيد بن جبير إن الملك بشر ابراهيم بأن الله قد اتخذه خليلا وانه يجيب دعوته ويحيي الموتى بدعائه ، فسأل الله ان يفعل ذلك ليطمئن بأنه قد أجاب دعوته واتخذه خليلا ، لأن ظهور إحدى الثلاث يدل على جريان الاثنتين الباقيتين .

(ثالثها) ان سبب السؤال منازعة نمرود إياه في الأحياء ، إذ قال : أنا أحيي وأميت وأطلق محبوساً وقتل انساناً ، فقال ابراهيم : هذا ليس باحياء ، وقال : رب أرني كيف تحيي الموتى ليعلم نمرود بذلك . وروي ان نمروداً توعده بالقتل إن لم يحي الله الميت بحيث يشاهده فلذلك .

قال (ع) : ليطمئن قلبي اي بأن لا يقتلني الجبار ، لأنه لما قال (ع) له هذا ليس باحياء وإنما الاحياء ان يكون على سبيل الاختراع الذي ينفرد به تعالى ولا يقدر عليه سواه . قال : فليحي الميت ربك .

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٠ .

وحيث ان ما تمسك به نمرود مما يلبس به على البسطاء ، عدل (ع) إلى الحجة الواضحة لكل احد بقوله : فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ، اي تحير في الجواب ، فان قيل : لِمَ لم يقل نمرود عند ذلك فليأت بها ربك من المغرب ؟ .

يقال في الجواب لأنه علم بتلك الآيات واعتقد ان لو اقترح ذلك لأتى بها الله تصديقاً لابراهيم فكان يزداد فضيحة ، ثم إن الأنبياء وكذلك الصلحاء لا يقصدون إلا البيان والايضاح ليهتدي المشكك والضال ، وليس من شأنهم اللجاج وقصد غلبة الخصم ، ولذا عدل إلى الأوضح حجة والأجلى دلالة ليدفع بذلك حتى الشبهة والتلبيس على الحاضرين .

(رابعها) انه (ع) احب ان يعلم ذلك عياناً كما علمه برهاناً ويقيناً لتزول الخواطر ووساوس الشيطان وهذا اقوى الوجوه .

قال سبحانه في جوابه : أولم تؤمن ؟ والسؤال تقريري لاسقاط التهمة عنه وتنزيهاً له من شك الغير به ومعناه انك قد آمنت بي فلِمَ تسأل عن مثل هذا قال : بلى أنا مؤمن ولكن ليطمئن قلبي وأزداد يقيناً إلى يقيني ويسكن قلبي إلى علم الأعيان بعد علم البرهان .

وقيل : إن معنى قوله ليطمئن قلبي اي بأنك قد اجبت مسألتي واتخذتني خليلا بالمعنى السابق الذكر .

اجابة الجليل دعوة الخليل

قال تعالى : فخذ اربعة من الطير مختلفة الأجناس وإنما خص الطير من بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران لكي تطير اليه عند دعائه لها وقيل : إنها

الطاووس والديك والحمام والغراب . وقيل : بدل الحمام النسر وبدل الغراب البط .

وأمره ان يقطعها ويخلط ريشها بدمها توضيحاً للقدرة ، لأن معنى قوله فصرهن اليك ، اي قطعهن . وقيل : إن معناه اضممهن اليك .

ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً مبالغة في التفريق وإبعاد بعضها عن بعض

ثم ادعهن يأتينك سعياً ، عن ابي عبدالله (ع) إن معناه فرقهن على كل جبل وكانت عشرة أجبل ، ثم خذ بمناقيرهن وادعهن باسمي الأكبر وحلفهن بالجبروت والعظمة ، ففعل ابراهيم ذلك ثم دعاهن وقال : احيين باذن الله فكانت تجتمع ويأتلف لحم كل واحد وعظمه إلى رأسه وطارت إلى ابراهيم (ع) .

وقيل : إن الجبال كانت سبعة وقيل : اربعة .

ولما دعاهن نظر ابراهيم إلى الريش يسعى بعضه إلى بعض ، وكذلك العظام واللحم ثم اتينه سعياً على أرجلهن فتلقى كل طائر رأسه فلما تمت الاجابة من الله له (ع) قال تعالى له مؤكداً : واعلم ان الله عزيز ، اي قوي لا يعجز عن شيء ، حكيم في افعاله واقواله .

العبرة من ذلك

إنما خص الله سبحانه هذه الأربعة لأنه تعالى يريد بالطاووس زينة الدنيا وبالنسر طول الأمل وبالبط الحرص وبالديك الشهوة ، لأن هذه الطيور مظاهر هذه الصفات .

فكأنه تعالى يقول لابراهيم ولسائر عباده : إن احببت ان يحي قلبك ، ويطمئن بي فاخرج عن هذه الأشياء الأربعة ، فان من كانت في قلبه لا يطمئن معي ولا يأنس بي ، فالأمر بذبحها كناية عن الخروج عنها وعدم استعمالها .

الذرية على منهج أبيها ابراهيم (ع)

يونس بن ظبيان قال : كنت عند الصادق (ع) مع جماعة فقلت قول الله لابراهيم : خذ اربعة من الطير فصرهن اليك أكانت اربعة من اجناس مختلفة او من جنس واحد (وحيث فهم الامام منه التعريض) .

قال (ع) : أتحبون ان اريكم مثله ؟ قلت : نعم قال (ع) : يا طاووس فاذا طاووس طار إلى حضرته ، فقال : يا غراب فاذا غراب بين يديه ، ثم قال : يا بازي فاذا بازي بين يديه ، ثم قال : يا حمامة فاذا حمامة بين يديه ، وإحضارها كرامة اخرى اضيفت إلى إحيائها بخلاف كرامة ابراهيم فأنها كانت موجودة ثم امر بذبحها كلها وتقطيعها ونتف ريشها وان يخلط ذلك كله بعضه ببعض ، ثم اخذ برأس الطاووس فقال : يا طاووس فرأينا لحمه وعظامه وريشه يتميز عن غيره حتى التزق ذلك برأسه وقام الطاووس بين يديه حياً .

ثم صاح بالغراب فقام حياً . وبالبازي والحمامة فقامتا كذلك حتى قامت كلها بين يديه .

الخليل (ع) في حاله الاخير

قال تعالى : « وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيّ ان نعبد الأصنام رب انهن اضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من

الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (١) » .

ذكرنا الآية بطولها لتضمنها جليل المعاني وكثير المنافع ووافر التعاليم من الأب الرحيم ، فعند فراغه من بناء البيت يصرف دعواته المتعهد له باجابتها في المصالح العامة ولنظم العباد .

فيبتدئ بجعل مكة محل امن للناس ، ومعقد اجتماع وائتلاف ، حتى كان الانسان يرى قاتل ابيه فلا يتعرض له فيها ، ويدنو الوحش فيها من الناس فيأمن منهم لقصد التعارف والتفاهم بين العباد ، ثم يطلب ألطافه تعالى له ولذريته بالتباعد عن عبادة الأصنام التي قد سول إبليس للكثير من الناس عبادتها ، وهو حصيلة التوحيد وهدف الرسل الوحيد .

ثم لعلمه بأن ليس لكل فرد منهم قوة المناعة من مكروبات إغواء إبليس والتخلص من درن المعاصي ، يجعل دعوته لهم ذات فرعين ، فيقول مخاطباً ربه : فمن تبعني فانه مني وداخل في فريقي باستحقاق طاعته واجر عمله ، ومن عصاني ولم يسلم من مكائد الشيطان فانك غفور رحيم ساتر على العباد معاصيهم رحيم بهم في جميع احوالهم منعم عليهم تحرياً منه لشمول الخير والسعادة لكل البشر ، هذه عاطفة الأنبياء وحنانهم نحو امتهم والبشر عامة ، ثم يكر فيصرف دعوة اخرى لتسهيل امورهم وتهيئة ارزاقهم بشبه الحجة والاستدلال مع الله الكريم ، وانه اسكن قسماً من ذريته في بيته الحرام القاحل الذي لم يسكنه من قبله وان الغرض من ذلك عمارته بالعبادة ، وتعريف عبادك محله وعظمته ، وحيث ان الصلاة من

(١) سورة ابراهيم الآية ٣٩ .

اظهر مصاديق العبادة ، يقول (ع) : ربنا ليقموا الصلاة وإلا فالمقصود اداء جميع ما افترضه الله عليهم .

فلهم عليك يا رب بمقتضى كرمك ان تجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ، وتجعل قلوبهم تحن إلى موضعهم ليكون لهم أنس ورزق بورودهم عليهم .

ولولا لطفه بامالة القلوب اليه سواء كان القصد للدين كالحج او للدنيا كالتجارة كما عاش سا كنوه .

قال سعيد بن جبير : لو قال (ع) : افئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال من الناس فهم المسلمون « حيث ان الله تعالى قد تعهد له باجابة دعائه » .

وروى مجاهد ان ابراهيم لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم

وروى الفضيل بن يسار وغيره عن الباقر (ع) انه قال : إنما امر الناس ان يطوفوا بهذه الأحجار ، ثم ينفروا الينا فيعلمونا ولايتهم ، ويعرضوا علينا نصرهم ، ثم قرأ هذه الآية .

ثم يعود ابراهيم في دعواته مع ربه بصريح الطلب ، وعدم الاقتصار على ضروري المعيشة فيقول : وارزقهم من الثمرات لكي يشكروك ويعبدوك على ما انطبعت عليه القلوب والعادات من زيادة الشكر عند زيادة نعم المنعم .

ثم يعترف بأنه سبحانه العالم بما يبطنونه وما يظهرونه ، وانه لا يخفى عليه شيء لا من الأرض فقط ، بل حتى السموات التي هي اعظم بمراتب من الأرض .

ثم يعود إلى شكر المنعم ليطبقها على نفسه كي يقتدى به من خلفه فيقول الحمد لله الذي وهب لي على الكبر ... الخ . وهذه من دلائل القدرة الباهرة ، اي ولادة امرأة سنها تسع وتسعون سنة من شيخ قد جاوز المائة سنة ثم قال (ع) إن ربي لسميع الدعاء مفيداً بذلك تشجيع العباد على الدعاء والالتجاء اليه تعالى

حيث هو سميع ومجيب ، وان آخر الاجابة فلصالح الداعي .

وبعد هذا لا يأمن نفسه ، ولا يعتمد على حوله ، بل يطلب منه تعالى المعونة على ان يستمر على إقامة الصلاة والعبادة له تعالى هو مع ذريته .

وهو منه (ع) كالفات نظر للناس وان لا يأمنوا كيد الشيطان وان العبرة لهم من ذلك بالشيطان نفسه فكم عبد ربه ورأيت سوء عاقبته وأمثاله في الأمة كثير.

لذا يدعو ويقول : رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء اي اجعلني مستمراً عليها .

ولعله (ع) بعدم خلو الانسان من الهفوات والذنوب مهما بالغ في التحفظ ولذا ورد اللهم عاملنا بعفوك ولا تعاملنا بعدلك يختم دعواته المستجابة بقوله : ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، اي يقوم الخلق في يوم القيامة للحساب .

ودعائه بالمغفرة لوالديه ، دليل عدم كونهما كافرين ، لأن الله قد اخبر عنه بقوله : فلما تبين انه عدو لله تبرأ منه فصح ان اباه الذي كان كافراً إنما هو جده لأمه او عمه على الخلاف السابق .

هذه انتخابات الحكيم جل شأنه السفراء لعباده منوطة بسابق علمه ، بصفاء نفوسهم وعميم رأفتهم بعباده ، وخلوص غايتهم لهداية خلقه حسب درجاتهم وأضعفها هي أرقى درجات غيرهم وكذلك اوصيائهم حجج الله على عباده ، معينون من قبله حيث ليس لأحد التدخل في امره ، لأنه المالك الصرف اولا ، والعالم بالخفايا والبواطن فضلا عن الظواهر ثانياً .

كما إنا لا نرضى لأحد بالتدخل في شؤن رئيس عائلة بالنسبة إلى من ينصبه منهم على الباقين قائلين : هو اعرف بقابلياتهم ونفسياتهم ، فما لنا والتدخل بملك الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

بدء الخليقة وأبو البشر

قال الله تعالى : « إذ قال ربك اني خالق بشراً فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم اجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين » (١) .

إن الله تعالى قد ذكر قصة آدم وكيفية خلقته ومعاملة إبليس معه في مواقع كثيرة من القرآن الكريم ، وفي ذلك اسرار تعود لنفع العباد وللمعتبر فيها الرشاد .

(منها) الاشارة إلى كمال قدرته وعظمته ، حيث خلق إنساناً كاملا ، ذا عقل وحس وحياة ، وصاحب مشاعر ظاهرة وباطنة من تراب جامد ، ثم جعله طيناً لازباً فجعله حمأ مسنوناً فجعل الحمأ صلصالا يابساً ، ثم نفخ فيه من روحه فاستوى إنساناً كاملا فتبارك الله أحسن الخالقين .

(ومنها) تذكير الخلق بما انعم به على ابيهم ، حيث فضله على ملائكة السماء بما علمه من الأسماء وجعله مسجوداً لهم وذا مزية عليهم ، فلعلهم يقدرون هذه النعمة على ابيهم وعليهم ويشكرونها لخالقهم .

(١) سورة ص الآية ٧١ .

(ومنها) تحذير الخلق عن مكائد الشيطان ليجتنبوا عن مصائده ونخوخه فان عداوته اصلية لا يمكن توقع الوصل والعلقة به ، ولا المصالحة معه ابداً .

(ومنها) تنبيه البشر على ان آدم مع هذه العظمة لفعله زلة واحدة كيف اخرج من جوار رحمة الله وأهبط إلى دار البلية فما حال من تورط في الذنوب واقتحم في المهالك والعيوب مدى عمره وطول زمانه وهو مع ذلك يطمع في دخول دار الخلد وجنة النعيم ولنعم ما قيل :

يا ناظراً نوراً بعيني راقد ومشاهداً للأمر غير مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد
أنسيت إن الله أخرج آدماً منها إلى الدنيا بذنب واحد

آدم في بادىء أمره

المعنى من الآية إن إذ متعلقة بما سبق من قوله تعالى يختصمون فدل سبحانه على اختصام الملائكة في امر آدم بقوله : إذ قال ... الخ .

فاذا سويته اي تممت اعضاءه وصورته ونفخت فيه من روحي اي احييته وجعلت فيه الروح ، واضاف الروح إلى نفسه تشريفاً له .

ومعنى نفخت فيه توليت فعله من غير سبب وواسطة كمثل الولادة ، تكريماً له بهذه الحالة ، وذكر في الصحف ان الله جعل طينة آدم جسداً ملقى على طريق الملائكة الذي تصعد فيه إلى السماء اربعين سنة ، وكان إبليس يمر عليه فيضربه برجله ويقول : لأمر ما خلقت ، وكان يعبث به حتى انه سئل الامام (ع) عن سبب نتن ريح جوف ابن آدم ، فقال : إنه خلق من طين لكن إبليس جعل يعبث به فيدخل من فيه ويخرج من دبره ، فأنتن ريحه من خبث إبليس ، وهذا

معنى قوله تعالى : سويته اي صنعته وصورته .

ثم ادخل فيه الروح اولا من قدميه إلى ركبتيه ، فأراد آدم ان ينهض فلم يقدر ، وذلك معنى قوله تعالى : وكان الانسان عجولا .

واختلف في إبليس انه كان من الجن او من الملائكة . والأصح انه من الجن وان الجن والنسناس افسدوا في الأرض فأنزل الله الملائكة لقتالهم فقتلوهم وكان إبليس صغيراً فسبي وأخذوه الملائكة معهم إلى السماء فعبد الله مع الملائكة إلى ان عصى الله بامتناعه من السجود لآدم .

اختصام الملائكة

سئل الامام الصادق (ع) لِمَ صار الطواف سبعة اشواط ؟ قال : لأن الله قال للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة ، فردوا عليه سبحانه وقالوا : أتجعل فيها من يسفك الدماء ؟ .

قالوا ذلك لما رأوا من حال الجن الذين كانوا قبل آدم في الأرض . وكان تعالى لا يحجبهم (١) عن نوره . فلما قالوا ذلك حجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف عام ، فتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور في السماء الرابعة ، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور . فصار الطواف سبعاً واجباً على العباد لكل الف سنة شوطاً واحداً .

وقوله تعالى : فقعوا له ساجدين ، اي على الفور وبدون تراخ ، لبيان انه امر إلزامي لا مجال للكلام فيه او التردد .

فسجد الملائكة كلهم اجمعون ، دون ان يتخلف منهم احد على اختلاف

(١) أي لا يحجب الملائكة .

مراتبهم إلا إبليس ، فانه امتنع من السجود وأخبر سبحانه عن علة امتناعه ، وهو العليم بما في النفوس ، بقوله : استكبر وكان من الكافرين ، اي صار من الكافرين او كان الخبث الذي انتج امتناعه من السجود ثابتاً فيه او بمعنى علم الله كفره من الأزل قال يا إبليس ما منعك ... الخ .

سؤال توبيخ وتعريف للملائكة انه لا عذر له في الامتناع عن السجود إلا هذه الصفة الذميمة وهي التكبر ، استكبرت أم كنت من العالين اي ارفعت نفسك فوق قدرك ، وتعظمت عن امتثال امري أم كنت من الذين تعلو اقدارهم بحسب ذاتها وخلقتها عن السجود .

الكشف عن أمر غامض يخص محمداً ﷺ وأهل بيته عليهم السلام

في كتاب فضائل الشيعة للصدوق بسنده عن سعيد الخدري قال : كنا جلوساً عند رسول الله (ص) إذ اقبل اليه رجل فقال : يا رسول الله اخبرني عن قوله تعالى لابليس : « استكبرت أم كنت من العالين » فمن هم يا رسول الله الذين هم اعلى من الملائكة ؟ فقال (ص) انا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل ان يخلق الله آدم بألفي عام فلما خلقه الله تعالى امر الملائكة ان يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود ، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس فقال تعالى : استكبرت ام كنت من العالين اي من هؤلاء الخمسة المكتوبة اسماؤهم في سرادق العرش .

قال علي بن ابراهيم : إن الاستكبار اول معصية عصي الله بها ، قال إبليس يا رب اعفني من السجود لآدم وانا اعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ولا نبي

مرسل ، فقال تعالى : لا حاجة لي إلى عبادتك ، إنما اريد ان اعبد من حيث اريد لامن حيث تريد ، فأبى ان يسجد فقال تعالى : اخرج منها ، اي من الجنة فانك رجيم ، قال إبليس : كيف يا رب وانت العدل الذي لا تجور ، فثواب عملي بطل « فانظر إلى إبليس كيف يتشبث بعدالة الله تعالى وبعض المسلمين ينكرها » قال : لا ولكن سلني من امر الدنيا ما شئت ثواباً لعملك اعطيك .

فأول ما سئل البقاء إلى يوم الدين ، اي القيامة ، وهي النفخة الثانية ، فلا يموت في النفخة الأولى ، فقال تعالى : قد اعطيتك .

قال : سلطني على ولد آدم ، قال : سلطتك .

قال : اجرني فيهم مجرى الدم في العروق ، قال : قد اجريتك .

قال : لا يولد لهم واحد إلا ولد لي إثنان وأراهم ولا يروني وأتصور لهم في كل صورة شئت ، فقال : قد اعطيتك .

قال : يا رب زدني .

قال : قد جعلت لك ولذريتك صدورهم اوطاناً قال رب حسبي .

فقال إبليس عند ذلك : « لأغوينهم اجمعين إلا عبادك ... الخ » ثم قال « لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم » .

روي عن ابي جعفر (ع) معنى من بين ايديهم ، اي اهون عليهم امر الآخرة ، ومعنى خلفهم آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن اداء الحقوق لتبقى لورثتهم ، ومعنى عن ايمانهم افسد عليهم دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة ، ومعنى عن شمائلهم بتحبيب اللذات وتغليب الشهوات على قلوبهم .

انتصار أبينا آدم لذريته

قال ابو عبدالله (ع) : لما اعطى الله تبارك وتعالى إبليس من القوة ما اعطاه قال آدم : يا رب سلطت إبليس علي وعلى ذريتي ، وأجريته مجرى الدم في العروق وأعطيته ما اعطيته فما لي ولولدي ؟ .

قال تعالى : لك ولولدك السيئة بواحدة والحسنة بعشر امثالها ، قال : يا رب زدني ، قال : التوبة مبسوطة الى ان يبلغ النفس الحلقوم . قال : يا رب زدني قال : أغفر أغفر ولا أبالي .

قال : يا رب حسبي ، قال السائل : جعلت فداك بما ذا استوجب إبليس من الله ان اعطاه ما اعطاه ؟ قال (ع) : بشيء كان منه شكره الله تعالى عليه ، قلت وما كان منه جعلت فداك ؟ قال (ع) : ركعتين ركعها في السماء في اربعة آلاف سنة .

وفي النهج انه صلى ركعتين في ستة آلاف سنة ، لا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة ؟؟ .

ولهذا ان جماعة من الصوفية شكروا إبليس لابائه عن السجود لآدم ، قالوا إنه اراد بذلك اختصاص السجود بالله فسموه سيد الموحدين ، وهذا من إغوائه لعنه الله لهم وتلبيسه عليهم ، وما ادري مايفعلون بصريح كلام الله تعالى: « فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي ... الخ » ، وان جوابهم عن هذه الشبهة هو ان السجود لآدم كان تعظيما وتكرمة له ، وإلا فهو لله تعالى وانقياداً لأمره سبحانه ، وقد اجيب بأجوبة اخرى من ان آدم قبلة لهم وغير ذلك لا حاجة الى ذكرها بعد الذي ذكرناه .

ابليس يخترع القياس

قال : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » .

إن إبليس اول من عمل بالقياس وقد أخطأ فيه ، مع انه في نظره قياس الأولوية فكيف بغيره ، وذلك انه قد روى اسحاق بن جرير قال : قال ابو عبدالله عليه السلام : اي شيء يقول اصحابك في قول إبليس (١) ؟.

قلت : جعلت فداك قد قال ذلك وذكره الله في كتابه .

قال : كذب يا اسحاق ما خلقه الله إلا من طين ، قال الله الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا انتم منه توقدون خلقه الله من تلك النار ، من تلك الشجرة والشجرة اصلها من طين .

وعنه (ع) لو علم إبليس ما جعل الله في آدم لم يفتخر عليه ، ثم قال (ع) ان الله خلق الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق الجن صنف منهم من الريح وصنف منهم من الماء ، وخلق آدم من صفحة الطين ، ثم اجرى فيه النور والنار والريح والماء ، فبالنور ابصر وعقل وفهم ، وبالنار اكل وشرب ، ولولا النار في المعدة لم تطحن المعدة الطعام ، ولولا ان الريح في جوف بني آدم تلهب نار المعدة لم تلتهب ، ولولا ان الماء في جوف ابن آدم يطفي حر المعدة لأحرقت النار جوف ابن آدم ، فجمع الله ذلك لآدم مع الطين فكانت خمسة ، وكانت في إبليس واحدة من خمس ، فافتخر بها جهلا منه بذلك .

فانظر الى العلم كيف يفضح الجهل مهما تلبس على البسطاء . فان يد التنقيب تكشفه ، وان اهل العلم يرصدون تلك السرقات ، وهم الحرس المنتبه مهما ساندت قوى الجور هؤلاء السراق ، وهاتيك الجهال .

---

(١) أي كون إبليس خلق من نار .

العلم موضوع عند حملته

قال ابن عباس : فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله بابليس .

وقد ورد عن الأئمة الأطهار (ع) ان دين الله لا يصاب بالعقول ، وان السنة اذا قيست محق الدين ، وانه لا شيء ابعد عن عقول الرجال من دين الله ، الى غير ذلك من التهديد والتنديد ، كي يؤدوا ما عليهم الى البشر ، فلا تبقى لهم اي حجة يتمسكون بها غير العناد ومجانبة الحق ، وهو ناشيء من حب الدنيا ، وقد باعوا الآخرة بالدنيا ، ورضاء الله برضاء اهلها ، وإلا فماذا ترى فيما سجله التاريخ الناصع لنا .

ففي الكافي والاحتجاج انه دخل ابو حنيفة على الصادق (ع) فقال له : يا ابا حنيفة بلغني انك تقيس ، قال : نعم اقيس ، قال : لا تقس فان اول من قاس إبليس لعنه الله ، حين قال : خلقتني من نار وخلقته من طين ، فقاس ما بين النار والطين ، ولو قاس نورانية آدم بنورية النار ، عرف فضل ما بين النورين ، وصفاء احدهما على الآخر .

ثم نقول لابليس وأتباعه بخصوص مورد السجود ، ان السجود لم يكن للطين الذي هو الجزء المادي ، بل للنور الذي هو الجزء الروحي ، بدليل ان الله تعالى لم يرتب وجوب السجود على خلقة الطين ، بل قال : فاذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، لتشريفه حينئذ بالنور - اعني نور الله سبحانه وتعالى

وفي الاحتجاج ان الصادق (ع) قال لأبي حنيفة لمادخل عليه : من انت ؟ قال ابو حنيفة : قال مفتي العراق ، قال : نعم ، قال (ع) : بم تفتيهم ؟ قال : كتاب الله ، قال : فانت العالم بكتاب الله ، ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ،

قال : نعم ، قال : اخبرني عن قول الله عز وجل : « وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين » (١) ، اي موضع هو ؟ قال ابو حنيفة : هو ما بين مكة والمدينة ، فالتفت ابو عبدالله (ع) الى جلسائه وقال لهم : نشدتكم بالله هل تسيرون بينها ولا تؤمنون على دمائكم من القتل ، وعلى اموالكم من السرق ، فقالوا اللهم نعم ، قال : ويحك يا ابا حنيفة ان الله لا يقول إلا حقاً . فقال : يا ابا حنيفة اخبرني عن قول الله عز وجل : « ومن دخله كان آمناً » اي موضع هو ؟ قال : ذاك بيت الله الحرام (٢) ، فالتفت (ع) الى جلسائه وقال لهم : نشدتكم بالله هل تعلمون ان عبدالله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل ؟ قالوا : اللهم نعم ، فقال : ويحك يا ابا حنيفة ان الله لا يقول إلا حقاً ، فقال ابو حنيفة : ليس لي علم بكتاب الله عز وجل ، انما انا صاحب قياس .

قال (ع) : فانظر في قياسك ان كنت مقيساً ، أيما اعظم عند الله القتل او الزنا ؟ قال : بل القتل ، قال : فكيف رضي في القتل بشاهدين ، ولم يرض في الزنا إلا بأربعة .

ثم قال له : الصلاة افضل ام الصيام ؟ قال : بل الصلاة افضل ، قال (ع): فيجب على قياسك على الحائض قضاء الصلاة دون الصوم ، وقد اوجب الله عليها قضاء الصوم دون الصلاة .

ثم قال (ع) : البول اقذر ام المني ؟ قال : البول اقذر ، قال (ع) : يجب على قياسك الغسل من البول دون المني ، وقد اوجب الله الغسل على المني دون البول .

---

(١) نزلت فى القرى التى بين سبا والشام .

(٢) قيل فى معناه انه خبر فى معنى الأمر أى آمنوه ولا تتعرضوا له حتى يخرج والناس يعصون فى ذلك ، وقيل : إن معناه من دخله عارفاً بقدره جامعاً لعرائطه يكون آمناً من عذاب الآخرة .

قال : انما انا صاحب رأي .

قال (ع) : فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة ودخلا بامرأتيهما في ليلة واحدة ، ثم سافرا وجعلا امرأتيهما في بيت واحد فولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان أيهما في رأيك المالك ؟ وأيهما المملوك ؟ وأيهما الوارث ؟ وأيهما الموروث ؟ .

قال : إنما انا صاحب حدود .

فقال (ع) : فما ترى في رجل اعمى فقأ عين صحيح وأقطع قطع يد رجل صحيح كيف يقام عليهما الحد ؟ قال : انما أنا رجل عالم بمباعث الانبياء .

قال (ع) : فاخبرني عن قول الله تعالى لموسى وهارون ، حين بعثهما الى دعوة فرعون « لعله يتذكر او يخشى » كلمة لعل اذا صدرت منك شك ؟ قال : نعم ، قال : ذلك من الله شك إذ قال : لعله . قال ابو حنيفة : لا اعلم .

فقال (ع) له : انك تفتي بكتاب الله ولست ممن ورثه ، وتزعم انك صاحب قياس وأول من قاس إبليس ، ولم يبن دين الاسلام على القياس ، وتزعم انك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله (ص) صواباً ، ومن دونه خطأ لأن الله قال : ان احكم بينهم بما اراك الله ، ولم يقل ذلك لغيره ، وتزعم انك صاحب حدود ، ومن انزلت عليه اولى بعلمها منك ، وتزعم انك عالم بمباعث الأنبياء ، وخاتم الأنبياء اعلم بمباعثهم منك ، لولا ان يقال دخل على ابن رسول الله فلم يسأله من شيء ما سألتك عن شيء فقس ان كنت مقيساً .

قال : لا تكلمت بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس .

قال (ع) : كلا ان حب الرياسة غير تاركك ، كما لم يترك من كان قبلك ، وقد كان كما اخبر (ع) فما اعلمهم بنفسيات البشر ، كيف وهم الراسخون في العلم والناظرون بنور الله تعالى ، وودائع علم الوحي .

وقد روى الصدوق والكليني عن ابان بن تغلب قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ما تقول في رجل قطع اصبعاً من اصابع المرأة كم فيها ؟ قال (ع) : عشرة من الابل . قلت : قطع اثنين ، قال (ع) : عشرون ، قلت : ثلاثة ، قال : ثلاثون ، قلت : اربعاً ، قال (ع) : عشرون ، قلت : سبحان الله يقطع ثلاثاً عليه ثلاثون ، فيقطع اربعاً يكون عليه عشرون .

ان هذا كان يبلغنا ونحن في العراق ، فنبرأ ممن قاله ونقول : ان الذي جاء به شيطان .

فقال (ع) : مهلا يا ابان ، هذا حكم رسول الله (ص) ان المرأة تعاقل الرجل الى ثلث الدية ، فاذا بلغت الثلث ، رجعت المرأة الى النصف يا ابان اخذتني بالقياس ، والسنة اذا قيست محق الدين .

هذا وان علماء الشيعة تبعاً لاهل البيت قد شددوا النكير على العمل بالقياس حيث ان الأحكام من الشارع مختلفة ، كجمعه المختلفات وتفريقه المتشاكلات في منزوحات البئر .

وكجمعه بين النوم والبول والغائط في الحدثية ، مع اختلافها بالاستقذار فيها ، دون النوم وبشدته وعدمها فيما بينهما ايضاً ، وكحكمه بوجوب الاحرام في الحل مع ان الحرم افضل ، وكحكمه بحرمة صوم العيد ، ووجوب سابقه وندبية لاحقه ، وكحكمه بوجوب خمسمائة دينار وهو نصف الدية لقطع احدى اليدين ، وقطع اليد لربع دينار في السرقة ، وعدم جواز قطعها في الغصب ولو كان ألفاً الى غير ذلك مما يجده المتتبع لفروع الفقه .

عودة توضح تعميم علمهم (ع)

في كتاب علي (ع) في الرد على إبليس ، وانه لو علم ما جعل الله في آدم من الطبائع لم يفتخر عليه ، قال (ع) في ذيل ذلك :

وأجرى الريح في الطبائع الأربع ، فلزم الانسان من ناحية الريح حب النساء وطول الأمل والحرص ، ولزمه من ناحية البلغم حب الطعام والشراب والبر والحلم والرفق ، ولزمه من ناحية المرة الغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرد والعجلة ، ولزمه من ناحية الدم حب الفساد واللذات وركوب المحارم والشهوات ، فتجد لهم من عميق الاطلاع في الأبدان ، مثلما لهم من دقيق العلم في الأديان ، وهكذا في سائر الكونيات والأعيان .

نبذة يسيرة من وصفاتهم لمرض الروح

وظهر مما تقدم ان امثال ابي حنيفة لم يسلكوا تلك المسالك جهلا بعد تلك البيانات والحجج ، وانما هو لمرض ركز في القلب كما شخصه الطبيب النفسي ، ابو عبدالله (ع) بقوله ولكن حب الرياسة غير تاركك .

ولذا تراهم يركزون كل ارشاداتهم على اختلاف فنونها ولطيف ابداعها على التباعد عن حب الدنيا ، والمتهالك في جمعها ، وإحراز مناصبها .

فعن امير المؤمنين (ع) ان من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا .

وعنه (ع) ان علامة الراغب في ثواب الآخرة ، زهده في عاجل زهرة الحياة الدنيا . اما ان زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وان زهد .

وان حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا ، لا يزيده فيها وان حرص ، فالمغبون من حرم حظه من الآخرة .

وعن ابي عبدالله (ع) من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا ، داؤها ودواؤها ، وأخرجه من الدنيا سالماً الى دار السلام .

وعنه (ع) جعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا .

وعنه (ع) قال : اصبروا على الدنيا فانما هي ساعة ، فما مضى منها لا تجد له ألماً ولا سروراً . وما لم يجيء فلا تدري ما هو ، وانما هي ساعتك التي انت فيها فاصبر فيها على طاعة الله واصبر فيها عن معصية الله .

وقال امير المؤمنين (ع) : الناس في الدنيا عامل في الدنيا للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته ، يخشى على من يخلفه الفقر ، ويأمنه على نفسه ، فيفني عمره في منفعة غيره .

وآخر عمل في الدنيا لما بعدها ، فجاءه ماله من الدنيا بغير عمله (١) فأصبح ملكاً لا يسأل الله شيئاً فيمنعه .

قيل : إن النبي (ص) مر على سخلة منبوذة على ظهر الطريق ، فقال (ص): أترون هذه هينة على اهلها ، فوالله الدنيا اهون على الله من هذه على اهلها ، ثم قال : الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ، وشهواتها يطلب من لا فهم له ، وعليها يعادي من لا علم له ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى من لا يقين له .

وقال امير المؤمنين ع : واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم وفي الاختصاص (٢) قال بعض الحكماء : ان البدن اذا سقم لم ينجع بطعام

(١) لأنه رزقه المحتوم . (٢) ص ٣٣٠ .

ولا شراب ولا راحة ، وكذلك اذا علقه حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ .

وعلى مجراها كلمة سيد الحكماء وابو الأوصياء امير المؤمنين (ع) اذا لم يكن للانسان من نفسه زاجر وواعظ لم تنجع فيه المواعظ .

وقال الله تعالى لداود : يا داود احذر القلوب المعلقه بشهوات الدنيا ، عقولها محجوبة عني .

قال سلمان رضي الله عنه : اني اخشى عليكم ثلاثاً ، زلة العالم وجدال المنافق ودنياً مطغية .

روي ان عيسى كوشف بالدنيا فرآها عجوزاً هتماء ، عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت : لا احصيهم ، قال : فكلهم مات عنك او طلقوك قالت : بل كلهم قتلت ، قال عيسى (ع) : بؤساً لأزواجك الباقين ، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ، كيف اهلكتهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر .

يا طالب الدنيا يغرك وجهها ولتندمن اذا رأيت قفاها

طبيب آخر وناصح مشفق .

انك في دار لها مدة يقبل فيها عمل العامل
ألا ترى الموت محيط بها يكذب فيها أمل الآمل
تعجل الذنب بما تشتهي وتأمل التوبة في قابل
والموت يأتي اهله بغتة ماذاك فعل الحازم العاقل

وفي مناجاة موسى (ع) يا موسى ان الدنيا دار عقوبة ، عاقبت فيها آدم عند خطيئته ، وجعلتها ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ما كان فيها لي ، يا موسى ان عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم ، وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم ، وما من احد عظمها فقرت عينه فيها ، ولم يحقرها احد إلا انتفع بها .

وعلى منواله يأتي قوله سبحانه مخاطباً للدنيا : إخدمي من خدمني واتعبي من خدمك ، وفي رواية اخرى إخدمي من رفضك .

طبيب دقيق طبق الفعل مع القول

سئل علي بن الحسين (ع) اي الأعمال افضل عند الله تعالى ؟ .

قال : ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا . فان لذلك شعباً كثيرة ، وللمعاصي شعب فأول ما عصي الله عز وجل به الكبر ، معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين ، ثم الحرص ، وهي معصية آدم وحواء ، قال الله لهما : كلا من حيث شئتما رغداً ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأخذا ما لا حاجة بهما اليه ، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة ، فلذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به اليه ، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا (دينار خل) وحب الرياسة وحب الكلام وحب الراحة وحب العلو وحب الثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا ، فقالت الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنياءان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة .

ومن كلمات امير المؤمنين (ع) القصار : الحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحم في الذنوب .

كلمة الطبيب الاعلى ووصفته الجامعة

كلمة رب العزة ومدرس الأطباء والعالم بالذات يجمع بها بيان الداء والدواء مدوياً بها في الأجواء فقال تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » (١) .

(١) سورة آل عمران في ذيل الآية ١٨٢ .

فيعقبها شارح كلامه وموضح مرامه والجاري على منواله امير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه (ع) فيقول : « وأحذركم الدنيا فانها منزل قلعة (١) وليست بدار نجعة (٢) قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها وحلوها بمرها ، لم يصفها الله تعالى لأوليائه ولم يظن بها على اعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد (٣) وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير .

لقمان في نصيحته

يا بني إياك والتجبر والتكبر والفخر فتجاور إبليس في داره ، يا بني كيف يتكبر من قد جرى في مجرى البول مرتين ، يا بني ويل لمن تجبر وتكبر ، كيف يتعظم من خلق من طين وإلى طين يعود ، ثم لا يدري إلى ماذا يصير ، إلى الجنة فقد فاز او إلى النار فقد خسر خساراً مبيناً وخاب .

آدم والجنة

قال تعالى :« وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (٤) .

يدخلان الجنة باذن من ربهما مرخصين في نعيمها كيف شاءا واين شاءا سوى شجرة واحدة نهيا عن القرب اليها حيث علم الطبيب ميكروبها وتسميمها المنتشر الفعال فنهاهما عن القرب اليها فيتقلبان في حظايرها وينعمان بأثمارها بتقدير واحترام من خزنتها وحراسها .

(١) أي منزل من لا يستقر . (٢) أى ليست محط الرجال ولا مبلغ الآمال .
(٣) أى حاضر . (٤) سورة البقرة الآية ٣٤ .

ابليس لعنه الله في التعقيب

فهل ترى ان إبليس يروق له ذلك وتهدأ له نفس او تغمض له عين وقد أهبط من درجته ، وآدم منعم في جنته وقدأعطي من القوى عوض طاعته ومن السلطة تجاه عبادته مع ما ركز في قلبه لآدم من عداوته لا يكون ذلك ابداً .

إذاً يتابعه بما ضرب به المثل النفس حريصة على ما منعت ، ويجعل نهيه عن الأكل من الشجرة هو السلاح الفاتح لاغوائه ، فيتحرى الوصول اليه والاجتماع به كي يثير منه طبيعة الحرص المودوعة فيه .

الحيلة في تحقيق ذلك

قيل : إن آدم كان يخرج إلى باب الجنة وإبليس لم يكن ممنوعاً من الدنو منه فكلمه . وقيل : كلمها في الأرض بكلام عرفاه وفهماه (اي سابقاً) . وقيل : دخل في شدق الحية ، وذلك انه لما اراد الدخول ومنعته الخزنة فأتى كل دابة وعرض نفسه عليها ان تحمله كي يدخل الجنة فأبت عليه إلا الحية قال لها : إني امنعك من ابن آدم فأنت في ذمتي ان ادخلتني ، فجعلته ما بين نابين من انيابها ولذا قيل : إن السم في انيابها من اثر مقعد الشيطان ، ثم دخلت به وكانت راسية على اربع قوائم من احسن دابة خلقها الله كأنها بختية فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها وهي الآن اشد خوفاً من الانسان من كل حيوان .

فخاطب آدم وحسن له الأكل من الشجرة وانه يكون من الخالدين ، وذكر له انه مأنوس بوجوده معه في الجنة وأخشى عليك الفوت وأبقى وحدي في الجنة متوحشاً ، فكل من الشجرة كي تكون مخلداً وانا ايضاً اكون مأنوساً بوجودك معي ، فامتنع آدم وقال : كيف أرتكب ما نهاني عنه ربي ، وقيل : كان يظن ان

الحية هي التي تخاطبه حيث لا يرى إبليس ومع ذلك ما اطاعها فلما ايس منه ذهب مع الحية إلى حواء وقال لها : إن الله قد حلل لكما الأكل من الشجرة بعدما علم حسن طاعتكما عند التحريم .

وعلامة ذلك ان الموكلين بالشجرة ومعهم الحراب يدفعون عنها سائر الحيوانات لا يدفعونكما ان رمتما الأكل فاذا رأيتما ذلك فاعلما ان الله حللها لكما وابشري يا حواء فانك ان تناولت منها قبل آدم كنت انت المسلطة عليه الآمرة الناهية فوقه .

فقالت : سوف اجرب فرامت الشجرة فأرادت الملائكة دفعها بالحراب فأوحى الله تعالى اليهم إنما تدفعون من لا عقل له يزجره ، واما من جعلته ذا عقل مميزاً مختاراً فكلوه الى عقله الذي جعلته حجة عليه ، فان اطاع استحق ثوابي وان عصى استحق عقابي فتركوها .

فظننت ان الله نهاهم عن منعها وقد أحل ما حرم ، فقالت : صدقت الحية وكانت تظن انها هي المتكلمة ، فتناولت ولم تنكر من نفسها شيئاً .

فقالت لآدم : ألم تعلم ان الشجرة المحرمة علينا قد ابيحت لنا وتناولت منها ولم امنع ، فلذلك اغتر آدم وتناول منها حبتين وحواء حبة واحدة فلذلك كان الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين كما في العلل .

وذكر ان آدم لما أكل منها وأحس بالخطيئة تباعد عنها فامتدت الشجرة نحوه وأخذته اليها من رأسه ، وقالت : لِمَ لا تباعدت عني قبل الأكل .

وذكر ان إبليس حلف بالله لآدم انه لمن الناصحين ، وما كان يظن ان احداً يحلف كاذباً كما هو مذكور في القرآن الكريم بقوله تعالى : « وقاسمها اني لكما لمن الناصحين » (١) .

(١) سورة الأعراف الآية ٢١ .

المرض المكروبي يسبب العزل لصاحبه

فأخرجهما الله من الجنة بقوله جل شأنه :« اهبطا إلى الأرض بعضكم لبعض عدو » أي انتما والشيطان والحية .

وقيل : كان مشط من الجنة في عقيصة حواء فلما صارت في الأرض قالت : مالي وللمشط وقد اخرجت من الجنة فانتزعت المشط فانتثر ما كان فيه في الهواء فكان منه الطيب . ويؤيد ذلك ان اكثر منابت الطيب إن لم يكن كلها في الهند لأنه مهبط آدم . كما ذكر ان الكلب خلق من بصاق إبليس لعنه الله وكل يلحق بأصله

قال تعالى : « فلما أكلا منها بدت لهما سوأتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » (١) .

ذكر ان لباسهما اخذ يتهافت حتى انعدم ، فظهرت عورة كل واحد للآخر فاستحييا ، وأخذا يستران ذلك بورق الشجر ، وقيل : هو شجر التين :

وهذا ما ذكرنا من التسمم وتلوث البدن السيئات فلا يعود يلتئم معه ما في الجنة لشفافيته كالثلج مثلا عند الحرارة يوجب الذوبان او كالمعادن الشفافة مع المعادن الكثيفة نسبياً كما لو رمت اختلاط النفط مع الماء مثلا مهما بالغت في خلطه فهو ينعزل ، فانعزال آدم عن الجنة لابد منه ، نعم يحتاج إلى الصقل والتنزيه من جديد بالطاعات حتى يذهب الكدر وتعود النفس إلى الصفاء فتصلح عند ذاك لدخول الجنة ولباسها وبقية نعيمها .

---

(١) سورة طه الآية ١٢٠ .

سرانديب مهبط آدم

ذكر ان آدم اول نزوله كان في الهند وعندما أكل من الطعام وجد ثقلا في بطنه فشكا ذلك الى جبرئيل فقال : يا آدم تنح فنحاه فأحدث وخرج منه الثقل

وعن الصادق (ع) إن آدم لما اراد حج بيت الله تعالى كان دليله الصرد من بلاد سراندیب إلى جدة شهراً وهو اول طائر صام لله تعالى ، فجعل آدم يمشي فكل قدم وضعه في مكان صار ذلك المكان عمراناً ، وكل مكان تخطاه صار خراباً ولذا كان الخراب اكثر .

وعنه (ع) عندما سئل عن سبب حمل بعض الأشجار وعدم حمل بعضها ، ان آدم وحواء كانا يسبحان فكانت كل تسبيحة تصدر من آدم تنبت على الأرض شجرة مثمرة ، وكلما تصدر تسبيحة من حواء تنبت شجرة غير مثمرة .

وسئل (ع) مما خلق الشعير ؟ فقال : إن الله امر آدم ان ازرع مما اخترت لنفسك حيث اختار الأكل من شجرة الحنطة وجاءه جبرئيل بقبضة من الحنطة فقبض آدم على قبضة منها وقبضت حواء على قبضة فقال لها آدم : لا تزرعي انت فلم تقبل فكلما زرع آدم جاء حنطة وكلما زرعت حواء جاء شعيراً .

وقال (ع) : لما بكى آدم على الجنة وكان رأسه في باب من ابواب السماء وكان يتأذى من الشمس فحط من قامته .

وقال (ع) : اتى آدم إلى البيت الف مرة سبعمائة حجة وثلاثمائة عمرة .

وعنه (ع) انه اجتمع اولاد آدم في بيت فتشاجروا فقال بعضهم : خير خلق الله ابونا آدم وقال بعضهم : الملائكة المقربون ، وقال بعضهم : حملة العرش إذ دخل عليهم هبة (١) فحكوا له فرجع إلى آدم فقال : يا أبة اني دخلت على

(١) هوشيث بن آدم .

اخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني فلم يكن عندي ما اخبرهم به .

فقال آدم : يا بني اني وقفت بين يدي الله عز وجل فنظرت إلى سطر على وجه العرش مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم محمد وآل محمد خير من برأ الله .

وعنه (ع) إن حواء خلقت من بقية طينة آدم لا من ضلعه ، لأنه يلزم ان يكون آدم ينكح بعضه بعضاً فيقوى مذهب المجوس في نكاح المحرمات وما ورد من ذلك فهو محمول على التقية لأنه مذهب المشهور .

اكتشاف سر لله في محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله (ع)

قال الله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا » (١) .

في كتاب قصص الأنبياء للجزائري عن معاني الأخبار باسناده إلى المفضل عن ابي عبدالله (ع) ان الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فجعل اعلاها وشرفها ارواح محمد (ص) وعلي (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) والأئمة بعدهم (ع) .

فعرضها على السموات والأرض والجبال فغشاها نورهم ، فقال سبحانه للسموات والأرض والجبال هؤلاء حججي على خلقي خلقت جنتي لهم ولمن تولاهم وناري لمن خالفهم وعاداهم . فمن ادعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي عذبته عذاباً لا اعذبه احداً من العالمين .

ومن أقر بولايتهم ولم يدّع منزلتهم مني جعلته معهم في روضات جناني ، فولايتهم أمانة عند خلقي فأيكم يحملها ويدعيها لنفسه دون خيرتي (٢) .

(١) سورة الأحزاب الآية ٧٢ . (٢) اى يحسدهم عليها ويتمناها لنفسه .

فأبت السموات والأرض والجبال ان يحملنها ، وأشفقن منها ومن ادعاء منزلتها وتمني محلها من عظمة ربها .

فلما اسكن الله آدم وزوجته الجنة قال لهما : كلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ـ اي الحنطة (١) فتكونا من الظالمين .

فنظر إلى منزلة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم (٢) فوجداها اشرف المنازل في الجنة فقالا : يا ربنا لمن هذه المنزلة ؟ فقال سبحانه : ارفعا رأسيكما إلى ساق العرش فرفعا فوجدا اسم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم ، مكتوبة على ساق العرش من نور الجبار جل جلاله (٣) فقالا : يا ربنا ما اكرم هذه المنزلة عليك ! فقال سبحانه : لولاهم لما خلقتكما إياكما ان تنظرا اليهم بعين الحسد وتتمنيا منزلتهم عندي فتدخلا بذلك في نهيي وعصياني فتكونا من الظالمين ، قالا : ربنا ومن الظالمون ؟ قال : المدعون لمنزلتهم بغير حق قالا : ربنا أرنا منازل ظالميهم في نارك حتى نراها كما رأينا منزلتهم (ع) في جنتك ، فأمر الله النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان العذاب فأوحى اليهما لا تنظرا إلى انوار حججي بعين الحسد فأهبطكما عن جواري ، فوسوس لهما الشيطان وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فحملهما على تمني منزلتهم فخذلا (٤) حتى أكلا من شجرة الحنطة فعاد مكان ما أكلاه شعيراً فاصل الحنطة مما لم يأكلاه والشعير مما عاد مكان ما أكلاه (٥) .

فلما أكلا طار الحلي والحلل عن اجسادهما وبقيا عريانين فناداهما ربهما ألم

---

(١) وسرها الحسد وقد ورد تسميتها شجرة الحسد . (٢) اى المعدة لهم فى الجنة

(٣) ولعل هذا معنى قوله تعالى فى حق آدم فنسي ولم نجد له عزماً حيث قد رأى أسماءهم أيضاً قبل ذلك مكتوبة على ساق العرش وهو فى السماء . (٤) فالأكل من الشجرة وهى معصية ظاهرية مندفعة عن حدوث الحسد في القلب والنية والسر وهى معصية خفية .

(٥) ولا منافاة فيه لما تقدم من سببية زرع حواء للشعير لجواز تعدد السبب .

انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين .

فقالا : ربنا ظلمنا انفسنا (١) وان لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال : اهبطا من جواري فلا يجاورني في جنتي من يعصيني فهبطا موكولين إلى انفسهما في طلب المعاش .

فلما اراد الله ان يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال : إنكما ظلمتما انفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما فجزائكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله تعالى الى ارضه ، فسلا ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما ، فقالا : اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلا تبت علينا فتاب عليهما .

فلم تزل انبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من امهم فيأبون حملها ويشفقون من ادعائها وحملها الانسان وهو غاصب محلهم انه كان ظلوماً جهولا فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة .

ولا يتوهم ان آدم صار من الظالمين بتمني منزلتهم بل تشبه بالظالمين مجازاً بالتمني لأنه لم يدع منزلتهم ولم يغصبها منهم ، فهذا حال من تمنى منزلتهم ، فكيف بمن غصبها منهم بل قتلهم على اخذها منهم ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وإنما اطلق عليه العصيان من باب حسنات الأخيار سيئات الأبرار .

وعن ابن عباس لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فألهمه الله الحمد لله رب العالمين فقال تعالى له : يرحمك ربك .

فلما اسجد له الملائكة تداخله العجب فقال : يارب خلقت خلقاً احب اليك مني فلم يجب حتى اعادها ثلاثاً ، فقال تعالى : نعم لولاهم ما خلقتك ، فقال : رب أرنيهم فأوحى إلى ملائكة الحجب ان ارفعوا الحجب فاذا بخمسة اشباح قدام

(١) لأنهما حرما أنفسهما نعيم الجنة وأوقعاها في عناء الدنيا .

العرش فقال : من هؤلاء ؟ قال تعالى : هذا محمد وهذا علي امير المؤمنين ابن عم نبيي ووصيه وهذه فاطمة ابنة نبيي وهـذان الحسن والحسين إبنا علي وولدا ابنة نبيي ، ثم قال : يا آدم هم ولدك ففرح آدم بذلك فلما اقترف الخطيئة سأل الله بهم فغفر له . فهذا قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فلما هبط إلى الأرض صاغ خاتماً فنقش عليه محمد رسول الله وعلي امير المؤمنين .

يونس ذو النون

قال الله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا إله إلا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين » (١) .

وقال تعالى : « وان يونس لمن المرسلين إذ أبق (٢) إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين » (٣) .

ذو النون هو يونس بن متى النبي (ع) والنون اسم الحوت ومعناه صاحب الحوت .

القصة

انه لما دعا قومه مكرراً ولم يجيبوه وكذبوه في دعوى النبوة ، وصار مأيوساً من إيمانهم دعا الله عليهم ، فأخبره الله تعالى انه سينزل عليهم العذاب بعد

(١) سورة الأنبياء الآية ٨٧ .
(٢) اى فر من قومه خوف أن ينزل عليهم العذاب وهو فيهم .
(٣) سورة الصافات الآية ١٣٩ .

ثلاثة ايام ، ولم يخبره انه يهلكهم فهو اخبرهم بالهلاك ولم يقل إذا شاء الله .

ثم إنه خرج عنهم قبل إذن الله تعالى له بالخروج لذا سلط الله تعالى عليه الحوت ، وقد كان من امره انه خرج من بينهم مغاضباً ـ اي مراغماً لهم ـ من حيث انه دعاهم إلى الايمان بالله والتصديق بنبوته مدة طويلة ، فلم يؤمنوا به حتى اوعدهم الله العذاب ، فهو مغاضب عليهم لا على الله تعالى عن ابن عباس والضحاك

فظن ان لن نقدر عليه ـ أي ظن ان لن نضيق عليه ـ وقيل : معناه ظن ان لن نقضي عليه ما قضيناه ، والقدر بمعنى القضاء عن مجاهد وقتادة والكلبي والجبائي . فقد ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب السفينة ، وقيل : كان يرى النار قد سدت البر ما عدا الطريق الموصل إلى البحر ، ولما وصل إلى البحر وجد سفينة محملة قد استعدت للسفر فطلب منهم الركوب فأركبوه وبعد ان أقلعت وسارت في البحر اعترضتها الحوت الكبيرة ، ولم تدعهم يسيرون وقيل إنها اشرفت على الغرق ، فقال الملاحون : إن هيهنا عبداً آبقاً فان من عادة السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري ، لذلك اقترعوا فوقعت القرعة على يونس ثلاث مرات ، وهو معنى قوله تعالى : فساهم فكان من المدحضين ـ اي المغلوبين ـ فالقوة في البحر وقيل : القى نفسه حيث علم بارادة الله ذلك .

فالتقمه الحوت ـ اي ابتلعه ـ وقيل : إن الله اوحى إلى الحوت اني لم اجعل عبدي رزقاً لك ، ولكني جعلت بطنك مسجداً له . وفي رواية سجناً له فلا تكسرن له عظماً ولا تخدشن له جلداً .

وهو مليم ـ اي مستحق للوم اي لوم العتاب لا لوم العقاب ـ وذلك لخروجه من بين قومه بغير امر ربه .

ومن قال انه خرج مغاضباً لربه ، وانه ظن ان لن يقدر الله على اخذه بمعنى انه يعجز عنه فقد اساء الثناء على الأنبياء ، فان مغاضبة الله كفر أو كبيرة عظيمة .

وكذلك تجويز العجز عليه تعالى ، حتى من اقل افراد الناس فكيف يجوزه عليه نبي من انبيائه ، وقد اختاره على اهل زمانه ، وكفى بالله حكماً بين الأنبياء وبين من جوز في حقهم ذلك . وقال ابن زيد انه استفهام ومعناه التوبيخ وتقديره أفظن ان لن نقدر عليه .

الالتجاء الى الله تعالى

« فنادى في الظلمات ان لا إله إلا انت » .

لما اراد التوجه والدعاء قدم ذكر التوحيد ، ليكون من اهل الله وحزبه ثم عقبه بذكر العدل ، بقوله سبحانك لأنه تنزيه له عن كل ما لا يليق به ، اي ان ما انزلته بي وفق العدالة وطبق الاستحقاق .

هكذا ينبغي التأدب بين يدي الله تعالى عند إرادة الدعاء ، فانه ادعى للاجابة كما ان من عادتنا ذلك في مراجعة اهل الدنيا وعظمائها لحاجة نروم قضاءها ترانا نقدم أمام طلب حاجاتنا الاخلاص وإنا من اتباعه وحزبه ودعاته حسب المناسبات وإنا نعتمد عليه في مهماتنا وقد جعلناه ظهراً نستند عليه في حاجاتنا إلى غير ذلك من وسائل الاستجلاب والاستعطاف .

فبالأحرى ان نقدم الاخلاص إلى الله تعالى أمام حوائجنا كما نرى من انبياء الله وهي تعاليمه سبحانه لهم .

الاعتراف بالذنب

« اني كنت من الظالمين » اي من الذين يقع منهم الظلم وممن شأنهم ذلك لأني لا أبرأ نفسي قال الجبائي : إنما قال ذلك على سبيل الخشوع والخضوع

والتذلل ، لأن جنس البشر لا يمتنع عليه وقوع الظلم .

وقال ايضاً : لم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة من الله تعالى وإنما هو على جهة التأديب والتأديب يجوز للمكلف وغير المكلف كتأديب الصبي وغيره فلا دلالة فيه على انه ارتكب المعصية وبقائه حياً في بطن الحوت معجزة له وكرامة .

ثمرات الخلوص في الدعاء على نحو العموم

فاستجبنا له ونجيناه من الغم - اي من بطن الحوت والظلمات - وقيل : إنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت .

ولكرمه سبحانه لم يكتف بالفرج عن خصوص نبيه يونس بل يعمم القاعدة وانه حاضر لمن دعاه باخلاص فيعلن بقوله الصريح ، وكذلك ننجي المؤمنين إذا دعونا والتجأوا الينا على نهج دعاء ذي النون كي لا يتوهم انه تعالى يقتصر في إجابة الدعاء على انبيائه فقط .

الكشف عن سر الاجابة

فلولا انه كان من المسبحين - اي من المصلين والمطيعين العابدين في حال الرخاء فنجيناه عند البلاء . وهكذا حالتنا بالنسبة إلى امورنا الدنيوية فيما إذا لم تكن لنا مهمة وحاجة عند كبير ورئيس ترانا مع ذلك نواصله ونخدمه فعندما تحدث الحاجة نراه مقبلا على قضائها تقديراً للخدمة عند عدم الحاجة وترانا نحن ايضاً نتوجه اليه دون اي توقف حيث نعد انفسنا من اخصائه وبالعكس لو كنا

مقاطعيه عند عدم احتياجنا اليه ترانا نقدم رجلا ونؤخر اخرى خجلين من تقديم حاجاتنا اليه وهو ايضاً بطبيعة الحال لا يرى لنا مثل ما كان لمواصليه قبل ان يحتاجوه ، فكيف بنا ونحن بحاجة اليه سبحانه في كل آن وحتى في لحظات الأبصار ونقل الأقدام فهو جل شأنه يرشدنا الى حفظ خط الوصل به وعدم الاتكال على اي احد غيره ترغيباً تارة كمثل ماذكرنا وترهيباً تارة اخرى كقوله : للبث في بطنه إلى يوم يبعثون - اي لصار بطن الحوت قبراً له الى يوم القيامة لو لم يكن له الوصل معنا سابقاً ، فنبذناه بالعراء - اي فطرحناه في المكان الخالي الذي لا نبت فيه ولا شجر - وقيل : بالساحل فقد ألهم الله الحوت حتى قذفه ورماه من جوفه على وجه الأرض وهو سقيم - اي مريض - حين ألقاه الحوت فيأتيه الاسعاف من ربه الكريم مبيناً بقوله تعالى : وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وهو القرع لما هو معلوم بما فيه من الخاصية التضميدية الملائمة لانهيار جلده ورقته من جراء حرارة بطن الحوت .

وروي عن ابن مسعود قال : خرج من بطن الحوت يونس كهيئة فرخ ليس عليه ريش فاستظل من الشمس بالشجرة ، هذا ما كان من امر يونس ، واما ما كان من امر قومه ، فانهم بعدما مضت الثلاثة ايام ، اتاهم العذاب وهو الغيم المظلم الاسود وقد سد الآفاق مع الأصوات الهائلة المرعبة وأخذ يهبط إلى الأرض حتى ساوى سطوح دورهم فأخذهم الرعب وطلبوا يونس فلم يجدوه .

فالتجأوا إلى عبادهم فقالوا لهم : لا نرى لكم خلاصاً من عذاب الله حيث انه قد اتاكم ولا راد لأمره فاستعدوا للهلاك .

الرجوع لذوي الفن مصحوب النجاح

فعندما يئس القوم من جواب عبادهم حيث انهم قد جمدوا عقولهم وحصروا إمكانياتهم على اداء الفرض فقط مما سبب صدع الشريعة المقدسة المحمدية بالنهي عن الرهبانية وسيأتي التفصيل إن شاء الله تعالى في بابه فضيلة العلم وشرف طالبيه فالتجأوا الى عالم لهم قد اعتزل الناس وقيل : كان ذهابهم اليه بارشاد العباد فاسترشدوه وحيث انه هو المطلع على الأسرار للكونيات الالهية والعالم بالعلل الشرعية ، لأن علمه نور الله في قلبه وهو منظاره الدقيق البعيد الأثر ولم يرد في حقه عبثاً ان ساعة للعالم افضل من عبادة سنة او اكثر فيجيبهم بالأمر بالخروج الى الصحارى والقفار وبتتابع الاستغفار من صميم القلوب وتفريق الأطفال عن الأمهات وحتى الحيوانات كي تنجاوب الأصوات الهائلة منهم ومن الغيوم المظلمة فضج الفضاء من بكائهم واستغفارهم وعظيم خوفهم .

وحيث قد علم الله تعالى صدق نيتهم وانهم لا يعودون الى معصيتهم كشف عنهم العذاب وذلك قوله تعالى : إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب وبقوا يفتشون عن نبيهم يونس فلا يجدون له اثراً .

يونس في تكميل درسه

بعد ان حسن حال يونس برجوع صحته الكاملة رجع الى عمله حيث انه كان كوازاً فصنع الطين بأنواع الأواني من الكؤوس والمشارب والكيزان وبعد فخرها وحرقها وقد خرجت سالمة بأجمعها على خلاف عادتها من انعدام بعضها قبل

ذلك أتاه شخص لشرائها جملة وصفقة واحدة بالعقد اللازم ، وان لا خيار للبائع فباعها بالثمن المرغوب له ، وبعد قبض تمام الثمن ، أخذ المشتري يضرب بعضها ببعض ويكسرها فمنعه يونس من ذلك ، فقال له المشتري : ليس لك حق في منعي لأن المال مالي ، والناس مسلطون على اموالهم ، فقال له يونس : هذه صنعتي وقد تعبت فيها واعتنيت باتقانها ، ولم أقصد بصنعتها مجرد ثمنها ، وانما قصدت انتفاع العالم منها ، وقد عملتها للصالح العام ، وانت تريد إفسادها ، فأجابه اذاً كيف تدعو الله تعالى على افساد صنعه ، واهلاك عباده وهو أيضاً قد اعتنى بهم وأحسن خلقتهم وأتقنهم .

فعلم يونس انه جبرئيل وانه قد حاد عن السبيل فبكى على خطيئته حتى خدت الدموع في خديه وبانت أضراسه .

الله تعالى رحيم بعباده

هـذه عناية الباري بخلقه وحبه لطاعتهم وشوقه الى سعادتهم وتوبيخه لأنبيائه من اجلهم ولهدايتهم ، وهو القائل سبحانه : يا موسى لو يعلم المدبرون من عبادي عني كيف انتظاري لرجوعهم وحبي لطاعتهم لتقطعت اوصالهم من حبي هذا انتظاري وحبي للمدبرين ، فكيف انتظاري وحبي للمطيعين .

فهل آن لنا ان نرجع عن ذنوبنا ونلتحق بربنا الكريم وننفصل عن عدونا الرجيم ونتدارك بما بقي من اعمارنا ما فاتنا من ثمينها .

وبعد تمام الصلح بين يونس وبين ربه[1]

قال تعالى : وأرسلناه الى مائه الف أو يزيدون ، حيث قبل تعالى توبته ، واكمل له دراسته وتنويره أرسله الى اهل نينوى من ارض الموصل عن قتادة وكانت رسالته هذه بعد نبذ الحوت عن ابن عباس ، ويجوز ان يكون ارسل الى قوم بعد قوم ، كما يجوز ان يكون ارسل إلى الأوليين بشريعة فآمنوا بها .

وقيل في معنى ـ او ـ من قوله تعالى : او يزيدون حيث ظاهرها التشكيك وهو محال عليه سبحانه انه على طريق الايهام على المخاطبين .

أو أن أو تخيير كأن الرائي خير بين ان يقول : هم مائة الف ، او يقول : يزيدون ، والمعنى ان الناظر لما يرى من كثرتهم يمكنه ان يقول : هم مائة الف او يقول : لا بل يزيدون .

وقيل: او بمعنى الواو ، وقيل : بمعنى بل ، وأجود الأقوال الثاني ، والكل ناظر إلى كثرة العدد .

فآمنوا فمتعناهم إلى حين ، حكى عنهم سبحانه انهم آمنوا بالله وراجعوا التوبة فكشف عنهم العذاب ومتعهم بالمنافع واللذات إلى انقضاء آجالهم وهو الغفور الرحيم

ايوب في صبره عند محنته

قال الله تعالى : « واذكر عبدنا ايوب إذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هـذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم

(١) ومعنى الصلح هو عفو الله تعالى عنه وإرجاعه رسولا .

معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب » (١) .

وقد حكى سبحانه نفس القصة بقوله تعالى : رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر ... الخ (٢) .

قال الثعلبي في العرائس : قال وهب وكعب وغيرهما من اهل الكتاب : كان ايوب النبي (ع) رجلا من الروم وكان مكتوباً على جبهته المبتلى الصابر .

وهو ايوب بن اموص بن دارج بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكانت له البثه بلدة من بلاد الشام وكان معه ثلاثة آمنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن يقال له اليفن ، ورجلان من اهل بلاده بلدد وصافن .

القصة

كان ايوب في عصر يعقوب ولما رأى إبليس منزلته الرفيعة عند ربه وانه المسلم الصابر وسمع ثناء الملائكة عليه حسده فأخذ يكيد له لكي يزله ويضجره ويضعف صبره الذي مدحه الله تعالى عليه .

قيل : إنه طلب من الله التسليط على امواله ومواشيه وعياله وبدنه دفعة بعد اخرى ترتيباً فنفخ على غنمه مع راعيها فأحرقها . وكانت تعد بالآلاف وجاء بصورة راعيها مخبراً وهو باك حزين ، ويحث التراب على رأسه فلم يكترث ايوب وهكذا مع البقر والخيل وسائر انواع المواشي .

ثم توجه إلى عياله وامواله فقلب عليهم الدار من اربعة جوانب ، وأتاه

(١) سورة ص الآية ٤١ . (٢) سورة الأنبياء الآية ٨٤ .

مخبراً ليفزعه وانهم ماتوا دفعة عن آخرهم ، إلا امرأة له كانت خارج البيت فشكر الله على ذلك .

ثم تسلط على جسمه فنفخ في انفه وهو ساجد نفخة نار فمرض حتى تشقق جلده وسال منه القيح وهو صابر شاكر ، ولم يكن له مساعد غير زوجته ليا بنت يعقوب ، وقيل : إنها رحمة بنت إفرائيم بن يوسف ، ولعله معرب ليا فكانت تخدم الناس وتأتيه بقرصي شعير يقتات بهما حيث بعدوه اهل القرية لتسويل الشيطان لهم انه بالأمراض السارية ، ويخاف عليهم منه العدوى .

ولما رأى صبره على ذلك وسوس لذوي البيوت ان يمنعوا زوجته عن خدمتهم لأن يديها ملوثة بقيحه من مباشرته فتعديهم .

واعترض زوجته يوماً في الطريق بصفة طبيب فطلبت منه معالجة ايوب فقال : بشرط ان يقول لي : انت الذي شفيتني ولا اطلب اي اجرة سوى هذا الشرط ، فتعهدت له بذلك واخبرت ايوباً فامتنع ، ولما ألحت عليه حلف ليضربنها مائة ضربة .

وقيل : إنه قال لها : فليسجد لي ايوب سجدة واحدة وأبرأه مما هو فيه لأني أنا الذي فعلت به ذلك ، وأنا إله الأرض .

وقيل : إنه لما رأى صبره على عظيم البلاء وانواعه وكثير شكره ، جزع وصرخ صرخة . اجتمع منها عليه جنوده من اقطار الأرض ، فقالوا : ما حزنك ؟ قال : أعياني هذا العبد ، كلما ازيده بلاء يزداد صبراً وشكراً وثناء على الله فأغيثوني عليه فقد بطل مكري الذي اهلكت به الأولين فأشيروا علي .

قالوا : أرأيت آدم حين اخرجته من الجنة من اين أتيته ؟ قال : من قبل امرأته ، قالوا : فكذلك أيوب فانه لا يعصيها ، حيث لا يقربه ولا يخدمه أحد غيرها فهو منقاد لها .

فتمثل لها بصورة رجل وجعل يذكرها بما جرى عليهم بقوله : اين مالكم اين اولادكم اين داركم اين جمالكم وصحتكم ؟ فصرخت فعلم انها جزعت فأتاها بسخلة وقال لها : ليذبحها ايوب ولا يذكر اسم الله عليها ، ويأكل منها فانه يبرأ اراد بذلك تلويث قلبه بالنجاسة كي تسري إلى سائر بدنه فأتت بها اليه وقالت : إلى متى تبقى معذباً ، إذبح هذه السخلة واسترح .

قال : اتاك عدو الله فنفخ فيك وأجبتيه ، ويلك أرأيت ما كنا فيه من المال والولد والصحة من أعطانيه ؟ قالت : الله ، قال : فكم متعنا به ؟ قالت : ثمانين سنة ، قال : فكم ابتلاني الله بهذا البلاء ؟ قالت : منذ سبع سنين وأشهر ، فقال : ويحك ما عدلت وأنصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة ، والله لئن شافاني الله عز وجل لأجلدنك مائة جلدة لما أمرتيني ان اذبح لغير الله ان طعامك وشرابك الذي أتيتيني به علي حرام ان اذوقه بعد إذ قلت لي هذا فاعزبي عني فلا اراك ، فطردها فذهبت ، فلما بقي وحده بدون ممرض ولا طعام ولا شراب ، قال : رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين .

وقيل : إن دعاءه كان بسبب سراية المرض لقلبه ولسانه ، فخشي تعطيلها عن الفكر والشكر .

وقيل : لشماتة الأعداء بدليل انه بعدما عوفي قيل له : ما كان اشد عليك في بلائك ؟ قال : شماتة الأعدا .

وقد ورد في الحديث ان اهل جهنم يكتمون عذاب النار حذراً من شماتة اهل الجنة ، ولهذا كان إمام العابدين وسيد الساجدين (ع) يقول في الجواب عند سؤاله : اي المصائب اشد عليك يابن رسول الله ؟ آه آه الشام الشام .

وقيل : إن إبليس كان يؤذيه ولا يفارقه ويذكره بأولاده وعياله ويعيره ويقول : هلا رحمك ربك تعريضاً منه برحمة الباري جل شأنه كل ذلك طمعاً فيه

ان تخرج منه كلمة تنافي العقيدة .

وقيل : إنه لما رأى صبره اتى اصحاباً لأيوب كانوا رهباناً في الجبال وحبب لهم المرور به وان يسألوه عن بلائه ، فلما قعدوا عنده ونفرت دوابهم من نتن ريحه قالوا : يا ايوب لو اخبرتنا بذنبك ، وما نرى هذا الابتلاء الذي لم يبتل به احد إلا لأمر كنت تسره ، فقال : وعزة ربي انه ليعلم اني ما أكلت طعاماً إلا يتيم او ضعيف يأكل معي ، وما عرض امران كلاهما طاعة إلا اخذت بأشدهما على بدني وكان فيهم شاب فقال : سوأة لكم عمدتم الى نبي الله فغيرتموه حتى اظهر من عبادة ربه ما كان يسرها ، وكان غرض إبليس ، ان تصدر منه كلمة ضجر لعواده وقد خسأ ، وحيث ان الأنبياء لا يتحملون العار ، لأن اذاه على الروح وهو اشد من مرض البدن ، لذا دعا ربه وطلب كشف ضره ، ولو كان سبب دعائه المرض والفقد ، لكان من اول الأمر ، لأن المصائب عند حدوثها تكون اشد . فقال : رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين .

فقيل له : إرفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ... الخ . اي اضرب الأرض برجلك ، فانبعث من تحتها عين ماء ، وقيل عينان فاغتسل بأحديهما وشرب من الأخرى ، فبرئ كل ما في جسمه . وقيل : الأولى اذهبت جروحه . والثانية اذهبت التشويه والآثار من جسمه وصار ابيضاً منيراً . ثم خط جبرئيل بجناحه الأرض ، فرجعت داره كما كانت والعيال بأجمعهم مشغولون بأعمالهم حين انهدامها بهم ، حتى الرضيع يناغي في مهده ، وكذلك خط بجناحه فرجعت المزارع والمواشي مع رعاتها .

وعن ابن عباس ان الله رد على زوجته شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكراً ، وكان عنده سبع بنين وسبع بنات احياهم الله له بأعيانهم ، ووهبنا له اهله - اي رددناهم - ومثلهم معهم ، قيل : معناه مضاعفة الأموال والأولاد .

وقيل : رد الله عليه اهله الذين ماتوا قبل وقوع الامتحان مع الذين ماتوا بعد وقوعه إكراماً له على عظيم صبره .

ثم إن امرأته قالت : إن كان هو طردني فالى من أكله ادعه يموت ويضيع فتأكله السباع ، فرجعت فرأت من رحمة الله التي قد حفت به ما انكرته وهابت ان تسأله لما هو فيه من الحلل والجلال والجمال فدعاها ايوب وقال : ما تريدين ؟ قالت : اريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسة هنا ، قال : فهل تعرفينه إذا رأيتيه ؟ قالت : كان اشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً .

قال : فأني ايوب الذي امرتني ان اذبح لابليس لعنه الله ، واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله تعالى فرد علي ما ترين .

أيوب في اخلاصه لربه

وحيث كان حلف بالله ليضربن امرأته مائة ضربة ، فيلزم نفسه الوفاء على ما انطبع عليه من طاعة ربه ، غير انه رأى عظيم خدمتها طيلة مرضه ، فهل هذا جزاؤها وهو ضد عاطفته فيتم نعمته عليه ربه قائلا : وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث ، والضغث لغة القبضة بملء الكف من الحشيش او الأعواد او غيرها والمراد منه بالآية ، ان يأخذ قبضة من الشماريخ في عرجون النخل عددها مائة شمراخ ويضربها به ليبر قسمه ولا يؤذيها .

وقد روى العياشي ان عباد المكي قال : قال لي سفيان الثوري : اني ارى لك من ابي عبدالله منزلة فأسأله عن رجل زنى وهو مريض ، فان اقيم عليه الحد خافوا ان يموت ما تقول فيه ؟ .

قال : فسألته فقال (ع) لي : هذه المسألة من تلقاء نفسك او أمرك بها

إنسان ، فقلت : إن سفيان الثوري امرني ان اسألك عنها فقال (ع) : ان رسول الله (ص) أتي برجل أحبن قد استسقى بطنه ، وبدت عروق فخذيه وقد زنى بامرأة مريضة ، فأمر رسول الله (ص) فأتي بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه به ضربة وخلى سبيلها ، وذلك قوله تعالى : وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث .

الثمرات الفياضة للقصة

اولا لاينبغى للانسان اذا نزل به الامتحان ان يذهب بوهمه الشيطان بأن ذاك لهوانه على الله تعالى وحقارته ووضيع منزلته عنده ، بل عكس ذلك انما هو لترفيع درجته وليباهي به ملائكته وليرغم به انف الشيطان ويريه الخلص من عباده ، هذا مع ما لهم من عظيم الأجر ، كما سنذكره ان شاء الله في محله باب ابتلاء المؤمن مفصلا .

بدليل ماوجدنا من قصة ايوب وهوالمادح له ، وقد اضافه الى نفسه بقوله تعالى : واذكر عبدنا دون ان يقول : واذكر ايوب اوالعبد مثلا ، حيث لم يرد معنى العبودية العام ، لأن ذلك لا يخص ايوباً ، بل يعم حتى ابليس لعنه الله فانه عبد الله ايضاً ، وانما اراد عبدنا المخصوص المخلص لنا بسابق علمنا فيه ، وهل نعرف مقدار فضل من ينسبه تعالى لذاته .

ثانياً ان لا يكون العبد مأيوساً من رحمة الله تعالى مهما بلغ به الامتحان وتعاظمت لديه المصيبة واشتدت عليه البلية ، فان ازالة ذلك وقلبه الى الضد من الرفاه أيسر شيء عنده سبحانه وتعالى .

ولذا رأينا لما اراد سبحانه ازالة ما بأيوب وارجاع نعمته عليه وانتهاء دورته الامتحانية ، لم يفعل ذلك من الطرق الاعتيادية بأن يهيء له طبيباً يعالجه

ويبرأه شيئاً فشيئاً ويرزقه اموالا من طريق التكسب وأولاداً من طريق التزويج والولادة مثلا ، بل فعل ذلك من طريق الاعجاز وآناً واحداً لاظهار قدرته وحضور نجدته عند استنجاده ، وان أخرها وقتاً ما فلمصلحة يراها لعبده .

ثالثاً ان يعلم الانسان ان كلما ينزل به من مصائب الدنيا فهو لصالحه كظهور كرامته ومدى ضبطه لنفسه وتحكيم عقله كما ظهر لابليس لعنه الله وللناس وللملائكة من حال ايوب (ع) مع ما له من الأجر عند الله تعالى بذلك في دار البقاء .

داود (ع) في قوته

قال تعالى : « واذكر عبدنا داود ذا الأيدي انه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل أتيك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه خر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب (١) .

لا يخفى ما في الاضافة اليه سبحانه بقوله : عبدنا من التشريف لداود حيث لم يرد معنى العبودية العام لأنه يشمل حتى العصاة كما ذكرنا قريباً فلا اثر حينئذ للاضافة ، وقوله ذا الأيدي - اي ذا القوة على العبادة - وذكر انه كان يقوم

(١) سورة ص الآية ١٧ .

نصف الليل ويصوم نصف النهار - اي يصوم نهاراً ويفطر نهاراً ، وذلك يكون اشد من ان يصوم عدة ايام متواصلة ويفطر كذلك .

وقيل : معناه ذا القوة على الأعداء وقهرهم ، لأنه رمى بحجر من مقلاعه صدر رجل فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله ايضاً .

وقيل : إن معناه ذا التمكين العظيم والنعم الجسيمة ، لأنه كان يبيت حول محرابه كل ليلة الوف كثيرة من الرجال .

أواب اي رجاع عن كل ما يكرهه الله تعالى إلى ما يحبه سبحانه ، وقيل : معناه مسبح وقيل : مطيع ، إنا سخرنا الجبال معه يسبحن اما بالتسبيح الحقيقي وقد انطقها الله تعالى إكراماً له وإعجازاً ، واما كما قال البلخي : يجوز ان يكون المراد من تسبيح الجبال معه ما اعطاه الله من حسن الصوت بقراءة الزبور ، فاذا رفع صوته بالتسبيح ردت الجبال عليه من الصدى مثل صوته ، فسمى الله ذلك تسبيحاً ، وعلى هذا يكون مجازاً ، والطير محشورة - اي مجموعة اليه - تسبح معه حتى قيل : إن الطيور تهاوى عليه إذا سمعت صوته الجميل ، وآتيناه الحكمة - اي النبوة - وقيل : الاصابة في الأمور ، وقيل : العلم بالله وشرائعه ، وفصل الخطاب - اي الشهود على المدعين والأيمان على المنكرين - لأن خطاب الخصوم لا ينفصل وينقطع إلا بذلك ، فهو تعليم له من الله تعالى ليحكم بين الناس به .

وذكر في قصص الأنبياء للجزائري (١) باسناده عن ابي عبدالله (ع) قال: إن داود (ع) كان يدعو ان يعلمه الله القضاء بين الناس بالحق الذي هو عند الله وعلى الواقع لا على الظاهر .

فأوحى الله اليه يا داود إن الناس لا يحتملون ذلك واني سأفعل وأرتفع اليه رجلان فاستدعا احدهما على الآخر ، فأمر المستدعى عليه ان يضرب عنق المستدعي

(١) ص ٣٨٥ .

ففعل فاستعظمت ذلك بنو إسرائيل وقالت : رجل جاء يتظلم من رجل فأمر الظالم ان يضرب عنق المظلوم ، فقال (ع) : رب انقذني من هذه الورطة .

قال : فأوحى الله اليه ياداود سألتني أن ألهمك القضاء بين عبادي بما هو الحق عندي وان هذا المستدعي قتل ابا هـذا المستدعى عليه ، فأمرت فضرب عنقه فوداه بأبيه وهو مدفون في حائط كـذا تحت شجرة كـذا فأته فناده باسمه فانه سيجيبك فسله .

فخرج داود (ع) وقد فرح فرحاً شديداً فقال لبني إسرائيل قد فرج الله فمشى ومشوا معه ، فانتهى الى شجرة فنادى يا فلان ، فقال : لبيك يا نبي الله ، قال : من قتلك ؟ قال : فلان ، قالت بنو إسرائيل : لسمعناه يقول : يا نبي الله فنحن نقول : يا نبي الله كما قال . فأوحى الله اليه يا داود ان العباد لا يطيقون الحكم بما هو عندي فسل المدعي البينة وأضف المدعى عليه إلى اسمي (١) .

وفيها عن ابي عبدالله (ع) كان على عهد داود (ع) سلسلة يتحاكم الناس اليها ، وان رجلا اودع رجلا جواهر فجحده إياه فدعاه إلى السلسلة فذهب معه اليها وأدخل الجوهر في قناة ، فلما اراد ان يتناول السلسلة قال له : إمسك هذه القناة حتى آخذ السلسلة فأمسكها وكانت من عادتها ان تلتقف الكاذب إذا أمسكها فأوحى الله الى داود احكم بالبينات وأضفهم إلى اسمي يحلفون به ورفعت السلسلة وفيها (٢) قال ابو جعفر (ع) : عرض على آدم اسماء الأنبياء واعمارهم فمر باسم داود فاذا عمره اربعون سنة فقال آدم : يا رب وما اقصر عمر داود واكثر عمري يا رب ان انا زدت داود من عمري ثلاثين سنة أتكتب ذلك له ؟ قال تعالى : نعم .

قال : إني زدته من عمري ثلاثين سنة فاثبتها له واطرحها من عمري فأثبتها الله لداود ومحاها عن آدم فذلك قوله تعالى : يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده

(١) اى حمله اليمين باسمي (٢) اى قصص الجزائرى ص ٣٨٦ .

ام الكتاب ، فلما دنا عمر آدم هبط عليه ملك الموت ليقبض روحه ، فقال : يا ملك الموت بقي من عمري ثلاثون سنة ، قال : الم تجعلها لابنك داود وانت بوادي الروحا ، فقال آدم : يا ملك الموت ما اذكر هذا ، فقال : يا آدم لا تجهل الم تسأل الله ان يثبتها لداود ويمحوها من عمرك ؟ قال : فاحضر الكتاب حتى اعلم ذلك ، وكان آدم صادقاً لم يذكر فمن ذلك اليوم امر الله العباد ان يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا الى اجل مسمى لنسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه .

وفي كثير من الأخبار انه زاد في عمر داود ستين سنة تمام المائة .

وكان داود بن إيشا من اولاد يهودا ، فلما قتل طالوت اتى بنو إسرائيل داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم ، فلما ملك جعله الله نبياً وأنزل عليه الزبور وامر الجبال والطير ان يسبحن معه ولم يعط الله احداً مثل صوته كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها .

نعود إلى الآية قوله تعالى : وهل أتيك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب الخ

الاستفهام ليس على حقيقته لأنه طلب الفهم ، وهو محال عليه تعالى ، فالمراد منه الترغيب في الاستماع وقوله : ففزع منهم لأنهم دخلوا عليه بتسورهم من اعلى المحراب ومن غير الباب المعد للدخول وايضاً دخلوا في غير الوقت المعين للخصومات وايضاً كان دخولهم بغير إذن منه لهذا كله داخله الخوف والفزع منهم فلما احسوا ذلك منه قالوا : لا تخف إنما أتيناك لخصومة بيننا ولا تشطط ، اي لا تجر علينا ولا تتجاوز الحق فيه بالميل لأحدنا على صاحبه ، واهدنا إلى سواء الطريق - اي وسطه - وهو كناية عن الحق ، لأن من سلك وسط الطريق أمن من الضلال .

ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال : اكفلنيها - اي ضمها إلي والمعنى أعطينها وانزل لي عنها .

وعزني في الخطاب - اي غلبني في مخاطبة الكلام - قيل : معناه انه ان تكلم

كان ابين مني وان بطش كان اشد مني ، وان دعا كان اكثر مني ، وهذا وان كان يستغرب في بادىء النظر ويعده السامع منتهى الظلم وغاية الجشع غير انه بالتأمل فيما عليه المسيطرون على اختلاف مراتبهم في امتصاص دماء الضعفاء ، بل لا يمكن ان يجري قلمه المأجور دون ان يتناول منه كدح يومه ، وإبقاءه جائعاً ويضمه الى بالغ مرتبه نجد الأمر غير عزيز ، وليس بغريب كما قيل : القوي يأكل الضعيف ، فهذه قصص القرآن الكريم ليست إلا عضات مستمرة وعبر متتابعة ونظم مخلدة تبكي على العاملين بها والمطبقين لها .

هذا وقد ذكر ابو مسلم انه لا يبعد ان يكون الداخلان على داود كانا خصمين من البشر ، وذكر النعاج محمولا على الحقيقة دون الكناية عن النساء .

وإنما عوتب داود (ع) حيث حكم على المدعى عليه قبل ان يسأله ، لأن من شروط الحكم والقضاء اخذ الافادة من الطرفين .

وقال غيره : هما ملكان لتنبيهه على تزوجه بامرأة أوريا وضمها الى نسائه البالغ عددهن تسع وتسعون وان الزواج كان من الطريق المشروع ، ولذا كان عتاباً لا عقاباً .

وظن داود إنما فتناه - اي علم انا اختبرناه وابتليناه - وقيل : علم انا شددنا عليه في التعبد ، وقيل : اراد الظن بمعنى الرجحان ، وعلى كل صاحب العقل والعقيدة يأخذ الحيطة لرضاء ربه لعلمه بأن اليه مرجعه حتى على الاحتمال فضلا عن الظن والعلم .

فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب - اي سقط ساجداً ورجع اليه سبحانه - وقد يعبر عن السجود بالركوع . وقيل : انما قال راكعاً لأنه لايصير ساجداً حتى يركع .

قال مجاهد : مكث داود (ع) اربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه إلا

لصلاة مكتوبة او لحاجة لابد منها . وان له عندنا لزلفى وحسن مآب - اي قربى وكرامة - بالنسبة الى دار البقاء وإعطاء الحكمة وفصل الخطاب بالنسبة إلى دار الفناء وقد اختلف في استغفار داود من اي شيء كان .

قال اهل العدل والعصمة : إنه حصل على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والخضوع والتذلل بالعبادة والسجود ، كما حكى سبحانه عن ابراهيم (ع) بقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ، وحينئذ يكون معنى قوله تعالى : فغفرنا له ذلك إنا قبلناه منه وأثبتناه له وكل بمرتبته حسب طاعته ، وكما ذكرنا من ان حسنات الأخيار سيئات الأبرار ، وهذا قول من ينزه الأنبياء .

واما من يجوز الصغائر عليهم فقد اختلفوا ، فقال بعضهم : ان اوريا بن حيان خطب امرأة وكان اهلها ارادوا ان يزوجوها له فبلغ داود جمالها فخطبها فقدموه على اوريا فعوتب داود على الحرص على الدنيا عن الجبائي .

وقال آخرون : انه اخرج اوريا الى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على امثاله من جنده . اذ مالت نفسه الى نكاح امرأته فعوتب على ذلك بنزول الملكين .

وقال بعض : انه كان في شريعته انه اذا مات الرجل وخلف امرأة فأولياؤه احق بها ، إلا ان يرغبوا عن التزويج بها فيجوز لغيرهم ان يتزوجها ، فلما قتل اوريا خطب داود امرأته ومنعت هيبته وجلالته اولياءه ان يخطبوها فعوتب على ذلك.

وقال آخرون : انه كان متشاغلا بالعبادة فأتاه رجل وامرأة متحاكمين اليه فنظر الى الامرأة ليعرفها بعينها وذلك نظر مباح فمالت نفسه اليها ميل الطباع ففصل بينهما وعاد الى عبادة ربه فشغله الفكر عن بعض نوافله فعوتب على ذلك .

وقد ذكرنا ذلك كله ليعرف القارىء نظريات العباد وعقائدهم بالنسبة الى انبياء الله وسفرائه الى خلقه وامنائه على تبليغ احكامه وشرائعه كيف يوصفونهم

بما لا تقبل شهادة الشاهد إذا كان موصوفاً به ويجعلونهم على حالة تنفر الطباع السليمة منهم ويكفينا عن التعليق على امثال هذه الأقاويل ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال : لا أوتى برجل يزعم ان داود (ع) تزوج امرأة اوريا إلا جلدته حدين حداً للنبوة وحداً للاسلام .

اتمام النعمة منه سبحانه على داود (ع)

قال تعالى : يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، اي صيرناك تدبر امور العباد من قبلنا وأمرنا .

وقيل : معناه صيرناك خلفاً عمن مضى من الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد والعدل والشريعة بما فيها من الأحكام فاحكم بين الناس بالحق وضع كل شيء من امورهم موضعه ، ولا تتبع الهوى ، اي ما يميل طبعك اليه ، ويدعوك هواك اليه إذا كان مخالفاً للحق .

أمير المؤمنين (ع) وكلمته الموجزة
في الردع عن اتباع الهوى

إن اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل (١) ، اما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، واما طول الأمل فينسي الآخرة .

ان الله تعالى قد كلف البشر بتكاليف عائدة لصالحهم وهي الكفيلة لمصالحهم الدنيوية والأخروية ، لو انهم التزموها ولأنه على الاطلاق ، ولم يكلفنا ليستعين بنا

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٨٨ .

فلو اطاعه الخلق كلهم لم يزيدوا في ملكه شعرة ولو عصوه لم ينقصوا شعرة .

وتلك التكاليف على قسمين افعال وهي الواجبات وتتبعها المندوبات وتروك وهي المحرمات وتتبعها المكروهات ولطفه بعباده ورأفته عليهم يحرص كل الحرص على اخذهم بتلك الأحكام وامتثالهم هاتيك التكاليف لجلب الخير لهم بالأفعال لما اودع فيها من المصالح ودفع الشر عنهم بالتروك لما علم ما فيها من المفاسد .

ولذا تراه يتابع الرسل اليهم وإنزال الكتب عليهم وترى رسله الكرام بمنتهى الشفقة على أممهم باذلين كل جهودهم في إرشادهم وتوجيههم إلى انوار الحقائق ولباب الأمور وعلى رأسهم نبينا محمد (ص) الرؤف الرحيم بأمته رغم ما قابلوا به إحسانه من الأساءة والأذى حتى قال (ص) وهو الصادق الأمين : ما أوذي نبي مثل ما أوذيت ، ومع هذا كان يدعو لهم ويقول : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فيستدفع عنهم عذاب الله بأن ذلك منهم عن جهل لا تمرد وتعند وعلى منهجه اهل بيته ، وفي مقدمتهم امير المؤمنين (ع) قد بذلوا كل إمكانياتهم لانقاذ هذه الأمة من هوة الضلالة وسوء المصير بالخطب الواسعة تارة والكلمات القصيرة اخرى حسب المقتضيات والمناسبات ، غير انك تجد قصير كلماتهم على قلة ألفاظها يعطيك كل ما تعطي الخطبة المطولة فتجده (ع) في هذا المقام يختصر الارشاد بجملتين وقد جمع فيهما العلة التامة لدخول الجنة .

حيث يقول : إن اخوف ما اخاف عليكم اثنان ، يعني ان البقية ليست بهذه المثابة من الخوف ، ويكاد ان لا يخاف منها ، لكنه (ع) قد ربط الكل بهما لأنه كما بينا ان التكاليف عبارة عن الواجبات والمحرمات ، فأما ارتكاب المحرمات فهو ناشىء عن اتباع الهوى وشهوة النفس وميلها إلى اللذات ، حتى لو خرجت بها عن الشريعة وحدودها ، لأنها التي تحملك على الظلم وأكل مال الناس والتكبر وعدم الانصاف والركون إلى الأباطيل والزنا والخمر والقمار إلى غير ذلك ، فاذا

التزم بمخالفة الهوى وردع النفس عما تشتهي ، فقد سلم من مفاسد المحرمات باضافة الأجر المكتسب من مخالفة النفس كما قال سبحانه : « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » .

وأما ترك الواجبات فهو ناشيء عن طول الأمل ، لأن الانسان بعد ان تدين واعتقد بالمعاد والجزاء على الحسنة والسيئة فما يمنعه عن العمل حينئذ إلا التسويف ، فيبقى مسوفاً لغد ثم بعد غد وإذا به قد دهمه الأجل واختطفه الموت الذي لا مفر منه ، وقد حمل على الأكتاف صفر اليدين الى حفرته ، وقد خلف جميع ما يملكه لغيره .

وقد ورد ان اكثر كلام اهل النار آه آه من سوف حيث كانوا يقولون : سوف نتوب وسوف نعمل .

قيل : إن هشام بن عبد الملك وقد كان له مال كثير لما حضرته الوفاة واجتمع عليه اهله يبكون قال : جاد لكم هشام بالمال وجدتم له بالبكاء وقال ايضاً : ترك لكم هشام كلما جمع وتركتم عليه كلما حمل .

فأمير المؤمنين (ع) قد تخوف علينا بهاتين الجملتين الموجزتين عن كل ما يعيقنا عن دخول الجنة ، لأن المانع اما ترك الواجب او فعل المحرم او كلاهما فاذا خفنا مما خافه علينا ابونا الرؤف وتركنا الهوى وقصرنا الأمل واخذنا بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين فقد فزنا وإلا فالخسران حليفنا .

وقال الصادق عليه السلام : تأخير التوبة اغترار ، وطول التسويف حيرة ، والاعتلال على الله هلكة ، والاصرار على الدنيا أمن لمكر الله ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

ولهذا كله نجد الباري جل شأنه يوصي نبيه داود (ع) عند جعله الخليفة على عباده بقوله: ولا تتبع الهوى مبيناً اضراره بقوله تعالى: فيضلك عن سبيل الله انك إذا اتبعته يعدل بك عن طريق الحق الذي هو سبيل الله.

ثم يصرح بمصير متبعه بقوله تعالى: إن الذين يضلون عن سبيل الله ويعدلون عن العمل بما امر الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وإعراضهم عن ذكر يوم القيامة.

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ـ اي بلا غرض وحكمة ـ بل هو للغرض الصحيح من إظهار الحكمة وتعريض انواع الحيوان للمنافع الجليلة، وكذلك الكواكب على اختلاف فوائدها، ثم تعريض ذوي العقول منهم لعظيم الثواب وحسن المآب.

وهذه الآية من الردود الواضحة على اهل الجبر القائلين ان الخير والشر والباطل والضلال كله من الله وانها من فعله تعالى وهو القائل: ما خلقنا ذلك باطلا تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ذلك ظن الذين كفروا وجحدوا حكمته الى ان يقول سبحانه: وليتذكر اولوا الألباب والعقول فهم المخاطبون به.

النفس الشريرة تحاول النهوض

في انوار النعمانية (١) ما رواه الصدوق باسناده إلى الصادق (ع) ان داود قال: يا رب اخبرني عن قريني في الجنة ونظيري في منازلي، فأوحى الله اليه انه متى ابو يونس النبي، فاستأذن الله في زيارته فأذن له، فخرج هو وسليمان ابنه

(١) ج ٤ ص ٧٤.

حتى اتيا موضعه ، فاذا هما ببيت من سعف فقيل لهما : هو في السوق فسألا عنه فقيل لهما : اطلباه في الحطابين فسألا هناك عنه فقال لهما جماعة من الناس : نحن ننتظره الآن حتى يجيء فجلسا ينتظرانه إذ اقبل وعلى رأسه وقر من حطب فقام اليه الناس وألقوا عنه الحطب وحمدالله وقال : من يشتري طيباً بطيب (١) فساومه شخص وزاده آخر حتى باعه من بعضهم فسلما عليه فقال : انطلقا بنا الى المنزل واشترى طعاماً بما كان معه ثم طحنه وعجنه في نقير له ثم اجج ناراً وأوقدها وجعل العجين فيها وجلس معهما يتحدث ثم قام وقد نضجت خبزته فوضعها في النقير وفلقها وذر عليها ملحاً ووضع إلى جنبها مطهرة ماء وجلس على ركبتيه وأخذ لقمة ، فلما رفعها الى فيه قال : بسم الله ، فلما ازدردها قال : الحمد لله ، ثم فعل مثل ذلك بأخرى وأخرى ، ثم اخذ الماء وشرب منه فذكر اسم الله تعالى فلما وضعه قال : الحمد لله يا رب من ذا الذي انعمت عليه وأوليته مثل ما اوليتني فقد صححت سمعي وبصري ويدي وقويتني حتى ذهبت الى شجر لم اغرسه ولم اهتم بحفظه فجعلته لي رزقاً وهيئت لي من اشتراه مني فاشتريت بثمنه طعاماً لم ازرعه وسخرت لي النار فأنضجته وجعلتني آكله بشهوة اقوى بها على عبادتك وطاعتك فلك الحمد ، قال ثم بكى ، فقال داود لسليمان : يا بني قم فانصرف بنا فأني لم أر عبداً قط اشكر لله من هذا .

تسنيد آخر من ألطافه عز وجل

عن الصادق (ع) قال : قال داود النبي (ع) : لأعبدن الله اليوم عبادة ولأقرأن قراءة لم افعل مثلها قط فدخل محرابه ففعل ، فلما فرغ من صلاته إذا هو بضفدع في المحراب .

(١) أي حلال بحلال .

فقال له : يا داود اعجبك اليوم ما فعلت من عبادتك وقراءتك ، فقال : نعم ، فقال : لا يعجبك فاني اسبح الله في كل ليلة الف تسبيحة يتشعب لي مع كل تسبيحة ثلاث آلاف تحميدة واني لأكون في قعر الماء فيصوت الطير في الهواء فأحسبه جائعاً فأطفو له على الماء ليأكلني وما لي ذنب .

وفي الكافي عن ابي عبدالله (ع) قال : إن داود لما وقف الموقف بعرفة نظر إلى الناس وكثرتهم فصعد الجبل وأقبل يدعو ، فلما قضى نسكه اتاه جبرئيل فقال له : يا داود يقول لك ربك : لِمَ صعدت الجبل ظننت انه يخفى علي صوت من صوت ثم مضى به إلى البحر إلى جدة فرسب به في الماء مسيرة اربعين صباحاً في البر ، فاذا صخرة فقلقها فاذا فيها دودة فقال : يا داود يقول لك ربك : أنا أسمع صوت هذه في بطن هذه الصخرة في قعر هـذا البحر فظننت انه يخفى علي صوت من صوت .

وعن ابي جعفر (ع) قال : بينما داود (ع) جالس وعنده شاب رث الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت إذ أتاه ملك الموت فسلم عليه وأخذ بالنظر إلى الشاب فقال داود : نظرت إلى هذا فقال : نعم اني أمرت بقبض روحه إلى سبعة أيام في هذا الموضع .

فرحمه داود فقال : يا شاب هل لك امرأة ؟ فقال : لا ، وما تزوجت قط قال داود (ع) : فأت فلاناً وكان رجلا عظيم القدر في بني إسرائيل فقل له : إن داود يأمرك ان تزوجني ابنتك وتدخل بها في هذه الليلة وخذ من النفقة ما تحتاج اليه وكن عندها ، فاذا مضت سبعة ايام فوافني في هذا الموضع .

فمضى الشاب برسالة داود فزوجه الرجل ابنته وادخلوها عليه ، وأقام عندها سبعة ايام ثم وافى داود يوم الثامن فقال له داود : يا شاب كيف رأيت ما كنت فيه ؟ قال : ما كنت في نعمة وسرور أعظم مما كنت فيه ، قال داود : اجلس فجلس

وداود ينتظر ان تقبض روحه فلما طال الوقت قال : انصرف إلى منزلك فكن مع اهلك ، فاذا كان يوم الثامن فوافني ههنا فمضى الشاب ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده ثم انصرف اسبوعاً آخر ثم اتاه وجلس ، فجاء ملك الموت إلى داود فقال له داود : ألست حدثتني بأنك أمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة ايام قال : بلى ، قال : فقد مضت ثمانية وثمانية وثمانية قال : يا داود إن الله رحمه برحمتك له فأخر في اجله ثلاثين سنة .

(ومنها) ان الله أوحى إلى داود ان اعلم خلادة بنت اوس انها قرينتك في الجنة فيمضي ويتفحص حالها في العبادة فلا يجد منها غير المعتاد فيسألها عن اهم اعمالها للآخرة بعدما بشرها بأنها قرينته في الجنة فتجيبه بانها مدة عمرها لم تسأل الله تحويل حال إلى حال لعلمها بأنه لا ينزل بها إلا ما هو صالحها فرضيت بقضاء الله وحمدت وشكرت على كل حال .

وقال ابو عبدالله (ع) في ذلك : هذا دين الله الذي ارتضاه للصالحين ، وكان امير المؤمنين (ع) يقول : إن الله سبحانه لو ألقاني بالنار معذباً لما قلت انها نار بل قلت انها جنة ، لأنه رضي بها وجنتي رضاه وهذه الدرجة العليا للسالكين ونظره (ع) إلى قوله تعالى بعد ان ذكر الجنة وما أعد فيها للمتقين قال سبحانه : ورضوان من الله اكبر .

وفي كتاب مسكن الفؤاد ان رجلا من العباد مر خارج مصر في طريق فرأى رجلا مطروحاً على التراب قد أكل الديدان بدنه واحتوى الذباب على جراحاته فقعد عند رأسه وروّحه بالمروحة ليطير الذباب عنه ففتح عينيه وقال : من هذا الذي دخل بيني وبين ربي وعزته وجلاله ، لوقطعني إرباً إرباً لم أزدد له إلا شكراً وفيه إلا حباً .

وفي قصص الأنبياء (١) عن ابي جعفر (ع) قال : كان في بني إسرائيل

(١) للجزائري ص ٤٠٢ .

عابد فأعجب به داود (ع) فأوحى الله اليه لا يعجبك شيء من امره فانه مراء ، قال : ثمات الرجل فأتي داود فقيل له : مات الرجل ، فقال : ادفنوا صاحبكم قال : فأنكرت بنو إسرائيل وقالوا : كيف لم يحضره ، فلما غسل قام له خمسون رجلا فشهدوا بالله انهم ما يعلمون منه إلا خيراً . فلما صلوا عليه قام خمسون رجلا فشهدوا بالله انهم ما يعلمون منه إلا خيراً ، فأوحى الله إلى داود ما منعك ان تشهد فلاناً . قال : الذي اطلعتني عليه من امره ، قال : وإن كان كذلك ولكن شهده قوم من الأحبار والرهبان فشهدوا له بانهم لا يعلمون منه إلا خيراً فأجزت شهادتهم عليه وغفرت له علمي فيه .

قيل : دخلت امرأة على داود (ع) فقالت : يا نبي الله ربك عادل أم ظالم؟ فقال : ويحك هو العدل الذي لا يجور ، ثم قال لها : ما قصتك ؟ قالت : اني امرأة ارملة وعندي ثلاث بنات ، واني اقوم عليهن من غزل يدي فلما كان أمس شددت غزلي في خرقة حمراء وأردت ان اذهب به إلى السوق وأبيعه وأشتري الطعام للأطفال ، فاذا بطائر قد انقض علي وأخذ الخرقة والغزل وطار وبقيت حزينة ما لي شيء ابلغ به الأطفال .

قال الراوي : فبينما المرأة مع داود (ع) في الكلام فاذا بطارق يطرق الباب فأذن داود (ع) له بالدخول وإذا هم عشرة من التجار ومع كل واحد مائة دينار وقالوا : يا نبي الله ادفعها لمستحقها ، فقال لهم : وما سبب إخراجكم هذا المال ؟ قالوا : كنا في مركب فهاجت علينا الريح فعاب المركب وأشرفنا على الغرق وإذا نحن بطائر قد ألقى الينا خرقة حمراء فيها غزل فسددنا به عيب المركب فانسد ونذرنا ان يتصدق كل واحد منا بمائة دينار ، وهذا المال بين يديك تصدق به على من أردت .

فالتفت داود إلى المرأة وقال : ربك يتجر لك في البحر وانت تجعلينه ظالماً

ثم اعطاها الألف دينار وقال : اذهبي وانفقيها على اطفالك والله اعلم بحالك .

الزبور يعظ بني اسرائيل

في كتاب قصص الأنبياء (١) قال السيد علي بن طاووس في كتاب سعد السعود : رأيت في زبور داود (ع) في السورة الثالثة ما هذا لفظه : يا داود جعلتك خليفة في الأرض وسيتخذ عيسى إلهاً من دوني من اجل ما مكنت فيه من القوة وجعلته يحيي الموتى بأذني ، يا داود من ذا الذي انقطع إلي فنحيته ومن ذا الذي اناب إلي فطردته عن باب إنابتي مالكم لا تقدسون الله وهو مصوركم مالكم لا تطردون المعاصي عن قلوبكم كأنكم لا تموتون وكأن الدنيا باقية لكم لا تزول .

وفي السورة العاشرة

أيها الناس لاتغفلوا عن الآخرة بني إسرائيل لو تفكرتم في منقلبكم ومعادكم وذكرتم القيامة وما أعددت فيها للعاصين قل ضحككم وكثر بكاؤكم لكنكم غفلتم عن الموت تقولون ولا تفعلون ، لو تفكرتم في خشونة الثرى ووحشة القبر وظلمته لقل كلامكم وكثر ذكركم لا تتفكرون في خلق السموات والأرض وما أعددت فيها من الآيات والنذر وحبست الطير في جو السماء يسبحن ويسرحن في رزقي وأنا الغفور الرحيم سبحان خالق النور .

---

(١) الجزائري ص ٤٠٣ .

وفي السورة السابعة عشر

يا داود اسمع ما أقول ومر سليمان يقول بعدك : إن الأرض اورثها محمداً وأمته وهم خلافكم ولا يكون صلاتهم بالطنابير ولا يقدسون الأوتار فازدد من تقديسك يا داود قل لبني إسرائيل لا تجمعوا المال من الحرام فاني لا اقبل صلاتهم واهجر اباك على المعاصي وأخاك على الحرام واتل على بني إسرائيل نبأ رجلين كانا على عهد إدريس فجاءت لهما تجارة وقد فرضت عليهما صلاة مكتوبة فقال احدهما : ابدأ بأمر الله . وقال الآخر : ابدأ بتجارتي والحق امر الله ، فذهب هذا لتجارته وهذا لصلاته ، فأوحيت الى السماء فنفخت وأطلقت ناراً وأحاطت واشتعل الرجل بالسحاب والظلمة ، فذهبت تجارته وصلاته ، وكتب على بابه انظروا ما تصنع الدنيا والتكاثر بصاحبه .

يا داود إذا رأيت ظالماً قد رفعته الدنيا فلا تغبطه فانه لابد له من احد امرين : إما ان اسلط عليه ظالماً اظلم منه فينتقم منه ، وإما ألزمه رد التبعات يوم القيامة ، يا داود لو رأيت صاحب التبعات قد جعل في عنقه طوق من نار فحاسبوا انفسكم وأنصفوا الناس ودعوا الدنيا ، ويحكم لو رأيتم الجنة وما اعددت فيها لأوليائي من النعيم لما ذقتم دواءها بشهوة اين المشتاقون الى لذيذ الطعام والشراب اين الذين جعلوا مع الضحك بكاء . اين الذين هجموا على مساجدي في الصيف والشتاء ، انظروا اليوم ما ترى اعينكم ، فطال ما كنتم تسهرون والناس نيام فاستمعوا اليوم ما اردتم فاني قد رضيت عنكم اجمعين ، ولقد كانت اعمالكم الزاكية تدفع سخطي من اهل الدنيا يا رضوان اسقهم من الشراب الآن فيشربون وترداد وجوههم نضرة فيقول رضوان : لِمَ فعلت هذا لأنه لم تطأ فروجكم فروج

الحرام ، يا رضوان اظهر لعبادي ما أعددت لهم ثمانية آلاف ضعف ، يا داود من تاجرني فهو اربح التاجرين ، يابن آدم ابوك وأمك يموتان ، وليس لك عبرة بهما يابن آدم ألا تنظر إلى بهيمة ماتت فانتفخت وصارت جيفة وهي بهيمة وليس لها ذنب ولو وضعت اوزارك على الجبال الراسيات لهدتها ، يا داود وعزتي وجلالي ما شيء اضر عليكم من اموالكم ولا اولادكم ولا اشد في قلوبكم فتنة منها والعمل الصالح عندي مرفوع وانا بكل شيء محيط سبحان خالق النور .

وفي السورة الثالثة والعشرين

يا بني آدم الطين والماء المهين وبني الغفلة والغرة لا تكثروا الالتفات إلى ما حرمت عليكم فلو رأيتم مجاري الذنوب لاستقذرتموه ، ولو رأيتم العطرات قد عوفين من هيجان الطباع فهن الراضيات فلا يسخطن ابداً وهن الباقيات فلا يمتن ابداً كلما افتضها صاحبها رجعت بكراً ارطب من الزبد واحلى من العسل بين السرير والفراش امواج يتلاطم الخمر والعسل كل نهر ينفذ من آخر ويحك ان هذا لهو الملك الأكبر والنعيم الأطول والحياة والرغدة والسرور الدائم والنعيم الباقي عندي الدهر كله وانا العزيز الحكيم سبحان خالق النور .

وفي السورة الثلاثين

بني آدم رهائن الموتى اعملوا لآخرتكم واشتروها بالدنيا ولا تكونوا قوماً اخذوا لهواً ولعباً واعلموا انه من قارضني نمت بضاعته ومن قارض الشيطان قرن معه مالكم تتنافسون في الدنيا وتعدلون عن الحق غرتكم احسابكم فما حسب امرىء خلق من الطين انما الحسب عندي هو التقوى سبحان خالق النور .

وفي السورة السادسة والاربعين

بني آدم لا تستخفوا بحقي فأستخف بكم في النار ان آكلة الربا تقطع امعاءهم واكبادهم إذا ناولتم الصدقات فاغسلوها بماء اليقين ، فاني ابسط يميني قبل يمين الآخذ ، فاذا كانت من حرام حذفت بها في وجه المتصدق ، وان كانت من حلال قلت : ابنوا له قصوراً في الجنة وليست الرياسة رياسة الملك إنما الرياسة رياسة الآخرة سبحان خالق النور .

وفي السورة السابعة والاربعين

أتدري يا داود لِمَ مسخت بني إسرائيل فجعلت منهم القردة والخنازير لأنهم إذا جاء الغني بالذنب العظيم ساهلوه وإذا جاء المسكين بأدنى منه انتقموا منه وجبت لعنتي على كل متسلط في الأرض لا يقيم الغني والفقير بأحكام واحدة انكم تتبعون الهوى في الدنيا ، اين المفر إذا تخليت بكم .

كم قد نهيتكم عن الالتفات الى حرم المؤمنين ، وطالت ألسنكم في أعراض الناس سبحان خالق النور .

وفي السورة الخامسة والستين

افصحتم في الخطبة ، وقصرتم في العمل ، فلو افصحتم في العمل وقصرتم في الخطبة ، لكان ارجى لكم ، يا داود اتل على بني إسرائيل رجل دانت له اقطار الأرض حتى استوى وسعى في الأرض فساداً واخمد الحق واظهر الباطل وعمر الدنيا وحصن الحصون وحبس الأموال ، فبينما هو في غضارة دنياه إذ اوحيت الى زنبور

يأكل لحم خده ويدخل ويلدغ الملك ، فدخل الزنبور وبين يديه ستارة وزرائه واعوانه فضرب فتورمت وتفجرت منه اعين دماً وقيحاً فشير عليه بقطع من لحم وجهه حتى كان كل من يجلس عنه شم منه نتناً عظيما حتى دفن جثة بلا رأس .

فلو كان للآدميين عبرة تردعهم لردعتهم ، ولكن شغلوا بلهو الدنيا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يأتيهم امري ولا اضيع اجر المحسنين سبحان خالق النور .

داود يشيد بيت المقدس

لاظهار عظمة الخالق

شرع داود (ع) في بناء بيت المقدس بعد مضي احد عشر سنة من ملكه وحيث قد دنا اجله وقرب بعيد سفره ، اوصى الى سليمان باتمامه .

ثم الوصية له بأن يخلفه

على الشريعة أيضاً

وكان له تسعة عشر ولداً ، وسليمان كان اصغرهم ، قيل : كان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة ، ولما اوصى اليه اعترضه بنو إسرائيل والأسباط وقالوا : يستخلف علينا داود حدثاً ، فدعاهم داود فقال : قد بلغتني مقالتكم ، فليأت كل واحد منكم بعصا ويبيتوها في بيت فمن اخضرت عصاه فهو الخليفة من بعدي ، فأصبحوا وقد اخضرت عصا سليمان ، فسلموا ذلك لداود (ع) .

وبشبه ذلك ما كان لامامنا محمد الجواد (ع) حين قام بأعباء الامامة بنص من ابيه الرضا (ع) وقد سئل في مجلس واحد عن آلاف المسائل واجاب عنها فدل على إمامته من طريق الاعجاز كأمر سليمان (ع) .

انتقال داود (ع) لدار البقاء على مكانته

ولما حضرت الوفاة داود (ع) كانت جارية له تغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ويقوم الى عبادته فأغلقتها ليلة ثم رأت رجلا في الدار فقالت : من ادخلك ؟ فقال : انا الذي ادخل على الملوك بغير إذن ، فسمع داود قوله فقال : انت ملك الموت فهلا ارسلت إلي رسولا فاستعد للموت .

قال : قد ارسلت اليك كثيراً قال : من كان رسولك ؟ قال : اين ابوك واخوك وجارك ومعارفك ؟ قال : ماتوا ، قال : فهم رسلي اليك بأنك تموت كما ماتوا ثم قبضه .

الخليفة الجديد لله على عباده

ينفذ وصية أبيه في تشييد بيت المقدس

قال تعالى : « وأسلنا له عين القطر » (١) .

حيث علم سبحانه من نية داود ان يبذل كل جهده في تشييد بيت المقدس فتسانده حينئذ ألطافه سبحانه ، وحيث وافاه الأجل المحتوم وهو يوصي باتمامه سليمان فيسخر الله له حتى الجمادات لتحقيق امنيات اوليائه في تعظيم شعائره فيسيل لسليمان عين القطر وهي النحاس - اي اذبناها له واظهرناها له - كما سخر الله له الجن تعمل بين يديه ما يشاء من محاريب وهي بيوت الشريعة ، وكان مما عملوا له بيت المقدس .

---

(١) سورة سبأ الآية ١٢ .

ارادة الله في انشاء بيت المقدس

تظهرها الحادثات

سلط الله على بني إسرائيل الطاعون الجارف ، فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود (ع) ان يغتسلوا ويبرزوا الى الصعيد بالذراري والأهلين ويتضرعوا الى الله لعله يرحمهم ، وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد ، وانما امرهم داود (ع) ان يدعوا ويتضرعوا بخصوص ذلك الصعيد ، حيث كان يرى (ع) صعود الملائكة منه الى السماء وهبوطها ، فاعتبرها بقعة شريفة يقبل فيها الدعاء ، وارتفع داود (ع) فوق الصخرة فخر ساجداً يبتهل الى الله تعالى وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف عنهم الطاعون ، فلما ان شفع الله داود (ع) في بني إسرائيل جمعهم بعد ثلاثة ايام وقال : إن الله من عليكم ورحمكم فجددوا له شكراً بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجداً ، ففعلوا واخذوا في بناء بيت المقدس ، وكان داود ينقل الحجارة لهم على عاتقه ، وكذلك خيار بني إسرائيل حتى رفعوه مقدار ارتفاع قامة ، وعمر داود يومئذ مائة وسبع وعشرون سنة ، فأوحى الله اليه ان تمام بنائه يكون على يدي ابنه سليمان ، فلما صار داود ابن مائة واربعين توفاه الله تعالى ، وكان قد ألان الله الحديد له وكان يصنع الدروع ويتعيش بثمنها . ولذا نسبت اليه الدروع الداودية لجودتها ، وسبب ذلك انه كان يطوف في ولايته متنكراً للاستطلاع على اعمال وكلائه ومتصرفيه فاستقبله جبرئيل ذات يوم على صورة آدمي فسلم عليه فرد عليه السلام وقال له : ما سيرة داود ؟ فقال : نعمت السيرة لولا خصلة فيه ، قال : وما هي ؟ قال : انه يأكل من بيت المال ، فشكره واثنى عليه واقسم داود انه لا يأكل منه ،

فعلم الله صدق نيته ، فألان له الحديد ، فقال تعالى : وعلمناه صنعة لبوس لكم وهي الدروع وقد كانت قبلها صفائح يلبسونها ، فكان بذلك مشقة عليهم جعل الله الحديد في يديه كالعجين وقال تعالى : لتحصنكم من بأسكم ، اي لتحرزكم وتمنعكم من وقع السلاح عليكم في حروبكم فجمع الصفتين كونها خفيفة ، لأنها من زرد وحصينة ، لأنها متساوية الزد ، كما علمه الله تعالى بقوله : وقدر في السرد وكان يعمل في كل يوم درعاً واحداً يبيعه بألف درهم ليأكل من حلال .

وروي ان لقمان الحكيم حضره فرآه يفعل ذلك بالحديد فصبر ولم يسأله حتى فرغ فقام ولبس الدرع وقال : نعمت الجنة للحرب ، فقال لقمان : الصمت حكمة وقليل فاعله .

ألطاف الله تقع في محلها القابل

حيث علم الله تعالى ان القلب يتلوث بأكل الحرام وبمرور الأيام يتكلس ولا تعود تجدي فيه المواعظ ، يتدارك سفيره إلى خلقه حتى من أكل الشبهات لشدة الحيطة على قلبه ، لأنه مبعث الجوارح كلها إلى الخير ان صفى وتبلور ، وإلى الشر ان تلوث وتكدر فيرسل امين وحيه جبرئيل بغير صورته وينبهه على مكروب القلوب بعد علمه سبحانه بتجنبه عن المشتبه لأقل إشارة ، كما قد حقق (ع) ذلك بالعهد مع ربه ان لا يأكل من بيت المال وقد علم سبحانه صدق نيته فلم يتركه يشقى في امر معيشته فيدر عليه رزقه ويجعله المتوحد في مهنته ، باجراء الكرامة والمعجزة ايضاً على يده وعندما يستوفي طعمته ويتوفاه ملك الموت فيستخلف ولده سليمان (ع) قال تعالى : ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب (١) .

(١) سورة ص الآية ٣٠ .

وان الخليفة الجديد يصمم على تنفيذ الوصية وإكمال بناء بيت الله المقدس فجمع الجن والشياطين حيث قد سخروا له ويعملون بين يديه - اي بحضرته - ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير (١) . قيل : وكل الله بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ وعدل عن امر سليمان منهم ضربه ضربة أحرقته .

فقسم عليهم الأعمال يخص كل طائفة منهم بعمل ، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمهى الأبيض الصافي من معادنه .

وذكر في كتاب دار السلام (٢) بسنده عن ابي جعفر (ع) كان سليمان يأمر الشياطين فتحمل له الحجارة من موضع إلى موضع ، فقال لهم إبليس : كيف انتم ؟ قالوا : ما لنا طاقة بما نحن فيه ، فقال : أليس تذهبون بالحجارة وترجعون فراغاً ، قالوا : نعم ، فقال : فأنتم في راحة فأبلغت الريح سليمان ما قال إبليس فأمرهم ان يحملوا الحجارة ذاهبين والطين راجعين إلى موضعها فتراءى لهم إبليس فقال : كيف انتم ؟ فشكوا اليه ، فقال : ألستم تنامون الليل ؟ قالوا : بلى ، قال : فأنتم في راحة فأبلغت الريح سليمان ما قالت الشياطين وإبليس فأمرهم ان يعملوا بالليل والنهار فما لبثوا إلا يسيراً ، وزاد الله قوى في اجسامهم وغيرها عما كانت من اللطافة معجزة لسليمان ، وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضاً ، وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط ، ولما فرغ من بناء المدينة شرع في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً فرقاً يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها ، ويقلعون الجواهر والأحجار الثمينة من اماكنها ، ويأتون بالمسك والعنبر وسائر الطيب ، وفرقة تأتي بالدرر من البحار ، فأوتي بشيء من ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى .

ثم احضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتى صيروها ألواحاً ومعالجة

(١) سورة سبأ الآية ١٢ . (٢) ص ٢٩ .

تلك الجواهر واللئالي .

وكان التصميم والتشكيل للمسجد ، هو انه بناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر ، وعمده بأساطين المهى الصافي وسقفه بألواح الجواهر وفصص سقوفه وحيطانه باللئالي والجواهر واليواقيت ، وبسط ارضه بالفيروزج ، فلم يكن بيت ابهى ولا انور منه ، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر .

ذووا اللب في امكانياتهم

هكذا ينبغي لمن مكنه الله في ماله او بدنه او جاهه او سيطرته او في كلها ان يبذل ذلك في تعظيم شعائر الله واماكن ذكره ومحلات عبادته وإسعاف ضعفاء عباده لاحرازه التشييد لنفسه في دار البقاء ، والمزيد في دار الفناء ، لأن إنفاقه وإظهاره شكر لمعطيه ، وهو سبحانه القائل : ولئن شكرتم لأزيدنكم ، لا للقصور الفانية او الباقية لغيره والنبعة عليه .

ولما فرغ من بنائه جمع اليه أحبار بني إسرائيل وأعلمهم ان الذي بناه هو الله تعالى واتخذ ذلك اليوم عيداً .

قيل : لما فرغ من بنائه تغلقت ابوابه ، فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال : بصلوات ابي داود إلا فتحت الأبواب ، ففتحت ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار ، فلا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا ويعبد الله فيها ، فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني إسرائيل ، فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر واليواقيت والجواهر ، فحملها إلى دار مملكته في العراق .

هكذا اقتضت الحكمة في كشف اسرار عباده بالتخويل والتمكن لهم فمنهم من يستخدم قواه في طاعة الله ، ومنهم من يجعلها حرباً لله ، كما سمعت من سليمان في طاعته وبخت نصر في معصيته .

قال تعالى : « ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين » (١) ، اي كما سخرنا لداود الجبال سخرنا لسليمان الريح عاصفة - اي شديدة الهبوب - إذا أراد السرعة ورخاء إذا اراد التأني . والأرض المباركة هي الشام ، لأنها كانت مأواه في بعلبك ، وهو يبني في بيت المقدس تسير في اليوم مسافة شهرين كما قال سبحانه : غدوها شهر ورواحها شهر .

أعطاه الله ذلك عوض الجياد الصافنات التي ضحى بها في سبيل الله حيث أمر بعرضها لغرض إعدادها لغزو عدو الله ، وكانت الفاً ورثها من ابيه وكان داود أصابها من العمالقة ، وقيل غير ذلك ، وكان يحبها فانشغل بها حتى توارت الشمس بالحجاب ، اي غابت آخر العصر فأمر بردها وطفق مسحاً بالسوق والأعناق حيث فوتت عليه وقت الصلاة ، والأصح انه اول الوقت لا الوقت كله ، او كانت له نافلة فات وقتها ، وقد قيل غير ذلك ، واما معنى مسح سوقها والأعناق ، فقيل : هو عقرها بالسيف وقتلها وليس بشيء ، والأولى ما قيل انه مسحها وجعلها معلمة ومسبلة في سبيل الله .

وعلى كل فان الله قد سخر له الريح عوضها لتسهل عليه اسفاره حيث انه تعالى يقدر لعباده تضحياتهم ويجزيهم بحسبها ومنه المزيد .

---

(١) سورة الانبياء الآية ٨٢

الريح تحمل البساط ومن عليه
بأمر الله تعالى

عن الأصبغ خرج سليمان من بيت المقدس ومعه ثلاثمائة الف كرسي عن يمينه عليها الانس وثلاثمائة الف كرسي عن يساره عليها الجن وان الطير لتظلهم وأمر الريح فحملتهم حتى وردت بهم المدائن ، ثم رجع وبات في اصطخر ، ثم غدا فانتهى الى جزيرة بركادان ، ثم امر الريح فحفظتهم حتى كادت اقدامهم تصيب الماء فقال بعضهم لبعض : هل رأيتم ملكا اعظم من هذا ؟ فنادى ملك من السماء لثواب تسبيحة واحدة اعظم مما رأيتم .

سفرة اخرى له تسبب شكوى بيت الله
وتكشف عن سر

وقد مر بمسيرة له على مدينة الرسول (ص) فقال : هذا دار هجرة الرسول نبي في آخر الزمان ، طوبى لمن آمن به ، وطوبى لمن اتبعه ، ورأى حول البيت اصناماً تعبد من دون الله تعالى ، فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك ؟ قال : يارب هذا نبي من انبيائك ، وقوم من اوليائك ، مروا بي فلم يهبطوا بي ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي والأصنام تعبد حولي من دونك ، فأوحى الله اليه ، لا تبك فاني سوف أملأك وجوهاً سجداً وأنزل فيك قرآناً جديداً وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب انبيائي إلي ، وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يدفون اليك دفيف النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين النوق الى ولدها وأطهرك من الأوثان .

سليمان والنملة في مسيرة له أخرى

قال تعالى: «حتى إذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها» ... الخ (١)

وادي النمل هو وادي الطائف، وقيل: بالشام، وتلك النملة كانت رئيسة النمل ولذا قالت يا ايها النمل ادخلوا ... الخ، لأن الرئيس من شؤنه المحافظة على رعيته من الهلاك الروحي والمادي معاً.

والرئاسة والرعاية تعم كل مجموعة كثرت او قلت وكل بحسبه، ولهذا ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فلا يظن ذو الأولاد المهملين بدون تعليم للدين وهدى لشريعة محمد (ص) سيد المرسلين، انهم أفلتوا من هذه الكلية المضروبة ولاعذر لهم بعدم التمكن من اصلاحهم، حيث هم فوتوا على انفسهم وقت التمكن فان تربيتهم عند الصغر اثبت كما هي أيسر فقد قالوا العلم في الصغر كالنقش في الحجر

وذكر في عيون الأخبار وغيره بسنده الى جعفر بن محمد (ع) في معنى قوله: فتبسم ضاحكاً من قولها: ان الريح حملت صوت النملة الى سليمان وهو مار في الهواء، فوقف وقال: علي بالنملة، فلما أتي بها قال لها: أما علمت اني نبي واني لا اظلم احداً، قالت: بلى، قال: فلِمَ حذرتهم ظلمي؟ قالت: خشيت ان ينظروا الى زينتك فيفتتنوا بها فيبعدوا عن ذكر الله تعالى ذكره فتبسم ... الخ.

ثم قالت له: انت اكبر أم ابوك داود؟ قال: بل ابي، قالت: فلِم زيد في حروف اسمك حرف على حروف اسم ابيك؟ قال: ما لي بهذا علم، قالت: لأن اباك داود داوى جرحه بود وانت يابن داود ارجو ان تلحق بأبيك.

(١) سورة النمل الآية ١٨.

وقد قيل في معناه : ان اباك لما ارتكب ترك الأولى وصار قلبه مجروحاً لعتاب ربه له داوى جرح قلبه بود الله ومحبته ، فلذا سمي داود اشتقاقاً من الدواء بالود ، وانت لما لم ترتكب بعد وانت سليم منه سميت سليمان ، ولما كان كلامها موهماً كونه من جهة السلامة افضل من ابيه استدركت ذلك بأن ماصدر منه لم يصر سبباً لنقصه بل صار سبباً لكمال محبته وتمام مودته وارجو ان تلحق بأبيك

ولذا يجب على المذنب تدارك ذنبه بالتوبة وطلب المغفرة كي يحصل على رفيع الدرجات على قدر ندمه وإقباله على ربه ، ثم قالت النملة له : هل تدري لِمَ سخرت لك الريح من بين سائر المملكة ، قال سليمان : ما لي بهذا علم قالت : يعني جل ذكره بذلك ، اني ان سخرت لك هذه الريح ، فزوالها من يدك كزوال الريح ، فحينئذ تبسم من قولها على قول قد ذكروه .

ومن مظاهر قدرة الله تعالى

ففي كتاب مشارق الأنوار ان سليمان كان سماطه كل يوم سبعة اكرار وزناً فخرجت دابة من دواب البحر يوماً وقالت : أضفني اليوم يا سليمان ، فأمر ان يجمع لها مقدار سماطه شهراً ، فاجتمع على ساحل البحر كالجبل العظيم فأخرجت الحوت رأسها وابتلعته وقالت : يا سليمان اين تمام قوتي ، اليوم هذا بعض قوتي فتعجب سليمان وقال لها في البحر دابة مثلك ، فقالت الف أمة فقال : سبحان الله الملك العظيم .

سليمان يعرف منطق الطير

روي ان سليمان رأى عصفوراً يقول لعصفورته : لِمَ تمنعين نفسك مني ولو شئت لأخذت قبة سليمان بمنقاري فألقيها في البحر فتبسم سليمان من كلامه ثم دعاها فقال للعصفور : أتطيق ان تفعل ذلك ؟ فقال : لا يا رسول الله ولكن المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته ، والمحب لا يلام على ما يقول ، فقال للعصفورة لِمَ تمعينه من نفسك وهو يحبك ؟ فقالت : يا نبي الله انه ليس محباً ولكنه مدع ، لأنه يحب معي غيري ، فأثر كلام العصفورة في قلب سليمان وبكى بكاء شديدا واحتجب عن الناس اربعين يوماً يدعو الله ان يفرغ قلبه لحبه وان لا يخالطه بمحبة غيره .

وسمع يوماً عصفوراً يقول لزوجته : ادن مني أجامعك لعل الله يرزقنا ولداً ذكراً يذكر الله تعالى فانا كبرنا ، فتعجب سليمان من كلامه وقال : هذه النية خير من ملكي .

وقيل : كان سليمان جالساً ، إذ مر به طائر يطوف فقال (ع) : إن هذا الطائر يقول السلام عليك ايها الملك المتسلط على بني إسرائيل اعطاك الله سبحانه الكرامة وأظهرك على عدوك اني منطلق إلى فروخي ثم أمر بك الثانية ، وانه سيرجع الينا ، فنظر القوم طويلا فمر بهم فقال : السلام عليك ايها الملك ان شئت ان تأذن لي فيما اكسب على فروخي حتى يشبوا ثم آتيك فافعل بي ما شئت فأذن له

ومر سليمان على بلبل يتصوت ويترقص فقال : هذا يقول إذا اكلت نصف التمرة فعلى الدنيا العفا ، فانظر إلى القناعة من الحيوانات حيث آمنت بربها فهل لنا مثلها ونحن العقلاء وقد سمعنا عنه تعالى يقول في توثيق عباده وتطمينهم :

لو توكلتم على الله حق التوكل لكنتم كالطير تخرج من اوكارها خماصاً وتعود اليها بطاناً يرسلها الينا على ألسنة الحجج من اوليائه جل شأنه كلمة كافلة لرزق عباده لو قرنت ومزجت بشرطها وهو صدق التوكل ، وصاح ورشان عند سليمان فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا قال : إنه يقول ليت الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاووس فقال : إنه يقول : كما تدين تدان ، وصاح هدهد فقال : إنه يقول : من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد عنده فقال : إنه يقول : استغفروا الله يا مذنبين ، وصاح طوطي فقال : إنه يقول : كل حي ميت وكل جديد بال ، وصاح خطاف فقال : إنه يقول : قدموا خيراً تجدوه ، وهدرت حمامة فقال : انها تقول : سبحان الله ملء سماواته وأرضه ، قال : والغراب يدعو على العشارين والحداة تقول : كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطا تقول : من سكت سلم ، والببغاء تقول : لمن الدنيا تمت ، والضفدع تقول : سبحان ربي القدوس ، والباز يقول : سبحان ربي وبحمده ، والضفدعة تقول : سبحان المذكور بكل مكان ، وصاح دراج فقال : إنه يقول : الرحمن على العرش استوى .

وفي دعوات الراوندي ان سليمان كان جالساً على شاطىء بحر فبصر بنملة تحمل حبة قمح تذهب بها نحو البحر فجعل ينظر اليها حتى بلغت الماء فاذا ضفدعة قد أخرجت رأسها من الماء ففتحت فاها فدخلت النملة وغاصت الضفدعة في البحر ساعة طويلة وسليمان يتفكر في ذلك متعجباً ، ثم إنها خرجت من الماء وفتحت فاها وخرجت النملة ولم تكن معها الحبة فدعاها سليمان وسألها وشأنها واين كانت فقالت يا نبي الله ان في قعر البحر الذي تراه صخرة مجوفة وفي جوفها دودة عمياء خلقها الله هناك فلا تقدر ان تخرج منها لطلب معاشها وقد وكلني الله برزقها فأنا احمل رزقها وسخر الله هذه الضفدعة تحملني فلا يضرني الماء وانا في فيها وتضع فاها على ثقب الصخرة وادخلها ، ثم إذا وصلت لها رزقها خرجت إلى فيها فتخرجني

من البحر ، قال سليمان : وهل سمعت لها من تسبيحة ؟ قالت : نعم ، تقول : يا من لا تنساني في جوف هذه اللجة برزقك لا تنس عبادك المؤمنين برحمتك .

اندحار أبي حنيفة

روى العياشي باسناده قال ابوحنيفة لأبي عبدالله (ع): كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير قال : لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى احدكم الدهن في بطن القارورة فنظر ابو حنيفة إلى اصحابه وضحك فقال ابو عبدالله : ما يضحكك ؟ قال : ظفرت بك جعلت فداك قال : وكيف ذلك ؟ قال : الذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخ في التراب حتى يأخذ بعنقه ، فقال ابو عبدالله عليه السلام : يا نعمان أما علمت انه إذا نزل القدر أعشى البصر .

الهدهد يستكشف مملكة بلقيس

في تفسير العسكري (ع) ان سليمان لما سار من مكة ونزل باليمن قال الهدهد : إن سليمان قد انشغل بالنزول فأرتفع نحو السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها ، ففعل ذلك فرأى بستاناً لبلقيس ، فمال إلى الخضرة فوقع فيه فاذا هو بهدهد ، وكان اسم هدهد سليمان يعفور ، واسم هدهد اليمن عنقير ، فقال عنقير ليعفور: من اين أقبلت واين تريد ؟؟ قال : من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال : ومن سليمان ؟ قال : ملك الجن والانس والوحش والشياطين والرياح ، قال : أنا من هذه البلاد ، قال : ومن ملكها ؟ قال : امرأة يقال لها بلقيس ، وان لصاحبكم ملكا عظيما ، وليس ملك بلقيس دونه ، فانها ملكة يمن وتحت يدها

اثنا عشر الف قائد . فهل انت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها ؟ قال : اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء ، قال الهدهد اليماني : إن صاحبك ليسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة ، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وما رجع إلى سليمان إلا وقت العصر .

ولما طلبه سليمان ولم يجده ، دعا عريف الطيور وهو النسر فسأله عنه فقال ما ادري اين هو ، وما ارسلته مكاناً ، ثم دعا بالعقاب فقال : علي بالهدهد فارتفع فاذا هو به مقبل فانقض نحوه فناشده بحق الذي قواك وغلبك علي إلا ما رحمتني ولم تعرض لي بسوء ، فولى عنه العقاب وقال له : ويلك ثكلتك أمك ان نبي الله حلف ان يعذبك اويذبحك ثم طارا متوجهين إلى سليمان ، فلما انتهيا إلى المعسكر تلقته النسر والطير فقالوا : توعدك نبي الله ، فقال الهدهد : أوما استثنى نبي الله ؟ فقالوا : بلى ، قال : أو ليأتيني بسلطان مبين فلما أتيا سليمان وهو على كرسيه قال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله ، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان فأخذ برأسه فمده اليه فقال : اين كنت قال : يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالي ، فارتعد سليمان وعفا عنه .

وبعد أن حكى له ارسله إلى بلقيس بالكتاب بأن يأتوه مسلمين أو يأتي عليهم اجمعين ، واستشارت قومها وأرسلت هديتها تستكشف بها صحة نبوته فتسلم له او انه ملك فتحاربه كما هو مفاد الآيات الكريمة في القرآن سورة النمل

قيل : إن الهدية كانت مائتي جارية ومائتي غلام ، ألبست الجواري لباس الغلمان والغلمان لباس الجواري ، وحقة مختومة . وذكرت في كتابها ان كنت نبياً فميز بين الجواري والغلمان وأخبرنا بما في الحقة قبل فتحها ، فحركها وأخبره جبرئيل بأن فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب فأخبر سليمان الرسول فقال : صدقت ، ثم قال له الرسول : فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فأرسل

سليمان الى الأرضة ، فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فثقبتها ، ثم قال : من لهذه الخرزة يسلكها الخيط ؟ فقالت : دودة بيضاء أنا لها يا رسول الله فدخلتها .

وميز الغلمان من الجواري ، بأن امرهم ان يغسلوا وجوههم وأيديهم ، فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ، ثم تجعله في اليد الأخرى ، ثم تضرب به الوجه ، والغلام يأخذ الماء بيده يضرب به وجهه رأساً بدون تحويله إلى اليد الأخرى ، وعلامة اخرى وهي ان الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظاهره .

وقيل: إنها انفذت مع الهدايا عصاً كانت تتوارثها ملوك حمير وقالت : عرفني رأسها من أسفلها وبقدح ايضاً ، وقالت : تملأه ماء ليس من الأرض ولا من السماء ، فأرسل سليمان العصا في الهواء وقال : اي الرأسين سبق إلى الأرض فهو أصلها ، وأمر بالخيل فأجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها ، وقال : هذا ليس من ماء الأرض ولا من ماء السماء .

فلما رجع اليها الرسول وعلمت انه نبي تأهبت للمسير اليه وأخبره جبرئيل بذلك فعندها قال سليمان : أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين حيث يحرم عليه اخذ مالها حينئذ .

وقيل : اراد ان يريها دليلا ومعجزة لنبوته ، لأنها خلفت عرشها في دارها وعليه الحرس ، إلى آخر القصة من إسلامها وزواجه بها . وقد اخذنا العبر منها فقط وما له ربط في المقصود .

يوم لسليمان (ع) أوله بضد آخره

روي ان سليمان لما صار خليفة داود على بني إسرائيل ، اخفى امره واستتر من شيعته ما شاء الله ، وان امرأته قالت له ذات يوم : بأبي انت وأمي ما اكمل خصالك وأطيب ريحك ولا اعلم لك خصلة اكرهها ، إلا انك في مؤنة أبي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله رجوت ان لا يخيبك ، فقال لها سليمان : ما عملت عملا قط ولا أحسنه ، فدخل السوق فجال يومه ثم رجع فلم يصب شيئاً فقالت له لا عليك ان لم يكن اليوم كان غداً ، وهكذا في اليوم الثاني وفي الثالث مضى إلى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له : هل لك ان اعينك وتعطيني شيئاً ؟ قال : نعم ، فأعانه فلما فرغ الصياد اعطاه سمكتين فشق بطن إحديهما فاذا هو بخاتم في بطنها فجاء إلى منزله وهو واضع الخاتم في ثوبه فقالت له امرأته : إني اريد ان تدعو أبوي حتى يعلما انك قد كسبت ، فدعاهما فأكلا معه فلما فرغوا اخرج خاتمه فلبسه فخرت عليه الطير والريح وغشيه الملك ، وحمل الجارية وابويها إلى اصطخر في اصفهان واجتمعت الشيعة واستبشروا به ففرج الله عنهم ما كانوا فيه من حيرة غيبته .

وقد كان في ملكه يطعم اضيافه اللحم بالحواري (١) ويطعم عياله الخشكار (٢) ويأكل هو الشعير غير المنخول ، فانظر إلى كرم الباري جل شأنه إنما امره إذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون فسليمان خرج إلى ساحل البحر في اول يومه لا يملك قوت ذلك اليوم فيرجع في آخر يومه وقد ملك الدنيا ، هذا عطاء ربنا غير مجذوذ .

---

(١) وهي الخبز الأبيض . (٢) وهو الخبز الأسود .

وعن الأصبغ قال : خرج سليمان ومعه الجن والانس يستسقي فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحها رافعة ايديها وتقول : اللهم إنا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا . فقال سليمان لمن معه : ارجعوا فقد شفع فيكم غيركم .

وفي تفسير علي بن ابراهيم عن ابي الحسن (ع) قال : ما بعث الله نبياً قط إلا عاقلا ، وبعض النبيين أرجح من بعض ، وما استخلف داود سليمان حتى اختبر عقله وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وملك ذوالقرنين وهو ابن اثني عشرة سنة .

وفي محاسن البرقي ان سليمان (ع) جاءته امرأة عجوز مستعدية على الريح فدعا الريح فقال لها : مادعاك إلى ما صنعت بهذه المرأة قالت : إن رب العزة بعثني إلى سفينة بني فلان لأنقذها من الغرق ، وقد كانت اشرفت على الغرق فخرجت في عجلتي إلى ما امرني الله به ، ومررت بهذه المرأة وهي على سطحها فعثرت بها ولم اردها فسقطت فانكسرت يدها فقال سليمان : يا رب بما احكم على الريح ؟ فأوحى الله اليه يا سليمان احكم بارش كسر هذه المرأة على ارباب السفينة التي انقذتها الريح من الغرق ، فانه لا يظلم لدي احد من العالمين .

وعن علي بن الحسين (ع) ان القنزعة على رأس القنبرة من اثر مسحة سليمان ، وذلك ان الذكر اراد ان يسفد انثاه فامتنعت عليه فقال لها : لا تمتنعي مما اريد ، عسى ان يخرج الله عز وجل مني نسمة يذكر بها ، فأجابته إلى طلبه فلما ارادت ان تبيض فقال لها : أين تريدين ان تبيضي ؟ قالت : لا ادري أفأنحيه عن الطريق ؟ قال لها : إني اخاف ان يمربك مار الطريق ، ولكن ارى ان تبيضي قرب الطريق ، فمن يراك قربه توهم انك تتعرضين للقط الحب من الطريق فأجابته إلى ذلك وباضت وحضنت حتى أشرفت على النقاب ، فبينما هما كذلك إذ طلع سليمان في جنوده والطير تظله فقالت له : هذا سليمان قد طلع علينا بجنوده ولا آمن

ان يحطمنا ويحطم بيضنا ، فقال لها : إن سليمان لرجل رحيم ، فهل عندك شيء خبيتيه لفراخك إذا نقبن ؟ قالت : نعم عندي جرادة خبأتها منك لفراخي ، فهل عندك انت شيء ؟ قال : نعم عندي تمرة خبأتها منك لفراخي ، قالت : فخذ انت تمرتك وآخذ انا جرادتي ونعرض لسليمان فنهديها له فانه رجل يحب الهدية فأخذ التمرة في منقاره وأخذت هي الجرادة في رجليها ، ثم تعرضوا لسليمان فلما رآهما وهو على عرشه بسط يده لهما فأقبلا فوقع الذكر على اليمين والأنثى على اليسار وسألهما عن حالهما فأخبراه فقبل هديتهما وجنب جنده عنهما وعن بيضهما ومسح على رأسهما ودعا لهما بالبركة فحدثت القنزعة على رأسيهما من مسحة سليمان (ع) .

وكان سليمان إذا اصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين ويقعد معهم ويقول : مسكين مع المساكين ، وكان مع ما فيه من الملك يلبس الشعر وإذا جنه الليل شد يديه إلى عنقه فلا يزال قائماً حتى يصبح باكياً ، وكان قوته من عمله بسفائف الخوص يعملها بيده ، وإنما سأل الملك ليقهر به ملوك الكفر .

دفع شبهة البخل والاحتكار
عن سليمان (ع)

قال تعالى حكاية عن سليمان : « قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي » (١) .

في كتاب معاني الأخبار وعلل التشريع باسناده إلى علي بن يقطين قال : قلت لأبي الحسن (ع) : أيجوز ان يكون نبي الله بخيلا ؟ فقال (ع) : لا قلت

(١) سورة ص ٣٤ .

فقول سليمان (ع) : رب اغفر لي وهب لي ملكا ... الخ ، ما وجهه ومعناه .

فقال (ع) : الملك ملكان ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس ، وملك مأخوذ من قبل الله تعالى ذكره ، كملك آل ابراهيم ، وملك طالوت ، وذي القرنين وسليمان ، فقال سليمان : رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي اي ليس مأخوذاً بالقهر والغلبة والجور وإجبار الناس ، فسخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر ، وسخر له الشياطين كل بناء وغواص وعلم منطق الطير ومكن في الأرض ، وان ملكه لايشبه ملك الملوك الذين ملكوا باختيار الناس لهم ولا الذين ملكوا بالاجبار والغلبة .

وهناك اجوبة اخرى كمثل انه طلب معجزة له تخصه كما لسائر الأنبياء من العصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى وغير ذلك من الأجوبة تركناها روماً للاختصار

وروي عن النبي (ص) انه قال : عرض لي الشيطان ليفسد علي صلاتي فأمكنني الله منه فأردت ان اوثقه فتذكرت قول سليمان : رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ولو اوثقته لشاركت سليمان في حبس الشياطين .

ثم قال تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت (١) فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً » .

يحكم سليمان طبق الواقع

قيل في معنى الحرث : إنه زرع وقعت فيه الغنم ليلا فأكلته ، وقيل : كان كرماً وقد بدت عنا قيده ، فحكم داود (ع) بالغنم لصاحب الكرم .

فقال سليمان (ع) : غير هذا يا نبي الله ، قال : وما ذاك ؟ قال : يدفع

(١) أي تفرقت فيه ليلا .

الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه - اي يعمل باصلاحه حتى يعود كما كان - وتدفع الغنم إلى صاحب الزرع ، فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان ، ثم يدفع كل واحد منهما إلى صاحبه ما له .

عن ابن مسعود وذكر ذلك ايضاً عن ابي جعفر (ع) وابي عبدالله (ع) وقال الجبائي : اوحى الله الى سليمان (ع) بما نسخ به حكم داود (ع) الذي كان يحكم به ، وقيل غير ذلك وقيل : إن سليمان قضى بذلك وهو ابن احدى عشرة سنة

وروي عن النبي (ص) انه قضى بحفظ المواشي على اربابها ليلا وقضى بحفظ الحرث على اربابه نهاراً ، ثم يثني سبحانه على كل واحد منهما بقوله : وكلا آتينا حكماً وعلماً - اي حكمة - وقيل : معناه النبوة وعلم الدين والشرع .

امتحان سليمان (ع)

قال تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب » (١)

إن الله تعالى لطيف بعباده يلفتهم عند وهم الذنب وشبهة المعصية كي لا يتسامحوا فتتكاثر عليهم ، فيصعب حينئذ إزالتها .

وقريب منه ما يتراءى في بادئ النظر من بعض الآيات من انه قد صدر من الأنبياء بعض الذنوب كمثل قوله تعالى في حق سليمان (ع) في مقامنا هذا ثم أناب ، وقوله بعد ذلك : فغفرنا له ذلك وما أشبهه .

فان الأكثر فيه انهم ربما فعلوا غير الأولى ، ومع ذلك فهو امتحان لهم واختبار بمعنى إظهار ما هم عليه من التصميم على طاعة الله ، وعدم الخروج عن حدوده ولو بالمندوب ، لذا تراهم يتدار كون ذلك على الفور بالاستغفار واللجوء إلى الله تعالى .

(١) سورة ص الآية ٢٤ .

قوله : ولقد فتنا سليمان ، اي اختبرناه وابتليناه وشددنا المحنة عليه بأن ألقينا على كرسيه - اي سببنا ذلك - جسداً ، اي طرحنا عليه جسداً والجسد الذي لا روح فيه .

واختلف العلماء في زلته وفتنته وفي الجسد الذي ألقي على كرسيه على اقوال

(احدها) ان سليمان قال يوماً في مجلسه : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد ، روي عن النبي (ص) ثم قال (ص) : فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً ، فالجسد الذي ألقي على كرسيه هو هذا الشق حيث لم يجسروا على اخباره بل ألقوه على كرسيه عند ولادته ، لأنه ميت ومشوه ، فتدارك امره بالانابة وفزع الى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع .

(ثانيها) ان الجن والشياطين لما ولد لسليمان ابن قال بعضهم لبعض : إن عاش له ولد لنلقين منه ما لقينا من سليمان ابيه من البلاء ، فأشفق منهم عليه فاسترضعه في المزن (١) ، فلم يشعر إلا وقد وضع على كرسيه ميتاً تنبيهاً له على ان الحذر لا يدفع القدر ، فعوتب على خوفه من الشياطين .

كما نقل ان احد الأنبياء مر على طائر فوجده يضحك فقال له : مم تضحك قال : من هؤلاء الذين ينصبون لي فخاً ليصطادوني وانا انظر اليهم .

فمضى النبي لحاجته ثم رجع فوجد الطائر في وسط الفخ فقال له : كيف وقعت وكنت على حذر ؟ فقال الطائر : اسكت يا نبي الله إذا جاء القدر عمي البصر

(ثالثها) انه ولد له ولد ميت جسد بلا روح ، فألقي على كرسيه خوفاً منه من ان يعلموه .

---

(١) السحاب .

(رابعها) انه جسد سليمان نفسه لمرض امتحنه الله تعالى به شديد وتقدير الكلام وألقينا منه على كرسيه جسداً لشدة المرض الذي به فكأنه جسد لا روح فيه من باب التجريد والعرب · تقول للانسان إذا كان ضعيفاً هوجسد بلاروح · وقد ذكرت وجوه أخرى فضلنا تركها ، لأنها لا تناسب مقام النبوة .

وخلاصة المقام

هي ان كلما ينزل الله تعالى بعبده مما يتراءى انه أذى وضرر فهو خير منه ولطف كماينزل الطبيب الدواء المهوع في فم المريض لقصد شفائه من مرضه الجسماني فكذلك ربنا لشفائنا من المرض الروحاني .

قال تعالى : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته » (١) .

ولكل بداية نهاية

قيل : إن سليمان (ع) كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه ويتعبد فيه .

فلما كان في المرة التي مات فيها لم يكن يصبح يوماً إلا وتنبت شجرة كان يسألها سليمان فتخبره عن اسمها ونفعها وضرها ، فرأى يوماً نبتاً فقال : ما اسمك ؟ قال : الخرنوب قال : لأي شيء انت ؟ قال : للخراب ، فعلم انه سيموت .

وقد ورد ان لله ملكا ينادي في السماء بكل ليلة ثلاث نداءات منها : لِدُوا للموت وابنوا للخراب .

---

(١) سورة سبأ الآية ١٣ .

فعند ذلك قال سليمان (ع) : اللهم عمي على الجن موتي ليعلم الانس انهم لا يعلمون الغيب ، وكان قد بقي من بنائه سنة وقال لأهله : لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه .

ودخل محرابه وقام متكئاً على عصاه فمات وبقي سنة وتم البناء ثم سلط الله على منسأته الأرضة حتى أكلتها فخر ميتاً فعرف الجن موته وكانوا يحسبونه حياً لما كانوا يشاهدونه قائماً ، لأنه كان في قبة من زجاج ترى ما في بطنها .

وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال : إن سليمان أمر الشياطين ان يعملوا له قبة من قوارير فبينما هو قائم متكىء على عصاه في القبة ينظر الى عمل الجن وهم ينظرون اليه ولا يصلونه ، وإذا رجل معه في القبة فقال : من انت ؟ قال : انا الذي لا اقبل الرشى ولا أهاب الملوك ، فقبضه وهو قائم متكىء على عصاه في القبة ، فمكثوا سنة يعملون له حتى بعث الله الأرضة فأكلت منسأته (١) .

وفي حديث آخر عن ابي عبدالله (ع) كان آصف يدبر أمره حتى دبت الأرضة ، قال تعالى : فلما خر - اي سقط ميتاً - تبينت الجن وظهر وانكشف ان لو كانوا يعلمون الغيب كما كان الناس وسائر الجن يتوهمون ذلك ، وان رؤساء الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ، وهو الأعمال الشاقة .

وذكر اهل التاريخ ان عمر سليمان كان ثلاثاً وخمسين سنة ، مدة ملكه منها اربعون سنة وابتدأ في بناية بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه .

حياة سليمان (ع) عبرة وموته عبرة

من فوائد إعطائه ملكا معدوم النظير تسلية فقراء المؤمنين ، بأن الحكمة إذا اقتضت التوسعة على المؤمن تنجزت .

(١) أي عصاه .

ومن فوائد إعطائه الملك انه إرهاب للكافر ودفع للوهم ، بأن الدنيا جزماً له (١) ، بل ان ذلك منوط بالمصلحة وهي في علم الله تعالى ، فان اقتضت إعطاءها للمؤمن اعطاها إياه ، كما قد اعطاها لسليمان .

ومن فوائده العبرة بموته بهذه الكيفية المخصوصة ، ليعلم ان من حضر اجله لا يؤخر ابداً ، ولوكان لأخر سليمان (ع) مع جلالته وعظمته ، وعلى الأقل لاكمال مشروعه بناء بيت المقدس .

ومن فوائد موته بهذه الكيفية ، لأن يعلم عدم علم الجن الغيب وانهم في ادعائهم ذلك كاذبون كما نطقت الآية بذلك ، ومنها إتمام البناء كما هو مذكور في نصوصه (ع) .

سليمان (ع) في آخر نفس من حياته

فلنأخذ نظرة دقيقة عن حكمة الله تعالى وعدالته ايضاً في اختيار انبيائه وأوصيائهم على سائر خلقه وجعلهم سفرائه اليهم وتخويلهم أمر رعايتهم وهدايتهم من آخر حاجة لسليمان بآخر لحظة من حياته يطلبها من ربه ، ألا وهي ان يعمي موته على الجن ليعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب .

وكيف يدافع عن التوحيد بدفع وهم الشرك بأغلى ما عنده ، وهي اللحظة الأخيرة من عزيز حياته غير مشفع لطلبه من ربه وهو الكريم بحاجة أخرى تخصه عليه السلام .

إذاً تعقلنا قوله سبحانه : الله اعلم حيث يجعل رسالته تعقلا جلياً بل حسياً وهكذا اوصياء الأنبياء لو سمحنا بشيء من اوقاتنا لتتبع اقوالهم وسيرة حياتهم الشريفة ، لانكشفت لنا سرائرهم اللطيفة .

(١) أي للكافر .

أترى ان الحسين بن علي (ع) يبكي بلحظته الأخيرة من عمره الشريف خوفاً وجبناً ، وهذا ما لا يتوهمه حتى اعدائه وهو ابي الضيم .

نعم يبكي بالغريزة التي انطبع عليها من الرحمة والرأفة بعباد الله : حيث قد تحقق بتلك الآونة . وفيها التصميم من الجميع على قتله ، وانه حجة الله على خلقه خلودهم في النار ومعصية الجبار ، وانه الشرك منهم في التحقيق ، حيث قدموا طاعة المخلوق على طاعة الخالق . فهو اعظم من الشرك ، لأنه عزل للخالق رأساً .

كما ان تضحياته الغريبة الشكل ، هي منبعثة عن الحكمة في خططه الحربية الفاتحة ولو بعد حين ، ككيفية شهادة الرضيع ، وطلب الماء له علناً ، وقوله : إن كان ذنب للكبار فما ذنب الصغار ، فانه خط حربي قاض على ملك بني امية باظهار ما تكنه نفوسهم الخبيثة من العداء العريق لآل بيت الرسول يظهره الى العالم كله ليقطع بذلك عليهم الطريق بالاعتذار عن قتله (ع) بانه اراد تفريق الأمة ، إذاً فما دخل قتل الرضيع في ذلك وان يقتل عطشاناً على الخصوص ، نعم قد اظهر عليه السلام للعالم بمحسوس اعمالهم ان ذلك منهم قد كان للتشفي من جده الرسول الأعظم لما فعل بأشياخهم يوم بدر وغيره .

ومن تضحياته الغريبة حمله النساء مع علمه انها تسبى ، وهو الغيور روحي فداه فهو خط آخر قد حافظ به على ثمرات المعركة ، وكمل به نتائج الجهاد والتضحية ، وناهيك من ذلك الخطب الرائعة من بنات سيد البلغاء امير المؤمنين عليه السلام في الكوفة والشام باحتفالهم العام ، فلم تبق لهم اي نظام والتئام ، ومنه تشكلت الجمعيات السرية ثم العلنية ، لهدم عروش ملك بني أمية ، وإلى غير ذلك من خفايا مقاصده وأسرار جهاده عليه السلام .

القرآن الكريم يثني على لقمان

قال الله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » (١) .

اي اعطيناه العقل والعلم والعمل به والاصابة في الأمور .

واختلف فيه فقيل : كان حكيما ولم يكن نبياً ، وقيل : كان نبياً وفسروا الحكمة في كلام الله تعالى بالنبوة ، وقيل : انه كان عبداً اسوداً حبشياً غليظ المشافر مشقوق الرجلين في زمن داود (ع) .

وقال له بعض الناس : ألست كنت ترعى معنا ؟ فقال : نعم ، فقال : فمن اين أوتيت ما أرى ؟ قال : قدر الله ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، والصمت عما لا يعنيني . وقيل : كان ابن أخت أيوب (ع) . وقيل : ابن خالته .

وروي عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : حقاً اقول : لم يكن لقمان نبياً ، ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه ومنَ عليه بالحكمة كان نائماً نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق ، فأجاب الصوت ان خيرني ربي قبلت العافية ، ولم اقبل البلاء ، وان عزم علي فسمعاً وطاعة ، فاني اعلم انه ان فعل بي ذلك أعانني وعصمني ، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لقمان : لِمَ يا لقمان ؟ قال : لأن الحكم اشد المنازل وأكدها ، يغشاه الظلم من كل مكان ان وقي فبالحري ان ينجو ، وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلا وفي

(١) سورة لقمان الآية ١٢ و ١٣ .

الآخرة شريفاً ، خير من ان يكون فى الدنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة .

فتعجبت الملائكة من حسن منطقه ، فنام نومة فأعطي الحكمة فغشاه بها من قرنه إلى قدمه فانتبه يتكلم بها وهو احكم اهل زمانه ، وأعطي داود الخلافة وابتلي بالخطأ والفتنة .

ثم كان يوازر داود (ع) بحكمته فقال له داود : طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى .

وقال ابو عبدالله (ع) : والله ما أوتي لقمان الحكمة لحسب ولا مال ولا اهل ولا بسط في جسم ولاجمال ، ولكنه كان رجلا قوياً في امر الله متورعاً في الله ساكتاً سكيناً عميق النظر طويل التفكر حديد البصر لم ينم نهاراً قط ولم يتكىء في مجلس قوم قط ، ولم يتفل في مجلس قوم قط ، ولم يعبث بشيء قط ، ولم يره احد من الناس على بول ولا غائط قط ، ولا على اغتسال لشدة تستره وتحفظه في امره ولم يضحك من شيء قط ، ولم يغضب قط ، مخافة الاثم في دينه ولم يمازح انساناً قط ، ولم يفرح بما أوتيه من الدنيا ولا حزن على شيء منها قط وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة ، وقدم اكثرهم إفراطاً فما بكى على موت احد منهم ولم يمر بين رجلين يقتتلان او يتخاصمان إلا أصلح بينهما ولم يمض عنهما حتى يحاجزا ، ولم يسمع قولا استحسنه من احد قط إلا سأله عن تفسيره وعمن اخذه ، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والعلماء والحكماء ، وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين ، فيرثي للقضاة بما ابتلوا به ، ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك ، ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز من السلطان ، وكان يداوي قلبه بالتفكر ونفسه بالعبر وكان لا يظعن (١) إلا فيما ينفعه ولا ينظر إلا فيما يعنيه ، فبذلك أوتي الحكمة ومنح القضية .

(١) وفى نسخة لا يتكلم .

بالامكان لكل انسان ان يكون لقمان

هذا ابو لقمان وهو نبينا محمد (ص) وهذا اخوه وهو إمامنا الصادق (ع) يوصفانه لنا بكل ما هو عليه وما هو فيه ، ويوضحان لنا اسباب استحقاقه لاختيار الله تعالى له ظرفاً لحكمته وحكيما لخليقته ، وهما وان شرحا ووضحا والقصد به نحن غير ان كل ذلك يعود إلى ضبطه لنفسه وسحقه لشهوته ونظمه لذاته ، وهذا ايضاً يعود إلى تمام معرفته لربه وانه المحتاج اليه اولا والمنعم ثانياً وقد حكم في كل ذلك عقله وعمل وفق إرشاده .

واي فرد منا ذوي العقل واللب لايمكنه ذلك ، وهل ان لقمان كان ذا نسب رفيع وليس لنا مثله ، او ذا مال وليس لنا مثله ، او ذا جمال او او... لوكانت هي اسباب رفعته وليس لنا مثلها ، بل كما قال امير المؤمنين (ع) : وإنما هي نفسي أروضها ... الخ .

تراثه العظيم وخيره العميم

يحذو حذو اسلافه ويبتدئ وصيته لولده وكلنا ولده بالدعوة إلى التوحيد بقوله : يابني لا تشرك بالله بل وحده ، حيث هو الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً احد ان الشرك لظلم عظيم ، لأنه ترك ما وجب عليه من معرفة التوحيد فكان ظالماً إضافة إلى ظلمه نفسه ، حيث قد استوجب بالشرك الخلود في النار ، وقد ذكر في التوحيد ما يغني عن التعليق في هذا المقام .

ثم إنه تعالى يوصيه بالشكر على ما آتاه من الحكمة مبيناً العلة بقوله :

ومن يشكر فانما يشكر لنفسه - اي من يشكر نعمة من انعم عليه - لأن ثواب شكره عائد عليه بالنسبة إلى الآخرة ويستحق مزيد النعمة في الدنيا والزيادة الحاصلة بالشكر تكون له ايضاً ، فاذا كما قال تعالى : ومن يشكر فانما يشكر لنفسه .

وقد ورد في لزوم الشكر وحسنه الكثير من الأخبار ، ففي أمالي الشيخ عن ابي عبدالله (ع) واشكروا من أنعم عليكم ، وأنعموا على من شكركم فانكم إذا كنتم كذلك استوجبتم من الله الزيادة ومن اخوانكم المناصحة ، ثم تلا قوله تعالى : لئن شكرتم لأزيدنكم ... الخ .

الشكر ذا ثمر ونتاج فعلي

في الكافي عن السجاد (ع) ان الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور ، يقول الله تعالى لعبد من عبيده يوم القيامة : أشكرت فلاناً فيقول : بل شكرتك يا رب ، فيقول : لم تشكرني إذا لم تشكره ، ثم قال (ع) : أشكركم لله. أشكركم للناس .

وفي أمالي الشيخ عن النبي (ص) يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عزّ وجل فيؤمر به إلى النار فيقول : رب أمرت بي إلى النار وقد قرأت القرآن فيقول الله : اي عبدي اني أنعمت عليك ولم تشكر نعمتي ، فيقول : اي رب انعمت علي بكذا وشكرتك بكذا وانعمت علي بكذا وشكرتك بكذا فلايزال يحصي النعمة ، ويعدد الشكر فيقول الله : صدقت عبدي ، إلا انك لم تشكر من اجريت لك النعمة على يديه واني آليت على نفسي ان لا اقبل شكر عبد لنعمة انعمتها عليه حتى يشكر من ساقها من خلقي اليه .

وفي الفقيه عنه (ص) لا يشكر الله من لا يشكر الناس ، وفيه ايضاً واما

حق المعروف عليك ، فان تشكره وتذكر معروفه وتكسيه المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عز وجل فاذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية .

وفي عيون اخبار الرضا (ع) من لم يشكر النعم من المخلوقين ، لم يشكر الله عز وجل .

وفي الكافي عن امير المؤمنين (ع) من صنع بمثل ما صنع اليه ، فكأنما كافاه ومن أضعف كان شكوراً ومن شكر كان كريماً .

وقال الصادق (ع) : من قصرت يده عن المكافاة فليطل لسانه بالشكر .

وفي الكافي عنه (ص) مكتوب في التوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير (١) .

وفي الصحيفة السجادية في دعاء الاستعاذة قوله (ع) : وترك الشكر لمن اصطنع العارفة الينا .

وفي شرحها للجزائري لعن الله قاطعي طريق المعروف وهو الرجل يحسن إلى الرجل فيترك شكره فيترك ذلك البار بره مرة ثانية فيسبب قطع المعروف .

وقد فهمنا من مجموع هذه التعاليم ان الله تعالى ألزم بالشكر حباً منه لنظم عباده واستقامة امورهم وهو يتوقف على مساعدة البعض للبعض وبالشكر تتتابع المساعدات ويسير امر المعاش بسهولة وانتظام .

---

(١) التغير .

شكر الوالدين عديل شكر الخالق تعالى

قال الله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك وإلي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » (١) .

لما قدم سبحانه الأمر بشكر نعمته أتبعه بوجوب شكر الوالدين ، لأن نعمتهما عليه اعظم من نعمة غيرهما بعده تعالى ، ومعنى وصينا هنا أمرنا وقرن شكرهما بشكره ، لأنه الخالق المنشىء وهما السبب في الانشاء وحسن التربية .

ثم بين زيادة نعمة الأم بأن حملته وهناً على وهن ، اي ضعفاً وأذى على ضعف وأذى ، اي نطفة الوالد على نطفة الأم ، فكلما ازدادت ضعفاً وجهداً على ضعفها السابق .

وفصاله في عامين ، اي فطامه من الرضاع فتلحقها المشقة بذلك إضافة إلى مشقة الحمل ، وقوله تعالى : ان اشكر لي ولوالديك ، تفسير لقوله : ووصينا فشكر الله عز وجل بالحمد وشكرهما بالبر والصلة ، ثم قال تعالى : وإلي المصير ، لا يخفى ما فيه من التهديد ، ثم يستثني من وجوب طاعتهما ما إذا كان طلبهما الشرك بالله سبحانه مع الرفق بهما في الأمور الدنيوية ، وان وجبت مخالفتهما في الأمور الدينية وحيث لا يجوز إطاعتهما في ذلك أمر باتباع وسلوك طريقة من رجع إلى طاعته وأقبل عليه بقلبه وهو النبي (ص) وأوصياؤه والمؤمنون بقوله : واتبع سبيل من اناب إلي ، ثم بين بقوله : ثم إلي مرجعكم ... الخ ، ان اعمالكم تحت الضبط عنده تعالى واخباركم بها وجزاؤكم عليها عند المرجع والمنقلب اليه بعد الموت الحتم

(١) سورة لقمان الآية ١٣ .

نعود الى حكاية الله تعالى

وصية لقمان لابنه

يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السماوات او في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ، اي ان فعلة الانسان من خير او شر وان كانت في الوزن مقدار حبة خردل (١) وفي بيان غموضها يقول في صخرة اي في بطنها والمراد الجبل العظيم لأن الحبة فيها أخفى وأبعد عن الاستخراج وذكر السماوات والأرض بعدها على سبيل التأكيد .

وروي ان ابن لقمان سأل اباه فقال : أرأيت الحبة تكون في مقل (٢) البحر أيعلمها الله فأجابه بالأخفى والأشد ان الله لطيف باستخراجها خبير بمستقرها

يا بني أقم الصلاة ، اي أدها في وقتها جامعة لشرائطها وأمر بالمعروف وهو الطاعة وانهَ عن المنكر وهو كل معصية وقبيح شرعاً وعقلا .

واصبر على ما اصابك من المشقة والأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن شدائد الدنيا ومكارهها من الأمراض وغيرها ، ان ذلك اي الصبر من عزم الأمور والثبات في الارادة لفعل الحسن بدل القبيح والتوطين للنفس على فعله وهو افضل من التلون في الرأي ، وقيل : إن العزم هو القوة والحزم هو الحذر ومنه المثل لا خير في عزم بغير حزم ، وقيل : إن الحزم هو التأهب للأمر والعزم هو النفاذ فيه .

ثم قال : ولا تصعر (٣) خدك للناس ، اي لا تمل بوجهك عنهم تكبراً

(١) الخردل نبات بري يضرب بحبه المثل فى الصغر وحبه أسود (٢) أى مقاس البحر

(٣) وأصل الصعر الشيء الذى يأخذ الابل فى رؤوسها وأعناقها فتميل بأعناقها عنه فظهر وجه التشبيه .

ولاتعرض عمن يكلمك استخفافاً ، ولا تمش في الأرض مرحاً - اي بطراً وخيلاء ان الله لا يحب كل مختال فخور ، اي متكبر وفخور على الناس واقصد في مشيك اي ليكن مشيك على سكينة ووقار ، واغضض من صوتك ، اي لا تجهر به كل الجهر ولا ترفعه متطاولا به ان انكر الأصوات لصوت الحمير ، اي اقبحها فلا تتشبه به اوله زفير وآخره شهيق .

وروي عن زيد بن علي (ع) انه اراد صوت الحمير من الناس وهم الجهال شبههم بالحمير كما شبههم بالأنعام في قوله تعالى : اولئك كالأنعام ، ثم ذكر سبحانه نعمه على خلقه ونبههم على معرفتها فقال : اولم يروا ان الله سخر لكم ما في السماوات من الشمس والقمر والنجوم ومافي الأرض من الحيوان والنبات وغير ذلك مما تنتفعون به وتحيون وأسبغ عليكم نعمه ، اي وأتم عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالظاهرة ما لا يمكن جحده من خلقكم وإحيائكم وإقدار كم وخلق الشهوة فيكم وغيرها من ضروب النعم والباطنة ما لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها .

وقيل : الباطنة مصالح الدين والدنيا مما يعلمه الله وغاب علمه عن العباد .

وعن ابن عباس قال : سألت النبي (ص) عنه فقال (ص) : يابن عباس اما ما ظهر فالاسلام وما تسوى من خلقك ، وما أفاض عليك من الرزق ، واما مابطن فستر مساوىء عملك ولم يفضحك به ، يابن عباس ان الله يقول : ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله ، وجعلت له ثلث ماله اكفر به عنه خطاياه والثالث سترت عليه مساوىء عمله ولم أفضحه بشيء منه ولو أبديتها عليه لنبذه اهله فمن سواهم .

وقيل : الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة ، ولذا ورد عن الرسول الأعظم انه قال : أتيتكم بالشريعة السمحاء .

وقيل : الظاهرة نعم الدنيا ، والباطنة نعم الآخرة ، وقيل : الظاهرة نعم

الجوارح والباطنة نعم القلب ، وقيل : الظاهرة ظهور الاسلام والنصر والباطنة الأمداد بالملائكة ، وقيل : الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة ، وقيل : الظاهرة القرآن والباطنة تأويله ومعانيه .

وقال الباقر (ع) : الظاهرة النبي (ص) وما جاء به من معرفة الله وتوحيده واما النعمة الباطنة فولايتنا اهل البيت وعقد مودتنا .

ولا تنافي بين هذه الأقوال إذ كلها نعم الله تعالى ويجوز حمل الآية عليها جميعها بدون إشكال ، لكن الاشكال بايجاد شكرها .

لقمان حكيم من بدئه

ذكر ان مولاه دعاه فقال : اذبح شاة وأتني بأطيب مضغتين منها فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان .

ثم أمره بمثل ذلك وان يخرط منها اخبث مضغتين ، فأخرج القلب واللسان فسأله عن ذلك فقال : هما اطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا .

وقيل : إن مولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد ويورث منه الباسور ويصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هوناً وقم هوناً ، قال : فكتب حكمته على الحش .

وقال عبدالله بن دينار قدم لقمان من سفر فلقيه غلامه في الطريق فقال له : مافعل ابي ؟ قال : مات ، قال : ملكت امري ، قال : ما فعلت أمتي ؟ قال : ماتت قال : جدد فراشي ، قال : ما فعلت اختي ؟ قال : ماتت ، قال : سترت عورتي قال : ما فعل اخي ؟ قال : مات قال : انقطع ظهري .

وقيل للقمان : أي الناس شر ؟ قال : الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئاً .

قيل له : ما أقبح وجهك ؟ قال : تعيب على النقش او على الناقش .

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمان لابنه : يا بني ان الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الايمان بالله واجعل شراعها التوكل على الله واجعل زادك فيها التقوى ، فان نجوت فبرحمته وان هلكت فبذنوبك .

وقد وعظ ابنه حتى تفطر وانشق وكان يوجه الخطاب له وهو قاصد جميع عباد الله تعالى .

منها قال : يا بني انك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار انت اليها تسير اقرب اليك من دار انت عنها متباعد .

يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك وخذ من الدنيا بلاغاً ولا ترفضها فتكون عيالا وصم صوماً يقطع شهوتك ولا تصم صوماً يمنعك من الصلاة فان الصلاة أحب إلى الله من الصيام .

يا بني ان تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً ، ومنه ضرب المثل العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

يا بني خف الله خوفاً لو أتيت يوم القيامة ببر الثقلين خفت ان يعذبك وارج الله رجاء لو وافيت القيامة بذنوب الثقلين رجوت ان يغفر الله لك فقال له ابنه : وكيف أطيق هذا وأنا في قلب واحد ؟ فقال : يا بني لو استخرج قلب المؤمن فشق لوجد فيه نوران نور للخوف ونور للرجاء لو وزنا ما رجح احدهما على الآخر مثقال ذرة .

يا بني لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها ، فما خلق الله خلقاً هو أهون عليه منها ، ألا ترى انه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : كان فيما اوصى به لقمان ابنه ناتان ان قال له :

يا بني ليكن مما تتسلح به على عدوك فتصرعه المماسحة (١) وإعلان الرضا عنه ولا تزاوله بالمجانبة فيه فيبدو له ما في نفسك فيتأهب لك .

يا بني اني حملت الجندل والحديد وكل حمل ثقيل فلم احمل شيئاً اثقل من جار السوء وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أمر من الفقر .

يا بني اتخذ الف صديق وألف قليل ولا تأخذ عدواً واحداً والواحد كثير ، فقال امير المؤمنين (ع) في ذلك :

تكثر من الاخوان ما اسطعت انهم عماد إذا ما استنجدوا وظهور
وليس كثير الف خل وصاحب وان عدواً واحداً لكثير

وقال امير المؤمنين (ع) كان فيما وعظ به لقمان ابنه ان قال له : يا بني ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيته في طلب الرزق ان الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة احوال : الأولى في رحم أمه يرزقه هناك في قرار مكين ، حيث لا يؤذيه حر ولا برد ثم اخرجه ثانياً من ذلك وأجرى له رزقاً من لبن أمه يكفيه به ويربيه من غير حول به ولا قوة ثم فطم من ذلك فأجرى ثالثاً له رزقاً من كسب ابويه ورأفة له من قلوبهما لا يملكان غير ذلك حتى انهما يؤثرانه على انفسهما في أحوال كثيرة حتى إذا كبر وعقل واكتسب ضاق به أمره وظن الظنون بربه وجحد الحقوق في ماله وقتر على نفسه وعياله مخافة إقتار رزق وسوء يقين بالخلف من الله له في العاجل والآجل فبئس العبد هذا يا بني .

ثم قال : يا بني ان تك في شك من الموت فادفع من نفسك النوم ولن تستطيع ذلك وان كنت في شك من البعث فادفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك فانك إذا فكرت في ذلك علمت ان نفسك بيد غيرك وان النوم بمنزلة الموت وإنما اليقظة بمنزلة البعث بعد الموت .

(١) المصادقة .

يا بني لا تقترب فيكون أبعد لك ولا تبعد فتهان كل دابة تحب مثلها وابن آدم لا يحب مثله لا تنشر برك إلا عند باغيه .

يا بني لا تتخذ الجاهل رسولا فان لم تصب عاقلا حكيما يكون رسولك فكن انت رسول نفسك .

يا بني فاذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء وصلها واسترح منها فانها دين وصل في جماعة ولو على رأس زج (١) .

ومن حكمته انه قال : يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولا من جمعوا له وإنما انت عبد مستأجر قد أمرت بعمل ووعدت عليه أجراً فأوف عملك واستوف أجرك ولا تك في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فأكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع اليها آخر الدهر أخربها ولا تعمرها فانك لم تؤمر بعمارتها ، واعلم انك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن اربع شبابك فيما أبليته ، وعمرك فيما أفنيته ومالك مما اكتسبته وفيما أنفقته فتأهب لذلك وأعد له جواباً .

يا بني تعلمت سبعة آلاف من الحكمة فاحفظ منها اربعاً وسر معي إلى الجنة إحكم سفينتك فان بحرك عميق وخفف حملك فان العقبة كؤود (٢) وأكثر الزاد فان السفر بعيد وأخلص العمل فان الناقد بصير .

يا بني اتعظ بالناس قبل ان يتعظ الناس بك ، يابني اتعظ بالصغير قبل ان ينزل بك الكبير ، يا بني إملك نفسك عند الغضب حتى لا تكون لجهنم حطباً .

يا بني إياك ان تخرج من الدنيا فقيراً وتدع أمرك وأموالك عند غيرك فيما فتصيره أميراً .

(١) أى رأس الرمح وهو كناية عن ضيق المكان . (٢) ضيقة

يا بني ان الله رهن الناس بأعمالهم فويل لهم مما كسبت ايديهم وأفئدتهم .

يا بني لا تأمن الدنيا من الذنوب والشيطان فيها ، يابني اجعل الدنيا سجنك فتكون الآخرة جنتك .

يا بني إنك لم تكلف ان تشيل الجبال ولم تكلف مالا تطيقه فلا تحمل البلاء على كتفك ولا تذبح نفسك بيدك .

يا بني إنك كما تزرع تحصد وكما تعمل تجد ، يا بني لا تجاور الملوك فيقتلوك ولا تطعمهم فتكفر .

يا بني الوحدة خير من صاحب السوء ، يا بني الصاحب الصالح خير من الوحدة ، يا بني إني نقلت الحجارة والحديد فلم اجد اثقل من قرين السوء ، يا بني المحسن تكافئ باحسانه والمسيء يكفيك مساويه لو جهدت ان تفعل به اكثر مما يفعله بنفسه ما قدرت عليه ، يا بني المؤمن تظلمه ولا يظلمك وتطلب عليه فيرضى عنك والفاسق لا يراقب الله فكيف يراقبك .

يا بني كيف ينام ابن آدم والموت يطلبه وكيف يغفل ولا يغفل عنه ، يا بني لا تشتم الناس فتكون انت الذي شتمت ابويك .

يا بني انك مدرج في اكفانك ومحل قبرك ومعاين عملك كله ، يا بني كيف تسكن دار من قد أسخطته أم كيف تجاور من قد عصيته .

يا بني عليك بما يعنيك ودع عنك ما لا يعنيك فان القليل منها يكفيك والكثير منها لا يغنيك .

يا بني لا تؤثرن على نفسك سواها ولا تورث مالك أعداءك ، يا بني انه قد أحصي الحرام القليل فكيف بالحرام الكثير .

يابني إتق النظر إلى مالا تملكه وأطل التفكر في ملكوت السماوات والأرض والجبال وما خلق الله ، فكفى بهذا واعظاً لقلبك .

في بيان التنزيل لابن شهراشوب قال : أول ما ظهر من حكم لقمان ان تاجراً سكر وخاطر نديمه ان يشرب ماء البحر كله وإلا سلم اليه ماله وأهله .

فلما أصبح وصحا ندم وجعل صاحبه يطالبه بذلك فقال لقمان : أنا اخلصك بشرط ان لا تعود الى مثله قل له : اشرب ماء الذي كان فيه وقت إذ فاتني به او اشرب ماء الآن فسد افواهه لأشربه او اشرب الماء الذي يأتي به فأصبر حتى يأتي فأمسك صاحبه عنه .

وقال المسعودي : كان لقمان نوبياً مولىً لليقين بن حر ولد على عشر سنين من ملك داود (ع) وكان عبداً صالحاً ومنّ الله عليه بالحكمة ولم يزل في فيافي الأرض مظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم الى ايام يونس بن متى حتى بعث إلى اهل نينوى من بلاد الموصل .

وعن الأوزاعي ان لقمان الحكيم لما خرج من بلاده نزل بقرية بالموصل يقال لها كومليس قال : فلما ضاق بها ذرعه واشتد بها غمه ولم يكن بها احد يعينه على أمره أغلق عليه بابه وأدخل ابنه يعظه فقال : يابني إن الدنيا بحر عميق ...الخ

في فضل قراءة سورة لقمان

عن النبي (ص) من قرأ سورة لقمان كان لقمان له رفيقاً يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر .

وعن ابي جعفر (ع) من قرأ سورة لقمان في كل ليلة وكل الله به في ليلته ثلاثين ملكا يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يصبح فان قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يمسي .

ومن المعلوم ان المراد بقراءتها المستلزمة لصحبة لقمان الأخذ بوصاياه فيها

كي يكون من جنسه وينضم إلى حزبه فيكون في القيامة رفيقه وفي الجنة صحيبه.

وبالأخير وخاتمة هذا الاكسير ان الآخذ بهذه النصايح والمجتني لثمار هذه اللئالىء تترفع ذاته عن نقائص الصفات وتتصاعد روحه إلى اوج السماوات منضمة إلى المسبحات وكل ذلك كما ذكرناه مراراً يعود إلى ملاك قهر النفس وتذليلها وصرفها عن خسيس شهواتها ورذيل غاياتها راجين من المولى جل شأنه المعونة عليها وان لا يكون هم الانسان إلا طلب رضى ربه ، اما رضى الناس فانه بالاضافة إلى انه غير مجد لو لم يقرن برضاء الله غير ممكن ايضاً كما اوضح ذلك لقمان لابنه بقصة الحمار حيث ركباه معاً ومرا على جماعة فاغتابوهما ونزلا منه وتركاه يمشي ومرا على جماعة فاغتابوهما وركب هو وترك ابنه يمشي فاغتابوهما وأركب ابنه ومشى فكذلك .

الله تعالى يختار موسى (ع) مبلغاً

قال الله تعالى : « وهل أتيك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس او أجد على النار هدى فلما أتيها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إلى قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى » (١) .

---

(١) سورة طه الآية ٩ .

القصة

قصة موسى (ع) معلومة وقد ذكرها القرآن الكريم مفصلة سواء كان في خفاء حمله وولادته رغم الرقابة الشديدة من طاغوت زمانه فرعون او وضعه في التابوت (١) وإلقائه في البحر والتقاط آل فرعون له وتربيتهم له بأنفسهم بكفالة المؤمنة آسية زوجة فرعون وإلقاء محبته في القلوب ثم هربه بعد إرادتهم قتله برعاية الله له لا غير ثم إيواء شعيب له وتزويجه ابنته ثم سفره منه بعد انقضاء الشرط وهي الحجج ومفارقة مدين مع زوجته وهي حامل .

قال ابن عباس : وكان موسى غيوراً لا يصحب الرفقة لئلا ترى زوجته وكانت على أتان وعلى ظهرها جوالق ومعه غنم له وفى الجوالق أثاث البيت فأضل الطريق في ليلة مظلمة وتفرقت ماشيته ولم ينقدح زنده وامرأته في الطلق .

فلما آنس(٢) ناراً قال لأهله امكثوا (٣) لعلي أقتبس من النار شيئاً نصطلي بها او أجد هناك هادياً يدلني على الطريق ، لأن النار لا تخلو من اهل فلما توجه إلى النار فاذا هي في شجرة فوقف متعجباً من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة الشجرة فنودي اني انا ربك فأجاب سريعاً ما يدري من دعاه ، فقال : إني اسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين انت ؟

فقال : أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي إلا لربه عز وجل وأيقن به وإنما حصل له العلم بذلك للعجز وخرق العادة الذي رآه حيث رأى شجرة خضراء من اسفلها إلى اعلاها تتوقد فيها نار

(١) صندوق مغلف . (٢) رأى . (٣) إلزموا مكانكم والمكث لا يدوم والاقامة تدوم .

بيضاء وسمع تسبيح الملائكة حولها ولم تكن الخضرة تطفئ النار ولا النار تحرق الخضرة ثم امره تعالى بخلع نعليه لأنها من جلد حمار ميت او ليباشر بقدميه الأرض فتصيبه بركة الواد المقدس او للتواضع او لأمنه من الأنجاس والحشرات مما دعاه إلى الانتعال بها على اختلاف الأقوال في ذلك ، ولعل قوله تعالى : إنك بالواد المقدس طوى يرجح الوسطين ، وتلك كلها ارهاصات ومقدمات ودلائل للنبوة ، ثم يأتيه التعيين الصريح من قبله عز وجل بقوله : وانا اخترتك ، اي اصطفيتك بالرسالة فاستمع لما يوحى اليك من كلامي واصغ اليه وتثبت .

التوحيد هو الاساس الرصين

لما بشره تعالى بالنبوة أمره بالاستماع لما يوحى اليه تمهيداً وتنبيهاً على اهمية ما سيوحيه اليه فهو ينتظر بكل حواسه الكلمة الأولى منه تعالى ؛ وإذا هو يقول جل ذكره :

إني انا الله لا إله إلا انا ، اي لا إله ولا معبود يستحق العبادة غيري كما هو مفاد الحصر الصريح ، ثم بعد التوحيد يأمره بالعبادة بقوله : فاعبدني ويفسرها بقوله : وأقم الصلاة لذكري طالباً منه التطبيق على نفسه اولا ، والتبليغ لقومه ثانياً ، ولذا قيل : خذ العظة من المتعظ والعبرة من المعتبر .

نادرة زمانه

ذكر ان مملوكا عجز عن خدمة مولاه فجاء إلى مرشد زمانه حيث كان مالكه ملازماً لمنبر وعظه وطلب منه التكلم في مجلس ذلك اليوم بأجر العتق وثوابه

لعل مولاه يسمح بعتقه ويبقى المملوك يترقب صدور اي كلمة منه في ذلك فلم يكن فيشك في الواعظ الجليل ويتهمه بعدم الاعتناء به لضعفه ويمضي على ذلك مايقارب الشهرين فيشرع الشيخ التقي باستحباب العتق وعظيم اجره ولم ينته مجلس الوعظ إلا والمملوك حر ، قد أجريت صيغة عتقه بحضرة العالم فيستوهبه المملوك من سوء ظنه فيه بالتأخير فيجيبه قدس سره ان موعظة الواعظ لا تصل القلب مالم يكن قد طبقها على نفسه اولا وحيث لم يصدر مني عتق مملوك فاستخدمت المدة الماضية لتوفير ثمنه واشتريته قبل يوم وأعتقته لوجه الله تعالى وابتدأت الوعظ يومي هذا في الذي طلبت .

ومن هذا ورد عِظِ الناس بفعلك قبل قولك ، فلذا تجد التعاليم السماوية والآداب الالهية بالنسبة الى الأنبياء كلها تطبيقية ولم يبعث الله نبياً إلا وسبق علمه بامتحانه واختباره بأنه سيطبق ما يأمره به اولا ، ثم التبليغ والوعظ والارشاد ثانياً .

وقد ورد انه تعالى لم يرسل ذا كتاب إلا بعد ان يرعى الغنم مدة حتى إذا تحمل مداراة الحيوانات أرسله الى الناس .

فذكر ان موسى (ع) كان يرعى غنما فانهزم من الغنم كبش فتبعه موسى يومه كله في رؤوس الجبال صاعداً وهابطاً فتعب موسى فلما قبض عليه قبله في وجهه وقال : لقد أتعبتك ، فلما وصل الى هذه الدرجة من الحنان بخلق الله استحق رعايتهم .

اما ما لاقاه (ع) من فرعونه من الشدائد والوعيد بالقتل والتصميم على قتله أخيراً في سبيل الدعوة الى التوحيد حتى خرج خائفاً يترقب على حد تعبير القرآن الكريم فنوكله الى بيانات الكتاب العزيز حيث قد تفنن بقصها على العباد بعدة تعابير ، وكذلك نترك ما جرى بينه وبين فرعون وأعوانه عندما بعث(ع)

اليه بالدلائل الباهرات والبراهين القاهرات وإيمان سحرته رغم تهديدهم بالصلب ، ثم اتباعه بجنوده بعد خروجه ببني إسرائيل وخوفهم الشديد عند رؤيتهم وقوله لهم الناشىء عن صحة العقيدة : إن معي ربي سيهدين وعلى أثر ذلك تنشق لهم الطرق في البحر بواسطة الضرب بالعصا وهلاك فرعون وجنوده ، ثم ضلال بني اسرائيل بالعجل وغضبه على هارون عندما ذهب لمناجاة ربه تعالى ورجوعه ، ووجدهم يعبدون العجل ، وإلى آخر امرهم نترك ذلك كله خوف الاطالة ونلتقط من احواله (ع) ما يرتبط بموضوع الكتاب من العبر فنقول :

العجب يؤل بصاحبه الى النزول

قال الله تعالى : « وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقباً فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً قال أرأيت اذ آوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً » (١) .

النزول

قال علي بن ابراهيم في تفسيره : لما اخبر رسول الله (ص) قريشاً بخبر اهل الكهف قالوا : اخبرنا عن العالم الذي امر الله موسى (ع) ان يتبعه من هو ؟ وكيف تبعه ؟ وما قصته ؟ فأنزل الله تعالى ذلك .

(١) سورة الكهف الآية ٦٠ .

واكثر المفسرين على انه موسى بن عمران (ع) وفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب ، وسماه فتاه لأنه صحبه ولازمه سفراً وحضراً للتعلم منه ، وقيل : كان يخدمه ولهذا قال له موسى : آتنا غداءنا .

وقيل : ان اهل الكتاب يقولون : هو موسى بن ميشا بن يوسف وكان نبياً في بني اسرائيل قبل موسى بن عمران ، إلا ان الذي عليه الجمهور هو ابن عمران ، ولأن اطلاق الآية يوجب صرفه اليه (ع) (١) .

القصة

عن ابن عباس قال : أخبرني أبي بن كعب قال : خطبنا رسول الله (ص) فقال : ان موسى (ع) قام خطيباً في بني اسرائيل بعد ان كلمه الله تكليما وانزل عليه الألواح فيها من كل شيء موعظة .

فسئل اي الناس اعلم ؟ قال : انا ، فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه (٢) فأوحى الله الى جبرئيل أدرك موسى فقد هلك واعلمه ان لي عبداً بمجمع البحرين هو اعلم منك ، فدخله الرعب وقال (ع) : يا رب فكيف لي به ؟ قال تعالى : تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل ثم انطلق .

الايمان الكامل يسدد صاحبه

كيف ترى الكليم (ع) عندما داخله شبه العجب يتراجع عند اول تنبيه يدركه من ألطاف ربه كي لا يتزايد به الى ما يصعب زواله ويتحمل مشاق السفر

(١) لعل ذلك من أهل الكتاب دفاعاً عن نبيهم (ع) . (٢) أي إلى الله تعالى

لمواجهة ذلك العالم واستكشاف مقدرته العلمية متنزلا له بقوله (ع) : هل اتبعك على ان تعلمني ... الخ ، كما سيأتي تفصيلها .

وانطلق معه فتاه حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما واضطرب الحوت في المكتل ، وخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله سرباً (١) وقيل : توضأ (٢) يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ، ووثب في الماء وقيل : غسله ، ومعنى سرباً ـ اي مسلكا ـ لأن الماء كان ينشق له ويجمد من خلفه فبقي مسلكا وطريقاً في وسط الماء ، ونسي يوشع ان يخبر موسى (ع) بما شاهده من أمر السمكة كما انه نسي السمكة نفسها ونسي موسى (ع) ان يسأله عنها .

المعنى قال موسى ليوشع : لا أبرح ، اي لا ازال أمضي وأمشي ولا أسلك طريقاً آخر حتى ابلغ ملتقى البحرين (٣) او امضي حقباً ، اي دهراً طويلا ، وقيل : إن المراد سبعين سنة ، وقيل : ثمانين ، وهو كناية عن عزمه على الوصول إلى مرامه وهو لقاء الخضر ، فلما بلغا مجمع بينهما ، اي الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين ، فلما جاوزا ، اي انطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، اي تعباً .

قال النبي (ص) : ولم يجد موسى التعب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به وقالوا : ألقى الله تعالى الجوع على موسى ليتذكر أمر الحوت فقال له يوشع : أرأيت إذ آوينا الى الصخرة ... الخ ، واخبره بما شاهد من العجب من حياة الحوت ومن جمود الطريق في الماء ، ثم اعتذر بأن ذلك النسيان من الشيطان بقوله وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره .

فعندها قال موسى ذلك : ما كنا نبغ ، اي ما نطلب ونريد من العلامة

---

(١) معجزة من الله تعالى لموسى والخضر . (٢) لعله بعد انتباهه من النوم فلا معارضة . (٣) أي بحر فارس وبحر الروم .

وهو الرجل العالم ورجعا يقصان أثر مسيرهما حتى انتهيا الى مدخل الحوت فوجدا عبداً من عبادنا قائماً على الصخرة يصلي وهو الخضر واسمه بليا ، وقيل : الياس وقيل : تاليا بن ملكان بن عابر او عامر بن ارفخشد بن سام بن نوح ، وكان في ايام افريدون ، وكان على مقدمة ذي القرنين وبقي الى ايام موسى ، لأنه حظي بعين الحياة في سفره مع اسكندر ورجع حينئذ اسكندر وقد كان في طلبها لأنه علم ان الذي يشرب منها واحد لا غير ، فلما شرب منها الخضر واغتسل فيها أيس ذو القرنين وعلم ان صاحبها هو الخضر ، وانما سمي خضراً لأنه كان اذا صلى في مكان اخضر ما حوله .

وروي انه صلى على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء ، وكانت معجزته من الله سبحانه لا يجلس على خشبة يابسة ولا ارض بيضاء إلا اهتزت خضراً .

واختلف فيه فقال بعض : كان ملكا أمر الله موسى ان يأخذ عنه ما حمله الله إياه من بواطن الأشياء .

وقال الأكثرون : كان من البشر ثم اختلفوا ، فقال بعضهم : كان نبياً وانه ارسل الى قومه ودعاهم الى التوحيد والاقرار بالأنبياء والرسل والكتب وحجة هذا القائل انه لا يجوز ان يتبع النبي وهو موسى (ع) من ليس بنبي .

وقال بعض : إنه عبد صالح اودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره ، والجواب عن الحجة ان موسى (ع) أعلم من الخضر في العلوم التي يؤديها الى العباد من قبل الله تعالى من الأحكام اصولا وفروعاً ، والخضر اعلم من موسى ببواطن الأمور ، وبذلك يبطل قول من يعمل بالقياس ، لأن موسى مع علمه بالأحكام لم يتمكن ان يستخرج احكام ما فعله الخضر ، وفي نظره انه فعل محرماً لأن الاحاطة بالحكم والمصالح لا تكون إلا لله تعالى وحده .

والأحكام ربما يتراءى في بادىء النظر انها متناقضة كما في فعل الخضر ،

حيث كانت بحسب الظاهر محرمة وفي الباطن كانت صالحة وواجبة ، فقصرت يد من يستخرج احكام الله تعالى بعقله وقياسه .

واما معنى قوله تعالى : آتيناه رحمة من عندنا - يعني النبوة - وقيل : طول العمر ، وعلمناه من لدنا علماً - اي علماً من علم الغيب - .

وقال الصادق (ع) : كان عنده علم لم يكتب لموسى في الألواح ، وكان موسى يظن ان جميع الأشياء وجميع العلم قد كتب له فيها ، وقيل : وجداه مسجى بثوب ، وقيل : كان يصلي وانتظره موسى الى ان فرغ فسلم موسى عليه فقال : وأنى بأرضك السلام ، قال أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ، قال : نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشداً ، وقيل : إن الخضر ابتدأه وقال : انت موسى بني إسرائيل ، قال : من أعلمك باسمي ؟ قال : الذي دلك على مكاني .

قيمة العلم عند أهله

قال قتادة : فلو كان احد مكتفياً من العلم لاكتفى نجي الله موسى ولكنه عندما علم بأن الخضر قد علم ما لم يعلم تنزل وقال : هل أتبعك ، الآية ، فعظمه بهذا القول غاية التعظيم حيث أضاف العلم اليه ورضي باتباعه والرشد هو العلوم الدينية التي ترشد الى الحق ، وقيل : هو الألطاف الدينية التي تخفى على الناس .

نعم هكذا ينبغي ان يتأدب الطالب أمام معلمه كي يحصل على مقصوده وإنا لنستعمل هذا بدافع الطبيعة وبدون مرشد ، فيما إذا كان مطلوبنا المال وأمور الدنيا ترانا كيف نتأدب أمام صاحب المال ونخضع له غاية الخضوع والذل والتعظيم بل وحتى في حالة عدم أمل المال منه مع ان العلم أثمن من المال فالعقل حاكم بوجوب التضحية في طلبه أضعاف تضحياتنا لطلب المال .

واما قوله : إنك لن تستطيع معي صبراً ، فشرحها ومعناها انه قد ذكر في قصص الأنبياء (١) انه اختلف يونس وهشام في العالم الذي أتاه موسى أيهما كان اعلم ، وهل يجوز ان يكون حجة على من هو حجة الله على خلقه في وقته ؟ فقال : قاسم الصيقل ، فكتبوا إلى ابي الحسن الرضا (ع) عن ذلك فكتب في الجواب أتى موسى إلى العالم في جزيرة من جزائر البحر إما جالساً وإما متكئاً فسلم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس فيها سلام فقال : من أنت ؟ قال : أنا موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما ، جئت لتعلمني مما علمت رشداً .

قال : إني وكلت بأمر لا تطيقه ، ثم حدثه العالم بما يصيب آل محمد عليهم السلام من البلاء حتى اشتد بكاؤها ثم حدثه عن فضل آل محمد حتى جعل موسى يقول : يا ليتني كنت من آل محمد حتى ذكر فلاناً وفلاناً ومبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وما يلقى منهم ومن تكذيبهم إياه وذكر له تأويل هذه الآية ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة حين أخذ عليهم الميثاق فقال الخضر : إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ، اي يثقل عليك الصبر ولا يخف ، ولم يرد انه لا يقدر على الصبر أصلا وانما قال له ذلك لأن موسى كان يأخذ الأمور على ظواهرها والخضر كان يحكم بما أعلمه الله من بواطنها فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك منه .

ثم أعطاه العهد بالصبر إذا شاء الله وعدم عصيانه في اي أمر من الأمور قال الزجاج وفيما فعله موسى وهو كليم الله من طلب العلم والرحلة فيه ما يدل على انه لا ينبغي لأحد ترك طلب العلم ، وان كان في نظره قد بلغ نهايته ، وانه يجب ان يتواضع لمن هو اعلم منه ..

فلما خرق السفينة عندما سمح لهما صاحبها بالركوب دون أجرة ، لأنه عرف

(١) للجزائري ص ٣٣٤ .

الخضر ، وقيل : إنه قلع منها لوحين مما يلي الماء فدخلها الماء وغضب موسى وحشاها بثوبه وقال منكراً عليه : أخرقتها لتغرق أهلها ولم يقل لتغرق وان كان في غرقها غرق جميعهم ، لأنه (ع) أشفق على القوم أكثر من إشفاقه على نفسه جرياً على عادة الأنبياء ، ولهذا نجد نبينا نبي الرحمة عند اشتداد أذى قومه له يدعو لهم بدل ان يدعو عليهم ويقول : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون كيف يستدفع عنهم العذاب وان عصيانهم يا رب عن جهل لا عن تمرد ، كما تقدم ذلك فيجيبه الخضر الم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ، فيتذكر موسى ما بذل له من الشرط فيقول له معتذراً : لا تؤاخذني بما نسيت ولا تعاملني بالعسر فانطلقا فلقيا الغلام وكان يلعب مع الصبيان ، وقد كان حسن الوجه في أذنيه درتان فتأمله الخضر فذبحه بالسكين ، وقيل : صرعه ثم نزع رأسه من جسده ، وقيل : ضربه برجله فقتله ، وقيل : إن موسى وثب على الخضر وجلد به الأرض وقال : أقتلت نفساً زكية - اي بريئة من الذنوب - لقد جئت شيئاً نكراً - اي فضيعاً - لا يعرف في شرع ، وانما قال ذلك لأن قلبه صار كالمغلوب عليه لما رأى من قتله وكيفيته ايضاً ، فأجابه الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبراً .

فيقول موسى (ع) حينئذ : ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً ، وهذا إقرار منه بأن الخضر قد قدم اليه ما يوجب العذر

وروي عن النبي (ص) انه قال : استحيى نبي الله موسى ولو صبر لرأى ألفاً من الأعاجيب .

فلما أتيا أهل القرية بالعشي وهي إنطاكيه ، وقيل : إيلة ، وقيل : الناصرة وبها سميت النصارى نصارى استطعما اهلها .

وعن النبي (ص) انهم كانوا لئاماً فأبوا ان يضيفوهما فوجدا جداراً يريد ان ينقض - اي مشرفاً على الانهدام - فوضع الخضر يده عليه وقال : قم باذن الله تعالى

فقام فعندها قال موسى : لو شئت لاتخذت عليه أجراً ومعناه انه لم ينبغ ان تقيم الجدار حتى يطعمونا ويروونا ، فقال له الخضر : هذا فراق بيني وبينك .

الكشف عن أسرار الاحكام

قال له الخضر : سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً - اي بتفسير الأشياء التي لم تستطع على الامساك عن السؤال عنها صبراً - .

اما السفينة فسبب خرقي لها ان ملكا كان يأخذ كل سفينة يجدها لحاجة له بها فأعبتها ليجدها الملك غير صالحة للاستعمال فيتركها ثم يرقعها اهلها بلوح من خشب ويستعملونها حيث كانت هي سبب معيشتهم فكان خرقها لصالحهم .

واما الغلام فقد طبع على الكفر ونظرت ذلك في جبينه ، وكان أبواه مؤمنين فعلم الله انه ان بقي يرهقهما طغياناً وكفراً ، اي يحملهما على ذلك ويباشر ما لا يمكنهما منعه منه فيحملهما على الذب عنه والدفع والتعصب له فيؤدي ذلك إلى مجاوزتهما الحدود ، وقد أعطاهما الله عوضه ما هو خير منه ديناً وطهارة وأقرب رحماً ، أي اوصل بالرحم وأبر بالوالدين .

ومن المعلوم انهما فرحا به يوم ولد وحزنا عليه يوم قتل ولو عاش كان فيه مهلكتهما فالأفضل لكل مؤمن الرضا بما قسم الله ، فان قضاء الله تعالى للمؤمن خير من قضائه لنفسه ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

وروي انهما أبدلا عن الغلام جارية ولدت سبعين نبياً عن ابي عبدالله (ع) وقيل : إنها تزوجت نبياً فولدت له نبياً هدى الله على يديه أمة من الأمم .

وفي أمره سبحانه الخضر بقتل الغلام دليل على وجوب اللطف كما ذهب اليه الامامية وانه إذا علم من حال إنسان انه يفسد عند عروض شيء لديه فيجب

عليه تعالى بقاعدة اللطف إزالة ذلك الشيء عنه كي لا يقع في الفساد إلا إذا كان الانسان يفسد حتى لو أزال ذلك الشيء عنه فحينئذ يوكل إلى نفسه وضلاله ، وهذا احد المعاني لقوله تعالى : « فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » (١) .

واما الجدار فكان ليتيمين في تلك القرية فأقمته حيث كان تحته كنز لهما . قيل : كانت صحف علم مدفونة تحته ، وقيل : كان ذهباً وفضة . وقيل : كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه هذه الكلمات :

عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل عجباً لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها . لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) ، وهذا يجمع القولين من العلم والذهب .

وكان أبوهما صالحاً قد بين سبحانه ان حفظ الغلامين بصلاح أبيهما .

وعن ابي عبدالله (ع) كان بين الغلامين وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء وقيل : سبعين ، وقيل : سبعمائة عام .

وقال رسول الله (ص) : إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله فلايزالون في حفظ الله لكرامته على الله تعالى فأراد الله ان يبلغا الرشد ويستخرجا كنزهما حيث ان الجدار علامته وبانعدامه يذهب الكنز .

---

(١) سورة ابراهيم الآية ٤ .

الخضر يدفع الشبهة باعترافه بالنقص

وعدم العلم الذاتي

فيقول : وما فعلته عن أمري . اي من قبل نفسي وانما فعلته بأمر الله تعالى ، قال ابن عباس يريد انكشف لي علم من الله فعملت به ، فاذاً الحمد كله لله تعالى والعلم كله منه سبحانه .

سر يتولد من سر

قيل : إن في خرق الخضر للسفينة وقتل الغلام وإقام الجدار إشارات من الله تعالى لموسى (ع) إلى منن سابقة عليه منه سبحانه نبهه عليها وعلى مقدارها من الفضل .

ذكره بخرق السفينة انه حفظه في الماء حين ألقته أمه في التابوت وألقت التابوت في اليم فهو الذي يحفظهم في السفينة ، وذكره بقتل الغلام ، انه قد قتل رجلا في الله عز وجل ، وكانت تلك زلة عظيمة عند من لم يعلم أن موسى نبي فذكره منته عليه حين دفع عنه كيد من اراد قتله ، واما إقامة الجدار بغير أجر ذكره فضله عليه في ابنتي شعيب حين سقى لهما وهو جائع قد طوى ثلاثة ايام في هربه من فرعون ولم يبتغ على ذلك أجراً مع حاجته الى الطعام فنبهه على ذلك ليكون شاكراً مسروراً .

ومن الأمور التي ينبغي التنبه لها من سيرة موسى (ع) هو ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا لميقات ربه فلم يصبروا بعد سماع كلام الله تعالى حتى

تجاوزوا الحد بقولهم : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا ولو اختارهم الله لعصمهم ، ولما اختار الله تعالى من يعلم منه تجاوز الحد فاذا لم يصلح موسى (ع) للاختيار مع فضله ومحله ، فكيف تصلح الأمة لاختيار الامام بآرائها .

وثم كيف يصلحون لاستنباط الأحكام بالقياس وبعقولهم الناقصة وآرائهم المختلفة ، والحال ان موسى مع مقامه من العلم ، لم يتمكن من استخراج أحكام ما فعله الخضر كما ذكرناه سابقاً تعالى الله عن الرضا باختيارهم علواً كبيراً .

وان مثل أفعال امير المؤمنين (ع) كمثل أفاعيل الخضر وهي حكمة وصواب وان جهل الناس وجهها .

ففي علل الشرائع عن عباية الأسدي قال : كان عبدالله بن عباس جالساً على شفير زمزم يحدث الناس ، فلما فرغ من حديثه أتاه رجل فسلم عليه ، ثم قال : يا عبدالله إني رجل من اهل الشام ، فقال أعوان كل ظالم إلا من عصم الله منكم سل عما بدا لك . فقال : يا عبدالله جئتك أسألك عمن قتله علي بن ابي طالب من أهل لا إله إلا الله لم يكفروا بصلاة ولا بحج ولا بصوم شهر رمضان ولا بزكاة فقال له عبدالله : ثكلتك أمك سل عما يعنيك ، ودع ما لا يعنيك ، فقال : ما جئتك من حمص للحج ولا للعمرة ولكن لتشرح لي أمر علي بن ابي طالب وفعاله ، فقال : ويلك ان علم العالم لا تحتمله ولا تقر به القلوب الصدية .

أخبرك ان علي بن ابي طالب (ع) كان مثله في هذه الأمة كمثل موسى والعالم وذلك ان الله قال في كتابه : يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين (١) وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ، فكان موسى يرى ان الأشياء اجمع قد أثبتت

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٢ .

له كما ترون انتم ان علماءكم قد أثبتوا جميع الأشياء ، فلما انتهى موسى الى ساحل البحر فلقي العالم فاستنطق موسى ليصل علمه ولم يحسده .

واما انتم حسدتم علياً وانكرتم فضله ، فقال موسى : هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً فعلم العالم ان موسى لا يطيق صحبته ولا يصبر على علمه ، فقال : إنك لن تستطيع معي صبراً ... الخ ، فخرق العالم السفينة وكان خرقها لله عز وجل وأسخط موسى ذلك ، ولذا قال له اخيراً : وما فعلته عن أمري .

فكذلك علي بن ابي طالب (ع) لم يقتل من قتل إلا لله تعالى فيه رضاً ولأهل الجهالة من الناس سخطاً .

وفي الكافي عن ابي عبدالله (ع) قال : لما أقام العالم الجدار أوحى الله الى موسى اني مجاز الأبناء بسعي الآباء ان خيراً فخير وإن شراً فشر لا تزنوا فتزني نساؤكم ومن وطأ فراش امرأة مسلم وطىء فراشه كما تدين تدان .

وعنه (ع) ان موسى حين اراد ان يفارق الخضر قال له : اوصني فكان مما اوصاه ان قال له : إياك واللجاجة او ان تمشي في غير حاجة او ان تضحك من غير تعجب واذكر خطيئتك وإياك وخطايا الناس .

وقال علي بن ابراهيم لما اسري برسول الله (ص) إلى السماء وجد في طريقه ريحاً مثل ريح المسك الأذفر فسأل جبرئيل عنها فقال : إنها تخرج من بيت عذب فيه قوم في الله حتى ماتوا .

فيما يخص نشأة الخضر

ثم قال جبرئيل له (ص) : إن الخضر كان من ابناء الملوك فآمن بالله وتخلى في بيت ابيه يعبدالله ولم يكن لأبيه ولد غيره فأشاروا على ابيه ان يزوجه لعل الله

ان يرزقه ولداً ، فيكون الملك فيه وفي عقبه ، فخطب له امرأة بكراً وأدخلها عليه فلم يلتفت اليها ، فلما كان اليوم الثاني قال لها : تتمكنين على امري ، فقالت نعم ، قال لها : إن سألك ابي أهل كان مني اليك ما يكون من الرجال الى النساء فقولي : نعم ، قالت : افعل فسألها الملك عن ذلك فقالت : نعم واشارت عليه الناس ان يأمر النساء ان يفتشنها فكانت على حالتها فقالوا : ايها الملك زوجت الغر من الغرة (١) زوجه امرأة ثيبة فزوجه ، فلما دخلت عليه سألها الخضر ان تكتم عليه فقالت : نعم ، فلما ان سألها الملك قالت : إن ابنك امرأة فهل تلد المرأة من المرأة ؟ فغضب عليه فأمر بردم الباب عليه فردم ، فلما كان اليوم الثالث حركته رقة الآباء ، فأمر بفتح الباب ففتح فلم يجدوه فيه فأعطاه الله من القوة ان يتصور كيف شاء .

ثم كان على مقدمة ذي القرنين ، وشرب من الماء الذي من شرب منه بقي إلى الصيحة قال : فخرج من مدينة ابيه رجلان في التجارة في البحر حتى وقعا الى جزيرة فوجدا فيها الخضر قائماً يصلي ، فلما انفتل سألهما عن خبرهما فأخبراه فقال لهما : هل تكتمان علي أمري ان أنا رددتكما الى منازلكما في يومكما ؟ فقالا : نعم فنوى احدهما ان يكتم ونوى الآخر إن رده الى منزله ان يخبر أباه فدعا الخضر سحابة فقال : احملي هذين الى منازلهما فحملتهما السحابة حتى وضعتهما من يومهما فكتم أحدهما وذهب الآخر الى الملك فأخبره بخبره ، فقال له الملك : من يشهد لك بذلك ، قال : فلان التاجر فدل على صاحبه فبعث الملك اليه ، فأنكره وأنكر معرفته ، فقال الأول : ايها الملك ابعث معي خيلا الى هذه الجزيرة واحبس هذا حتى آتيك بابنك فبعث معه خيلا فلم يجده فأطلق عن الرجل الذي كتم عليه .

ثم ان القوم عملوا بالمعاصي فأهلكهم الله ، وجعل مدينتهم عاليها سافلها

(١) أي الغافل من العاقلة .

وابتدرت الجارية التي كتمت عليه أمره والرجل الذي كتم عليه أمره كل واحد منهما ناحية من المدينة ، فلما أصبحا التقيا فأخبر كل واحد منهما صاحبه بخبره فقالا : ما نجونا إلا بذلك ، فآمنا برب الخضر وحسن إيمانهما ، وتزوج بها الرجل ووقعا الى مملكة ملك آخر وتوصلت الأمرأة الى بيت الملك ، وكانت تزين بنت الملك ، فبينما هي تمشطها يوماً إذ سقط المشط من يدها ، فقالت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقالت لها بنت الملك : ألك إله غير أبي ؟ فقالت : نعم وإلهك وإله ابيك فدخلت على ابيها وأخبرته بما سمعت من المرأة فدعاها الملك وسألها عن خبرها فأخبرته ، فقال لها : من دلك على دينك ؟ قالت : زوجي وولدي ، فدعاهم وأمرهم بالرجوع عن التوحيد فأبوا عليه ، فدعا برجل من ماء وسخنه وألقاهم فيه وأدخلهم بيتاً وهدم عليهم البيت ، ثم قال جبرئيل لرسول الله (ص) فهذه الرائحة التي تشمها من ذلك البيت .

الخضر في حياته

في الخصال بسنده عن الرضا (ع) ان الخضر شرب من ماء الحياة فهو حي لايموت حتى ينفخ في الصور ، وانه ليأتينا فيسلم علينا فنسمع صوته ولا نرى شخصه وانه ليحضر حيث ذكر فمن ذكره فليسلم عليه وانه ليحضر المواسم فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمن على دعاء المؤمنين وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته .

وعنه (ع) لما قبض رسول الله (ص) جاء الخضر فوقف على باب البيت وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) ورسول الله قد سجى بثوب فقال : السلام عليكم يا اهل البيت ، كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم

القيامة ان في الله خلفاً من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فتوكلوا عليه وثقوا به واستغفرالله لي ولكم ، فقال امير المؤمنين (ع) هذا اخي الخضر جاء يعزيكم بنبيكم .

وكذلك في المشهور انه جاء الى قبر أمير المؤمنين (ع) بعد دفنه وزاره بالزيارة المعروفة في يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان ، وأولها السلام عليك يا ابا الحسن ... الخ .

وفي الكافي باسناده الى سيف التمار قال : كنا مع ابي عبدالله (ع) جماعة من الشيعة في الحجر فقال (ع) : علينا عين فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً فقلنا ليس علينا عين ، فقال : ورب الكعبة ورب البيت ثلاث مرات ، لو كنت بين موسى والخضر (ع) لأخبرتهما اني اعلم منهما ، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة ، وقد ورثناه من رسول الله (ص) .

وفي رياض الجنان باسناده الى سليمان بن عبد الملك قال : وجد في ذخيرة أحد حواري عيسى (ع) رق فيه مكتوب بالقلم السرياني منقول من التوراة : ان موسى لما رجع من الخضر الى قومه سأله أخوه هارون عما شاهده من عجائب البحر .

قال : بينما أنا والخضر على شاطىء البحر اذ سقط بين أيدينا طائر أخذ في منقاره قطرة ورمى بها نحو المشرق ، وأخذ ثانية ورمى بها نحو المغرب ، وثالثة ورمى بها نحو السماء ، ورابعة رماها نحو الأرض ، ثم أخذ خامسة وعاد ألقاها في البحر فبهتنا لذلك . فسألت الخضر فلم يجب ، فاذا نحن بصياد يصطاد فنظر الينا فقال : مالي أراكما في فكر وتعجب من الطائر قلنا : هو ذاك ، قال : أنا رجل صياد قد علمت وانتما نبيان ما تعلمان ، قلنا : لا نعلم إلا ما علمنا ربنا

قال : هذا طائر في البحر يسمى مسلم ، لأنه إذا صاح يقول في صياحه : مسلم ، فأشار برمي الماء من منقاره إلى السماء والأرض والمشرق والمغرب ، إلى انه يبعث نبي بعد كما يملأ أمته المشرق والمغرب ، ويصعد إلى السماء ويدفن في الأرض ، واما رمي الماء في البحر يقول : إن علم العالم عند علمه (١) مثل هـذه القطرة ، وورث علمه وصيه وابن عمه ، فسكن ما كنا فيه من المشاجرة ، واستقل كل واحد منا علمه بعد ان كنا معجبين بأنفسنا ، ثم غاب الصياد عنا ، فعلمنا انه ملك بعثه الله الينا ليعرفنا حيث ادعينا الكمال .

وفي كتاب مهج الدعوات ، روي ان الخضر والياس يجتمعان في كل موسم ويفترقان عن هذا الدعاء وهو بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيد الله عز وجل لا يصرف السوء إلا الله .

وفي قصص الأنبياء (٢) في الأمالي عن عبدالله بن سليمان قال : قرأت في بعض كتب الله عز وجل ان ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة على عباده ولم يجعله نبياً فمكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً ، فوصفت له عين الحياة ، وقيل له : من شرب منها شربة لم يمت حتى يسمع الصيحة ، وقد خرج في طلبها حتى وصل إلى موضع فيه ثلاثمائة وستون عيناً ، فكان الخضر على مقدمته وكان من أحب الناس اليه فأعطاه حوتاً مالحاً ، وأعطى كل واحد من اصحابه حوتاً مالحاً وقال لهم : ليغسل كل رجل منكم حوته عند عين من هذه العيون فانطلقوا وكان الوصول اليها صعباً للظلمة الشديدة التي لا تؤثر فيهـا المصابيح وانطلق الخضر الى عين من تلك العيون ، فلما غمس الحوت في الماء حي وانساب في الماء فعلم الخضر انه قد ظفر بها فرمى بثيابه وسقط في الماء ، فجعل يرتمس فيه ويشرب منه فرجع كل واحد منهم إلى ذي القرنين ومعه حوته ورجع الخضر

(١) اى علم النبي محمد (ص) . (٢) للسيد نعمة الله الجزائري ص ٣٤٢ .

وليس معه الحوت فسأله عن قصته فأخبره فقال : أشربت من ذلك الماء ؟ قال : نعم ، قال : انت صاحبها وانت الذي خلقت لهذه العين فابشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الأبصار إلى النفخ في الصور .

الرجوع الى موسى (ع)

وعن ابي عبدالله (ع) أوحى الله الى موسى اشكرني حق شكري فقال : يا رب كيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي فقال : يا موسى شكرتني حق شكري حين علمت ان ذلك مني .

وذكر ان موسى رأى رجلا تحت ظل العرش فقال : يا رب من هذا الذي أدنيته حتى جعلته تحت ظل العرش ؟ فقال تعالى : يا موسى هذا لم يعق والديه ولا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله .

فلنفهم مدى تأثير بر الوالدين وعدم الحسد والقناعة بما يقسم العادل عز وجل في رفعة المنزلة والقرب من الله ، وان عقوقها وارتكاب الحسد في التخفيض والبعد عن الله تعالى بتلك النسبة إلى أقصاها من الحضيض .

وصية الله تعالى لموسى (ع)

عن امير المؤمنين (ع) (١) قال : إن الله تبارك وتعالى قال لموسى (ع) : احفظ وصيتي لك بأربعة اشياء اولهن ما دمت ترى ذنوبك لا تغفر فلا تشغل بعيوب غيرك ، الثانية ما دمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتم بسبب رزقك

(١) قصص الأنبياء ص ٣٥٠ .

الثالثة ما دمت لا ترى زوال ملكي ، فلا ترج أحداً غيري ، الرابعة ما دمت لا ترى الشيطان ميتاً فلا تأمن مكره .

نصائح من عدو لدود

فيها ايضاً قال إبليس : يا موسى لا تخل بامرأة فانه لا يخلو رجل بامرأة لا تحل له إلا وكنت صاحبه دون اصحابي ، وإياك ان تعاهد الله عهداً فانه ماعاهد الله أحد إلا وكنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء به ، وإذا هممت بصدقة فامضها فاذا هم العبد بصدقة كنت صاحبه دون اصحابي (١) حتى احول بينه وبينها .

موسى (ع) يخلد النصائح للعباد في مناجاته

في الأمالي باسناده إلى عبد العظيم الحسني عن ابي الحسن العسكري (ع) قال : لما كلم الله موسى بن عمران (ع) قال موسى : يا إلهي ما جزاء من شهد اني رسولك ونبيك ، وانك كلمتني قال : يا موسى تأتيه ملائكتي فتبشره بجنتي .

قال موسى : إلهي فما جزاء من قام بين يديك يصلي ؟ قال : يا موسى أباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً وقائماً وقاعداً ، ومن باهيت به ملائكتي لم أعذبه .

قال : إلهي فماجزاء من صام شهر رمضان لك محتسباً ؟ قال : ياموسى أقيمه يوم القيامة مقاماً لا يخاف فيه . قال : فما جزاء من صام شهر رمضان يريد به الناس ، قال : يا موسى ثوابه كثواب من لم يصمه :

(١) كناية عن ملازمته له وانقطاعه عن كل أحد غيره وعدم اعتماده في ذلك على أبالسته

قال : إلهي فما جزاء من أتم الوضوء من خشيتك ؟ قال : أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ .

قال : إلهي فما جزاء من صلى الصلاة بوقتها ؟ قال : أعطيه سؤلي وأبيحه جنتي .

قال : إلهي فما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك ؟ قال : يا موسى أقي وجهه من حر النار وأؤمنه من الفزع الأكبر .

قال : إلهي فما جزاء من ذكرك بقلبه ولسانه ؟ قال : يا موسى أظله يوم القيامة بظل عرشي وأجعله في كنفي .

قال : يا إلهي فما جزاء من أحب أهل طاعتك ؟ قال : يا موسى أحرمه على ناري .

قال : إلهي ما لمن تلا حكمتك سراً وجهراً ؟ قال : يا موسى يمر على الصراط كالبرق .

ومما قال : إلهى فما جزاء من كف أذاه عن الناس وبذل معروفه لهم ؟ قال : يا موسى تناديه النار يوم القيامة لا سبيل لي عليك .

ومما ناجى به ربه ان قال : إلهي فما جزاء من أطعم مسكيناً ابتغاء وجهك؟ قال : يا موسى آمر منادياً ينادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق ان فلان ابن فلان من عتقاء الله من النار .

قال : إلهي فماجزاء من دعا نفساً كافراً إلى الاسلام ؟ قال : يا موسى أأذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يريد .

قال : يا إلهي فما جزاء من ترك الخيانة حياءً منك ؟ قال : يا موسى له الأمان يوم القيامة .

قال : إلهي فما جزاء من وصل رحمه ؟ قال : يا موسى أنسىء أجله وأهون

عليه سكرات الموت وينادیه خزنة الجنة هلم الينا من أي أبوابها شئت .

قال : إلهي فما جزاء من صبر على أذى الناس وشتمهم فيك ؟ قال : أعينه على اهوال يوم القيامة .

قال : إلهي ما لمن عاد مريضاً ؟ قال : أوكل به ملكا يعوده في قبره إلى محشره .

قال : إلهي ما لمن غسل ميتاً ؟ قال : أخرجه من ذنوبه كما خرج من بطن أمه

قال : إلهي ما لمن شيع جنازة ؟ قال : أوكل به ملائكة معهم رايات يشيعونه من محشره إلى مقامه .

قال : إلهي ما لمن عزى الثكلى ؟ قال : أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي .

قال : إلهي ما جزاء من قتل مؤمناً متعمداً ؟ قال : لا أنظر اليه ولا أقيل عثرته .

حكمة الله في عباده

عن ابي عبدالله (ع) قال موسى لهارون : امض بنا إلى جبل طور سيناء ثم خرجا فاذا بيت على بابه شجرة عليها ثوبان فقال موسى لهارون : اطرح ثيابك وادخل هذا البيت ، والبس هاتين الحلتين ونم على السرير ففعل هارون فلما ان نام على السرير قبضه الله اليه وارتفع البيت والشجرة ورجع موسى الى بني اسرائيل فأعلمهم ان الله قبض هارون ورفعه اليه فقالوا : كذبت انت قتلته ، فشكا موسى ذلك الى ربه فأمر الله الملائكة فأنزلته على سرير بين السماء والأرض حتى رأته بنو اسرائيل فعلموا انه مات فهم يرون انه الوصي من بعده وحكمة الله اقتضت ان يكون الوصي هو يوشع بن نون .

ولهذا في أئمتنا الأطهار نظائر كوفاة اسماعيل ابن الامام الصادق (ع) وهم يرون انه الامام بعد ابيه دون موسى الكاظم (ع) وحكمة الباري قد سبقت في موسى بن جعفر (ع) وصي ابيه والقائم من بعده فيتوفاه الله تعالى في حياة ابيه (ع) إقامة للحجة ومع إيضاحات الامام (ع) لهم بانزال جنازته مراراً والكشف عن وجهه ليريهم وفاته لا يتركهم الشيطان بل يكيد لهم ويجري كلامه على ألسنتهم ويدعون انه الامام دون اخيه موسى (ع) وهم الاسماعيلية هذه غوايات إبليس لحزبه ومكائده لجنسه، وكوفاة السيد محمد ابن الامام الهادي (ع) قبل اخيه الحسن العسكري (ع) حيث كان المظنون لشيعة ابيه انه الامام بعد ابيه لجلالة قدره، ولذا ترى الامام العسكري (ع) يخرج خلف جنازته حاسراً وعلى غير الحالة الاعتيادية له (ع) ليلفت الناس ويؤكد لهم وفاته دفعاً للشبهة ودحراً لابليس لعنه الله في خدائعه، وان جميع افعالهم حكم وان تأخرت بياناتها وأشكلت بوقتها.

الاجل المحتوم يتجلى في اعز خلق الله اليه في وقته

في كتاب قصص الأنبياء (١) في الكافي عن عمارة قال قلت للصادق (ع): اخبرني بوفاة موسى بن عمران، فقال (ع): لما أتاه أجله أتاه ملك الموت فقال السلام عليك يا كليم الله، فقال: وعليك السلام، من انت؟ فقال: انا ملك الموت جئت لأقبض روحك، فقال له موسى (ع): من أين تقبض روحي؟ قال: من فمك، قال له موسى: كيف وقد تكلمت مع ربي جل جلاله؟ قال:

(١) للجزائري ص ٣٥٤.

فمن يديك . قال : كيف وقد حملت بها التوراة . قال : فمن رجليك ، قال : كيف وقد وطأت بها طور سيناء ، قال : فمن عينيك ، قال : كيف ولم تزل إلى ربي بالرجاء محدودة ، قال : فمن أذنيك . قال : كيف وقد سمعت بها كلام الله عزوجل قال : فأوحى الله تعالى الى ملك الموت لا تقبض روحه حتى يكون هو الذي يريد ذلك ، وخرج ملك الموت فمكث ما شاء الله ان يمكث ، ودعا يوشع بن نون وأوصى اليه وأمره بكتمان أمره وبأن يوصي بعده إلى من يقوم بالأمر وغاب موسى عن قومه ثم في غيبته برجل وهو يحفر قبراً فقال (ع) : ألا أعينك على حفر هـذا القبر ، فقال له الرجل : بلى فأعانه على حفر القبر وسوى اللحد ثم اضطجع فيه موسى لينظر كيف هو ، فكشف له عن الغطاء فرأى مكانه من الجنة فقال : يا رب اقبضني اليك فقبض ملك الموت روحه مكانه ودفنه في القبر وسوى عليه التراب وكان الذي يحفر القبر ملك في صورة آدمي وكان ذلك في التيه فصاح صائح مات موسى كليم الله فأي نفس لا تموت ، ولذلك لا يعرف بنو إسرائيل موضع قبره .

الخلافة في دورها الامتحاني

لا زالت الأنبياء وعلى الأخص أولي العزم وذوي الكتب محاطين بالمنافقين وحاملي النفوس الشريرة من الحقد والحسد ، وقد أخضعتهم القوة والدلالة القاطعة ويجعلون أنفسهم خواصاً وبطانة للأنبياء والأوصياء بلباقة اللسان وإظهار الاخلاص بالتملق ولو أدى الحال الى بذل المال كل ذلك تبعيداً لشبهة النفاق أولا وتمهيداً لاحداث الشقاق ثانياً .

وعلى هذا الأساس فقد قام وصي موسى وخليفته على قومه بالأمر من بعد

موسى صابراً من الطواغيت على الضراء والسراء حتى مضى منهم ثلاثة طواغيت فقوى بعدهم أمره . وحيث ان بقيتهم ليسوا بمثابة الأولين فرأوا عدم تهيؤ الأمر لهم كسوابقهم فالتفوا حول صفراء بنت شعيب زوجة موسى (ع) فأنهضوها وهما رجلان في مائة الف رجل فقاتلوا يوشع بن نون فغلبهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقين باذن الله تعالى .

وأسر صفراء امرأة موسى (ع) وقال لها : قد عفوت عنك في الدنيا الى ان تلقي كليم الله موسى بن عمران فأشكو ما لقيت منك ومن قومك .

فقالت صفراء : وا ويلاه والله لو أبيحت لي الجنة استحييت ان ارى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه وخرجت على وصيه بعده .

تشبيه على عكس قاعدته

قد ذكروا في فن البيان ان تشبيه شيء بشيء يقتضي ان يكون وجه الشبه في المشبه به أقوى كي يلحق المشبه بالمشبه به كما يقال : هند كالقمر مثلا لالحاق هند وهي المشبه بالقمر وهو المشبه به لقوة النور فيه دونها .

وقد ذكر المؤرخون ان خلافة علي بن ابي طالب (ع) تشبه خلافة يوشع ابن نون على حد تعبيره (ع) عنه بأخي يوشع في كثير من المقامات .

غير ان جهة الشبه وهي الابتلاء بالطواغيت والحاسدين كانت في المشبه اقوى كما يلحظ من أسف صفراء ومن حيائها عند مواجهة نبي الله ، وبالأخير اعترافها بالظلم وقد ضحت بالجنة كي لا ترى رسول الله بما فعلت ، ولا نرى أي أسف وندم قد ظهر على بعض ازواج نبينا الكريم عندما ظلمت وصي زوجها رسول الله (ص) وسفكت في سبيل ذلك دماء آلاف من عباد الله بل ظلمت نفسها

حيث عكست حكم الله ونقضت سنة رسول الله فانه حرم الحرب والجهاد على النساء وأوجب عليهن الحجاب والقرار في البيوت ورأت بقياس عقلها ان توجب الجهاد على نفسها وان الله تعالى لم يصل علمه إلى تلك المصلحة التي تعقلتها ، وليس ذلك بمستغرب منها حيث قد تبعت فيه أسلافها ، فكم من حكم أخرجوه وآخر أدخلوه في دين الله وسنة رسوله استحساناً منهم لذلك ، وكأنهم أدركوا من المصالح لما أدخلوه في الشريعة ، ومن المفاسد لما أخرجوه منها ما لم يصل اليه علم الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وقد صرخ النبي الكريم صرخة عم صوتها كل أذن باجماع المسلمين عليها حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة .

ويوضح إصرارها على الأمر وان انتحل لها المنتحلون الاعتذار لها بالتوبة ما أظهرته في موت الحسن (ع) من الشماتة ، والتصريح بأن لا يدخلوا بيتها من لا تحب ، فقد اعترفت ببغضها لريحانة رسول الله (ص) ومن قال (ص) في حقه وحق اخيه : حبهما حبي وبغضهما بغضي ، وحتى قيل فيها تجملت تبغلت ولو شئت تفيلت . . . الخ .

كشف عن غامض من مخلوق الله تعالى

فقد ذكر ان موسى قال : يا رب قد قلت للسماوات والأرض إئتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين فلو لم تطعك السماوات والأرض ما كنت فاعلا .

قال تعالى : كنت آمر دابة من دوابي تبتلعها ، قال موسى : يا رب وأين تلك الدابة ؟ قال تعالى : في مرج من مروجي ، قال موسى : يا رب وأين ذلك المرج ؟ قال تعالى : في علم من علومي لا يعلمه إلا انا .

وقال ابن عباس : خلق الله تعالى اربعين الف عالم الانس والجن عالمان

والبواقي لا يعلمها إلا هو .

وفي جامع الأخبار ان رجلا فاسقاً كان في بني إسرائيل قد عجز اهل بلده من فسقه وفجوره فتضرعوا الى الله تعالى ، فأوحى سبحانه الى موسى (ع) ان اخرج الشاب الفاسق عن بلدهم لئلا تقع النار عليهم بسببه ، فأخرجه من القرية الى القرية الأخرى ، فأوحى الله اليه ان يخرجه منها ايضاً ، فأخرجه موسى منها فخرج الى مغارة ليس فيها خلق ولا طير ولا زرع ولا وحش فمرض الشاب في تلك المغارة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع وجهه على الأرض وقال : يا رب لو كانت والدتي عند رأسي لرحمتني وبكت على ذلي وغربتي ولوكان والدي حاضراً لغسلني وكفنني ووارني ولو كانت زوجتي وأولادي عندي لبكوا علي وقالوا : اللهم اغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصي المطرود من بلد الى بلد ، ومن قرية الى مغارة ثم خرج من الدنيا آيساً من كل الأشياء .

آثار الانقطاع اليه سبحانه

بعد تقديم الاعتذار بصورة العتبى يعود بصريح التوبة والانقطاع اليه عز وجل فيقول : اللهم يا رب إذا قطعت بي وفرقت بيني وبين والدي ووالدتي وزوجتي وأولادي فلا تقطعني يا رب من رحمتك وكما أحرقت قلبي بفراقهم فلا تحرقني بنارك لأجل معصيتي يا رب .

فأرسل الله اليه حوراء على صفة امه وحوراء على صفة زوجته وغلماناً على صفة اولاده وملكا على صفة والده فبكوا عليه وجلسوا عنده ، فقال الشاب : هذا والدي ووالدتي حضروا عندي فطاب قلبه وصار إلى ربه ، فأوحى الله إلى موسى انه قد مات ولي من اوليائي في موضع كذا فاذهب اليه وغسله وكفنه

وصل عليه وادفنه ، فسار موسى الى الموضع فرأى ذلك الشاب الذي أخرجه وعرفه بعينه ، ثم رأى الحور العين تبكي عليه فقال : يا رب أليس هو ذلك الشاب الذي أمرتني باخراجه من المدينة والقرية ؟ فقال الله تعالى : يا موسى هو ذلك الشاب اني رحمته وتجاوزت عنه بوحدته في مرضه وبفرقته عن وطنه وعن ولده ووالده ووالدته وزوجته واعترافه بذنبه وطلبه مني العفو والمغفرة فأرسلت اليه الحواري على صفة أمه وزوجته وغلماناً على صفة اولاده وملكا على صفة والده وغفرت له لغربته وذله ، واعلم يا موسى إذا مات الغريب بكت عليه ملائكة السماء واهل الأرض رحمة له فكيف لا ارحمه وانا ارحم الراحمين اقول : فما يمنع الانسان بعد ان علم بكرم ربه وقبول توبته بشرط صدقه ان يمد يد المصالحة معه وطلب العفو والمغفرة منه سبحانه وتعالى وهو القائل : إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

نتيجة التمرد والطغيان

قال تعالى : ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه : لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين ، قال : انما أوتيته ... الخ (١) .

(١) سورة القصص الآية ٧٦ .

المعنى في الآية

كان قارون من بني إسرائيل وهم قوم موسى (ع) وهو ابن خالته عن ابن عباس، وروي عن ابي عبدالله (ع) ايضاً وقيل: كان ابن عمه، لأنه ابن يصهر ابن فاهث وموسى بن عمران بن فاهث وقيل: إن موسى ابن اخيه وقارون عمه وعلى كل فهو قريبه وإسرائيلي، ومقتضى ذلك ان يعتز بنبوة موسى ويفتخر وان يذعن له وكون النبوة فيهم أولى من ان تكون في القبط، لكنه لخبث سريرته وحسده بغى عليهم - اي استطال عليهم - بكثرة كنوزه بدل شكره وقد كان يسمى المنور لحسن صورته، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما ان السامري كذلك.

وعلى منواله قوم نبينا (ص) من قريش، لخبث سريرتهم وانطوائها على الحقد والحسد قالوا: نتبع يتيم بني هاشم بدل افتخارهم به (ص) وكان من أشدهم عليه عمه ابو لهب، وسمي بذلك لحسن وجهه ايضاً، كأنه يتلهب ناراً وقيل: كان قارون عاملا لفرعون على بني إسرائيل، فكان يبغي عليهم لما كانوا بمصر.

قال عطا اصاب كنزاً من كنوز يوسف، وحكي ان موسى علمه الثلث من صنعة الكيمياء وعلم يوشع الثلث وعلم ابن هارون الثلث، فخدعهما قارون حتى علم ما عندهما وعمل بالكيمياء فكثرت امواله ولكثرتها يوصفها تعالى بانها تنوء اي تثقل مفاتيح تلك الكنوز بالعصبة القوية إذا حملوها فكيف بالكنوز نفسها وقد قيل: إن العصبة ما بين العشرة رجال إلى خمسة عشر.

وقد وعظه قومه بقولهم: لا تفرح، أي لا تأشر وتمرح وتتكبر بسبب

كنوزك ان الله لا يحب من هو بهذه الصفة ، لأن الانسان مهما بلغ فهو مملوك لربه كغيره ، فالكل ملك لله الواحد القهار ، ثم إن المال أمانة بيد صاحبه فاذا اراد الله ذهابه فبطرفة عين على كثرته واتساعه كما فعل مع قارون .

فعلى ذوي العقول ان يزدادوا تواضعاً كلما ازداد خيرهم وتوفر رزقهم وان يتابعوا الشكر لرازقهم استبقاءً عليه وازدياداً له لقوله تعالى : ولئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد وان من الشكر اداء حقوقه .

ثم تابعوا وعظهم له بقولهم : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة بأن ينفقها في سبيل الله ووجوه الخير والبر لا ان يكدسها مالا على مال وكنزاً على كنز والفاً على الف فالى أين يريد بها وهو مفارقها لا محالة وتاركها لغيره مشاهدة وحساً ويا ليته يتركها فقط بل يتبعه حسابها وآثامها ، كما أخبر بذلك رب العزة لاقامة الحجة بقوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ذوقوا ما كنزتم فهذا ما كنتم تكنزون » (١) ، حيث قد حرموا الفقراء نصيبهم المفروض لهم عليهم منه تعالى للحكمة والمصلحة ، وإلا فاذا أراد سبحانه إعطاء الفقير نصيبه مباشرة ودون توسيط الأغنياء فمن الراد له سبحانه وقد قال تعالى في حديث المال مالي والأغنياء وكلائي والفقراء عيالي فما يضر وكلائي ان ينفقوا من مالي على عيالي ، ثم قولهم : ولا تنس نصيبك من الدنيا فهو ان تعمل في الدنيا للآخرة عن اكثر المفسرين ، لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته وما عداه فهو ليس له .

وروي عن علي عليه السلام ما هو بمعناه لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك وغناك ان تطلب بها الآخرة .

(١) سورة التوبة الآية ٣٥ .

وقيل : معناه ان يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه ، وقيل : معناه ان قارون كان بخيلا فقيل له : كل واشرب واستمتع بما آتاك الله من الوجه الذي أباحه لك فان ذلك غير محظور عليك .

وأحسن كما أحسن الله اليك ، أي افضل على الناس كما أفضل الله عليك ، وقيل : احسن فيما افترض عليك كما احسن في إنعامه عليك ، وقيل: معناه احسن شكر الله على قدر إنعامه عليك وواس عباد الله بمالك ، وعلى كل الوجوه فالمقصود لهم إرشاده إلى طرق سلامته من المسؤليات تجاه نعمته .

ولا تبغ الفساد في الأرض ، أي لاتطلب العمل بالمعاصي والعبث في الأرض والاخلال بالنظام ، حيث تعرض نفسك للهلاك والدمار ان الله لا يحب المفسدين وبعجل لهم في الانتقام ، لأنه يريد نظم عباده واستقامتهم وسير معاشهم .

أتراهم كيف وعظوه ونصحوه كمشفقين عليه ؟ فيكون جوابه لهم بل في الحقيقة جواب لله تعالى ، إنما اوتيته على علم عندي ، انظر إلى مدى طغيانه وتجبره يروم نفي فضل الله عليه وان وفور نعمته مسبب عن معرفته وعلمه وليست لله فيه يد ، وان علمه بوجوه المكاسب وفضله عليهم هو السبب ، والحالة ان الله قد أهلك من كان قبله من القرون الكافرة بنعم الله من هو أشد قوة من قارون واكثر جمعاً كقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ، فبين سبحانه ان اغتراره بماله وعدده وجمعه من الخطأ العظيم ، حيث لا يدفع عنه عند نزول العذاب كالماضين وهذا من ألطافه يريهم المحسوس لعلهم يرشدون .

ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون ، معناه انهم يدخلون النار بغير حساب لمعرفة الموكلين لهم بسيماهم فيؤخذوا بالنواصي والأقدام ، وهذا مثل قوله تعالى : فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ، وأما قوله : فو ربك لنسألنهم اجمعين فهو سؤال توبيخ وتقريع لا استعلام فلا تعارض بين الآيتين .

الغرور الاخير لقارون

فخرج على قومه في زينته التي كان يتزين بها ، وفي حشمه وأتباعه قيل : خرج في اربعة آلاف دابة عليها اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان (١) ، وقيل : خرج فى جوار بيض على سرج من ذهب على قطف أرجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحلي من ذهب ، وقيل : في سبعين الفاً عليهن المعصفرات ، فعند ذلك انشق بنو إسرائيل إلى شقين ، الأول الكفار والمنافقون وضعيفوا الايمان والعقيدة ، بما وعد الله المؤمنين من الثواب والنعيم الدائم وهم الذين عبر الله تعالى عنهم بقوله : قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم - أي ذو نصيب وافر من الدنيا - وهذا يؤل إلى اتهام الله بالتحيز إلى قوم دون قوم في أرزاقهم ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

الثاني المؤمنون الذين تركيز الايمان في قلوبهم وثبتت العقيدة في صدورهم حيث أخذوها عن علم واطلاع دون تقليد ورياء ، وهم الذين عبر الله تعالى عنهم بقوله : وقال الذين أوتوا العلم وهم المصدقون بوعدالله وكأنهم يشاهدون ما أعد الله لهم تجاه صبرهم وضيق معاشهم ، ثم قال : ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً - أي افضل مما أوتي قارون - لأنه فان أو باق لغيره وذاك الباقي الدائم لصاحبه .

هذه نتيجة العلم وهي الثبات على العقيدة وعدم التزلزل عند الشدائد ، لأنهم يرون ان لها أجراً فهم مأنوسون بكسبهم كما اعطى حقيقتهم سيدهم ومعلمهم

(١) صبغ أحمر .

الأكبر امير المؤمنين (ع) بقوله : كأنهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون .

ثم قال : ولا يلقاها إلا الصابرون ـ أي الكلمة الطيبة ـ وقيل : الجنة في الآخرة إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا .

السبب الحتمي للانتقام

قال تعالى : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

حيث لم يكتف بالتمرد على الله وعلى نبيه بل دعا بغياً من بغايا بني إسرائيل وقال لها : أعطيك الفين على ان تجيئي غداً إذا اجتمعت بنو إسرائيل عندي فتقولي : يا معشر بني إسرائيل مالي ولموسى (ع) قد آذاني قالت : نعم فأعطاها خريطتين عليها خاتمه ، فلما جاءت بيتها ندمت وقالت : يا ويلتى قدعملت كل فاحشة فما بقي إلا ان أفتري على نبي الله ، فلما اصبحت اقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بني إسرائيل فقالت : إن قارون قد أعطاني هاتين الخريطتين على ان آتي جماعتكم فأزعم ان موسى يراودني عن نفسي ، ومعاذ الله ان أفتري على نبي الله ، وهذه دراهمه عليها خاتمه ، فعرف بنو إسرائيل خاتم قارون ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، ان الله لا يخذل عبده المؤمن وانه بالمرصاد لكل من يريد به كيداً حيث هو القائل على لسان رسله ، لو ان عبداً من عبادي توكل علي(١) دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ، ثم تكيده السماوات والأرض وما فيها لجعلت له المخرج من بينهن .

فانظر كيف ألقى سبحانه في روع البغية ذلك ولم يجذبها المال الكثير

(١) وفي نسخة اعتصم بي .

الذي قد بذلت عرضها وفضحت نفسها في سبيل الحصول على الدرهم والدرهمين منه

فيغضب كليم الله ويلتجىء إلى ربه وسنده بالدعاء عليه ، فيوحي اليه ناصره بنجدة غريبة الشكل اني أمرت الأرض بطاعتك وسلطتها عليه فمرها ، فقال موسى عليه السلام : يا ارض خذيه وهو على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره .

فلما رأى قارون ذلك ناشده الرحم فقال : خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ثم اخذته حتى غيبت ركبتيه ثم حقويه وهو يناشده الرحم وموسى يقول خذيه حتى غيبته فأوحى الله اليه يا موسى ناشدك الرحم واستغاثك فأبيت ان تغيثه لو إياي دعا واستغاث لأغثته .

فلما خسفت به الأرض وانقضى أمره ورأوا ذلك بنو إسرائيل بأم أعينهم اجتمعت كلمتهم والتأم شقهم وقوي إيمانهم ، ولذا قالوا : وي كأن الله يبسط الرزق ... الخ .

فيخسر إبليس معركته الأولى باجتماع كلمتهم ورجوعهم إلى التسليم لربهم وإيكال أمورهم اليه حيث رأوا ابتلاع الأرض لقارون وهذا لا يروق له لعنه الله

فيكر عليهم ويفتح لحربه معهم الجبهة الثانية ويتدخل فيهم من جديد وهو الذي يوسوس في صدور الناس فيقول بعضهم او جلهم بألسنة يطلقها إبليس انما فعل موسى ذلك بقارون ليرث ماله ، لأنه ابن عمه فينتصر له ربه من جديد ايضاً ويخسف الأرض بداره وبأمواله بعد الخسف به بثلاثة أيام .

هكذا ألطافه بعباده ومساندته لهم على مكائد الشيطان وإبراز البراهين لهم برهاناً بعد برهان ، ويكشف الأمر لهم بالعيان .

فاذا بلغ الخبث في نفوسهم أقصاه وصمموا على اتباع الشيطان وعبادته يتركهم وأنفسهم وتنقطع عنهم الألطاف وإلى جهنم وبئس المصير ، وهذا معنى

قوله تعالى : فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء (١) .

أي يهيء اسباب الطاعة لمن علم صدق نيته واسباب المعصية والخذلان لمن علم كذب إيمانه .

ثم قال تعالى : فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله تنبيهاً لأمثاله ان لا يغتروا بمن التف حولهم وكثروا جمعهم حيث لادافع لعذاب الله إذا نزل وقد كان قارون يقدر في نفسه الامتناع بحاشيته وجنوده ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس عندما خرج عليهم بزينته يقولون : لولا ان منّ الله علينا وأعطانا مثل قارون لاغتررنا وتمردنا وخسف بنا كما خسف به وأهلكنا كما أهلكه .

وختاماً يقول تعالى : تلك الدار الآخرة ـ يعني الجنة ـ ودار القرار التي لا نصب فيها ولا وصب ولا تعب مسلياً لضعفاء عباده نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ، أي تجبراً وتكبراً على عبادالله واستكباراً عن عبادته ولا فساداً أي عملا بالمعاصي .

أمير المؤمنين (ع) يوضح مصداق الآية

روى زادان عن امير المؤمنين (ع) انه كان يمشي في الأسواق وحده ويمر بالبياع والبقال ويفتح عليها القرآن ويقرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، ويقول : نزلت هذه الآية في اهل العدل والتواضع من الولاة واهل القدرة من سائر الناس .

وروى ابو سلام الأعرج عنه (ع) انه قال : إن الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية ، يعني ان من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن

(١) سورة ابراهيم الآية ٤ .

يريد علواً في الأرض .

وقال الكلبي : يعني بقوله فساداً الدعاء إلى عبادة غير الله . وقال عكرمة هو أخذ المال بغير حق .

ثم قال تعالى : والعاقبة للمتقين ، اي العاقبة الجملة المحمودة من الفوز بالثواب للذين اتقوا الشرك والمعاصي .

وقيل : معناه الجنة لمن اتقى عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، ويقول سبحانه في مقام الترغيب : من جاء بالحسنة فله خير منها - اي لا نقتصر على جزائه في مقام الطاعة على مقدار ما عمل ، بل نضاعفه له كرماً منه ، وان المضاعفة تختلف كثرة وقلة على قدر إتقان العمل وحسن المعرفة والاخلاص في النية

ولادته وعمره (ع)

قال تعالى : « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً قال إنما انا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ... الخ » (١) .

كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد ، وكانت عند خالتها امرأة زكريا ايام حيضها ، فاذا طهرت عادت إلى بيتها في المسجد ، فبينما هي في ناحية الدار شرقاً وقد ضربت بينها وبين اهلها ستراً لتغسل وتمتشط ، إذ دخل عليها جبرئيل في صورة رجل شاب سوي الخلقة فأنكرته واستعاذت منه بالرحمن ومعنى

(١) سورة مريم الآية ١٦ .

قولها ان كنت تقياً ، حيث ان التقي يمنع صاحبه من التعدي ، كما تقول ان كنت مؤمناً فلا تظلمني .

فقال جبرئيل : إنما انا رسول ربك ، والغرض من مجيئي ان أهب لك غلاماً زكياً ، اي ولداً طاهراً من الأدناس ، فاستبعدت ذلك حيث لم تكن ذات زوج وتعلم من نفسها النزاهة في العرض ، وحيث ان جبرئيل لم يعلم تفصيل ذلك أجابها بالاجمال بقوله كذلك ، اي كما وصفت لك ، وقد قال ربك هو علي هين اي احداث الولد من غير زوج لا يشق علي ليكون آية باهرة للناس على نبوته أولا وعلى براءة أمه ثانياً ورحمة للناس يهتدون بسببه ثالثاً فحملته ، اي حملت بعيسى في الحال .

فعن الباقر (ع) ان جبرئيل تناول جيب مدرعتها ، فنفخ فيه فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل في أرحام النساء في تسعة أشهر ، فخرجت من المستحم وهو محل مشرق الشمس ، وهي مثقل فنظرت اليها خالتها ، فأنكرتها ومضت على وجهها مستحية منها ، فانتبذت مكاناً قصياً ، أي تنحت بالحمل مكاناً بعيداً من اهلها حياءً وخوفاً من التهمة ، وقيل : إن مدة الحمل ساعة ، وقيل : تسع ساعات فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ، اي ألجأها الطلق ووجع الولادة إلى النخلة لتستند اليها .

قال ابن عباس : نظرت إلى أكمة فصعدت مسرعة اليها ، فاذا عليها جذع نخلة نخرة وقد تمنت عند ذلك الموت كراهية ان يعصى الله فيها للشبهات التي تدعوهم إلى الكلام عليها ، وغير ذلك ، وقيل : من الحياء .

وروي عن الصادق (ع) انه قال : لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهها من السوء ، فعندها ينتصرلها ربها فيناديها من تحتها ، ألا تحزني والمنادي قيل : عيسى حين وضعته وهو تحتها ، وقيل : جبرئيل ومعنى كونه تحتها ، اي

دونها في المكان لأنها على ربوة لبزول عنها الغم والجزع والنداء هو قوله : قد جعل ربك تحتك سرياً - اي نهراً تشربين منه وتتطهرين من النفاس - وقيل في معنى السري : هو عيسى ، لأن السري الشريف ، وهزي اليك بجذع النخلة اليابس وقد أثمر لوقته وتساقط عليها منه الرطب في الشتاء في غير أوانه كرامة لها .

وقال الباقر (ع) : لم تستشف النفساء بمثل الرطب ان الله أطعمه مريم في نفاسها ، وكل ذلك إعجاز وبراهين منه تعالى ، ويكمل البراهين لها بأن أمرها سبحانه ان تصوم صوم السكت نذراً وان كلمها أحد من قومها فتشير له بأن يكلم وليدها لتكون الحجة القاطعة لها عليهم وانه نبي .

فلما تكلم عيسى (ع) قالوا : هذا أمر عظيم ، وان أول كلام تكلم به هو الاقرار لله بالعبودية حيث قال : إني عبدالله ليبطل قول من يدعي له (ع) الربوبية ، وكأن الله أنطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه ، وقد كانوا بتسويل الشيطان على طرفي نقيض بين الافراط والتفريط ، حيث قالت اليهود : إنه ساحر كذاب ، وقالت النصارى : إنه ابن الله وثالث ثلاثة ، وقد كذبهم الله تعالى جميعاً بقوله : ذلك عيسى بن مريم ، وبقوله تعالى : ما كان لله ان يتخذ من ولد وان استبعدتم خلقته ، فانه سبحانه إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون .

والذين قالوا : هو الله اليعقوبية ، والذين قالوا : هو ابن الله النسطورية ، والذين قالوا : هو ثالث ثلاثة - اي الله ومريم وعيسى - الاسرائيلية والذين قالوا هو عبدالله المسلمون .

ثم قال (ع) : وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ، فترى أهدافهم عليهم السلام بعد التوحيد ، هي العبادات ومقاومة النفس .

وفي علل الشرائع ، لما جاء المخاض مريم إلى جذع النخلة اشتد عليها البرد

فعمد يوسف النجار إلى حطب فجعله حولها كالحظيرة ثم أشعل فيه النار فأصابتها سخونة الوقود من كل ناحية حتى دفئت وكسر لها سبع جوازت وجدهن في خرجه فأطعمها . فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد ويلعبون بالجوز .

ابليس لعنه الله يفتش عن قيادة الجبهة

فعن الباقر (ع) ان إبليس ليلة ميلاد عيسى (ع) أتى فقيل له : قد ولد الليلة ولد لم يبق على وجه الأرض صنم إلا خر لوجهه وأتى المشرق والمغرب يطلبه فوجده في بيت دير ، وقد حفت به الملائكة ، فذهب يدنو فصاحت به الملائكة تنح فقال لهم : من أبوه ؟ فقالت الملائكة : مثله كمثل آدم ، فقال إبليس : لأضلن به اربعة أخماس الناس ، وقد خصه الله تعالى بأن يبرأ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ، لأن الطب في زمانه قد اتسع وأخذ محله من التقدير بحيث كادت الناس ان تعبد الأطباء ، فكانت معجزته مما يعجز عنه حذاقهم من إبراء الأخرس وإذهاب البرص وحياة الميت ، وله (ع) في هذه شواهد نذكر منها ما يخص إحياء الموتى لنتفهم قدرة الله الجارية على ايدي سفرائه سنداً لأوليائه ولطفاً لعباده .

في تفسير العياشي ان اصحاب عيسى سألوه إحياء ميت ، فأتى بهم إلى قبر سام بن نوح فقال له : قم باذن الله يا سام بن نوح ، فانشق القبر ، ثم أعاد الكلام فخرج سام فقال له عيسى : أيما أحب اليك تبقى أو تعود ؟ فقال : يا روح الله ، بل أعود اني لأجد حرقة الموت وهي في جوفي إلى يومي هذا .

وفيه عن أبان بن تغلب قال : سئل ابو عبدالله (ع) ان عيسى بن مريم أحيى احداً بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدة وولد فقال (ع) : نعم

كان له صديق مؤاخ له في الله وكان (ع) يمر به فينزل عليه ، وان عيسى غاب عنه حيناً ثم مر به ليسلم عليه فخرجت اليه أمه فقالت : مات يا رسول الله فقال : أتحبين ان تريه ؟ قالت : نعم ، قال : إذا كان غد آتيك حتى أحييه باذن الله ، فلما كان من الغد أتاها فقال : انطلقي معي إلى قبره فانطلقا فوقف عليه عيسى ودعا الله فانفرج القبر وخرج ابنها حياً ، فلما رأته أمه ورآها بكيا فرحمهما عيسى فقال له : أتحب ان تبقى مع أمك في الدنيا ؟ قال : يا رسول الله بأكل ورزق ومدة او بغير ذلك ، فقال له عيسى : بل أكل ورزق ومدة تعمر عشرين سنة وتتزوج ويولد لك ، قال : نعم فدفعه عيسى إلى أمه فعاش عشرين سنة وتزوج وولد له .

معجزة وموعظة له ومنه (ع)

عن ابي عبدالله (ع) قال : مر عيسى على قرية قد مات اهلها وطيرها ودوابها فقال : أما انهم لم يموتوا إلا بسخطة ، ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا فقال الحواريون : يا روح الله وكلمته ادع الله ان يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت اعمالهم فنتجنبها ، فدعا عيسى (ع) ربه فنودي من الجو ان نادهم فقام عيسى بالليل على شرف من الأرض فقال : يا اهل هذه القرية ، فأجابه منهم مجيب لبيك يا روح الله وكلمته فقال : ويحكم ما كانت اعمالكم ؟ قال : عبادة الطاغوت وحب الدنيا مع خوف قليل وأمل بعيد وغفلة وطرب فقال : كيف كان حبكم للدنيا ؟ قال : كحب الصبي لأمه إذا أقبلت علينا فرحنا وإذا أدبرت عنا بكينا وحزنا .

قال : كيف كانت عبادتكم للطاغوت ؟ قال : الطاعة لأهل المعاصي ، قال : كيف كانت عاقبة امركم ؟ قال : بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في هاوية ، قال : وما

الهاوية ؟ قال : سجين قال : وما سجين ؟ قال : جبال من جمر توقد علينا الى يوم القيامة قال : فما قلتم وما قيل لكم ؟ قال قلنا : ردنا الى الدنيا فنزهد فيها ، قيل لنا كذبتم قال : ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم ؟ قال : يا روح الله وكلمته انهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد واني كنت فيهم فلما نزل العذاب عمني معهم . فأنا معلق بشعرة على شفير جهنم لا ادري أكبكب فيها أم أنجو منها ، فالتفت عيسى الى الحواريين فقال : يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم على المزابل خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

عيسى يحلل الدنيا تحليلا ضافيا

قيل لعيسى (ع) : مالك لا تتزوج ؟ قال : وما أصنع بالتزويج ؟ قيل : يولد لك ، قال : وما أصنع بأولاد ان عاشوا أفتنونا وان ماتوا أحزنونا .

قال امير المؤمنين (ع) في بعض خطبه : وان شئت قلت في عيسى بن مريم فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان أدامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما أنبتت الأرض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه .

وفي إرشاد القلوب قال عيسى (ع): خادمي يداي ودابتي رجلاي وفراشي الأرض ووسادي الحجر ودفئي في الشتاء مشارق الأرض وسراجي بالليل القمر وأدامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وفاكهتي وريحانتي ما أنبتت الأرض للوحوش والأنعام أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على وجه الأرض احد اغنى مني ، ومراده (ع) غنى النفس وعدم الحاجة الى الناس لأنه هو الغنى الصحيح وما عداه فقر حاضر .

الاحياء الروحي

قال الله تعالى : من احياها فكأنما احيى الناس جميعاً (١) في امالي الشيخ عن ابي عبدالله (ع) قال : من اخرجها من ضلال إلى هدى ومن اخرجها من هدى الى ضلال ، فقد اماتها ، وفي المحاسن عن فضيل قال قلت لأبي جعفر (ع) قول الله في كتابه : ومن احياها فكأنما احيى الناس جميعاً قال (ع) : من حرق او غرق او غدر ثم سكت ، قلت : فمن اخرجها من ضلال إلى هدى فقال : ذاك تأويلها الأعظم ، وفيه عن حمران عنه (ع) في الآية قال : من حرق او غرق او غدر ثم سكت ، فقال : تأويلها الأعظم ان دعاها فاستجابت ، وفي مصباح الشريعة عن الصادق (ع) مثل الواعظ والمتعظ كاليقظان والراقد فمن استيقظ من رقدة غفلته ومخالفاته ومعاصيه صلح ان يوقظ غيره من ذلك الرد (٢) .

وان لعيسى (ع) في إحياء النفوس بهذا المعنى مواقفه العظيمة وتفانيه بعد ان طبقها على نفسه الرفيعة من الزهد في الدنيا ، حيث قد علم انها المهلكة فلم يضع منها حجراً على حجر لبناء مأوى له .

فقد روى انه (ع) اشتد به المطر والرعد يوماً فأخذ يطلب موضعاً يلجأ اليه فظهرت له خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال : إلهي لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى ، فأوحى الله اليه مأواك في مستقر رحمتي وعزتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ، ولأطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ، ولأمرن منادياً ينادي أين الزهاد في الدنيا احضروا عرس الزاهد

(١) سورة المائدة الآية ٣٥ . (٢) فيكون إحياء الناس جميعاً .

عيسى بن مريم .

وروي انه كوشف بالدنيا فرآها عجوزاً هتماء (١) عليها من كل زينة فقال لها : كم تزوجت ؟ فقالت : لا أحصيهم ، قال : كلهم مات عنك او طلقوك فقالت بل كلهم قتلت فقال عيسى (ع) : بؤساً لأزواجك الباقين كيف يرون انك تهلكينهم واحداً واحداً ولم يكونوا منك على حذر .

روي ان رجلا قال لعيسى (ع) : اريد ان أصحبك يا نبي الله فقال عليه السلام : نعم فمضيا ومرا على قرية وكان من عادته (ع) إذا مر على قرية وأراد وعظ اهلها دخلها وإلا مر عليها ولم يدخلها ، وحيث لم يرد دخولها فأرسل صاحبه ليشتري منها ثلاثة ارغفة ودفع له ثلاثة دراهم فاشترى ، ولما صار في الطريق حدثه الشيطان من طريق نفسه ، بأن عيسى سوف يدفع له نصفها ولم تكفه فأكل رغيفاً ودفع إلى عيسى رغيفين ، فقال له : اين الثالث ؟ قال : ان اهل القرية دفعوا إلي رغيفين عوض الثلاثة دراهم فدفع له رغيفاً وأكل (ع) رغيفاً حتى إذا اتيا بحراً فقال (ع) له : ضع أقدامك مكان أقدامي وسم باسم الله تعالى فعبرا ولم تبل لهما قدم ، فقال له : أرأيت هذه المعجزة ؟ قال : نعم ، قال (ع) : فقل لي : اين الرغيف الثالث ؟ فأنكر اشد إنكار وقال : يا روح الله لم يعطوني سوى رغيفين فمشيا فوجدا ضبياً فأمره بقبضه وذبحه وشوي لحمه وأكلا منها ثم جمع ما تبقى مع عظامها ووضعها في جلدها وقال (ع) : كوني حية كما كنت باذن الله تعالى فانتفضت ومضت على سبيلها ، فقال له : أرأيت هذه المعجزة ؟ قال : نعم ، فقال : قل لي : اين الرغيف الثالث ؟ فحلف له انهم لم يعطوه غير الرغيفين فمضيا وصعدا على جبل فخط بيده (ع) على رأس الجبل ثلاثة قطع ، فاذا هي من ذهب فقال له : هذه قطعة لك وقطعة لي وقطعة لمن أكل الرغيف الثالث فقال :

(١) أي مكسرة الثنايا .

وحقك أنا اكلته ، فترك القطع له وقال : إنك لا تصلح لصحبتي .

فبقي متفكراً فيما يصنع بالذهب ، وانه سيكون من التجار ، وإذا بثلاثة سراق قد هجموا عليه أرادوا أخذه منه وأخيراً اتفقوا على قسمتها ارباعاً ثم قالوا له : نحن جياع ولانقدر على دخول السوق لانا سراق ، ودفعوا له ثمناً وارسلوه ليشتري لهم به طعاماً فمضى وجعل لهم فيه سماً ليموتوا ويخلص له الذهب ، كما انهم ايضاً فكروا بقتله عند رجوعه وماتوا كلهم حول الذهب ، قد قتل بعضهم بعضاً وإنما قتلهم حب الدنيا بتسويل إبليس .

فيمر عيسى (ع) مع الحواريين ويتعجبوا من ذلك ، فيحي لهم الموتى باذن الله تعالى ويحكون لهم قصتهم .

وتروى ايضاً بنحو آخر ، والخلاصة ان حب الدنيا وماها قتال .

ثم يمضي مع الحواريين فيمرون بكنز فقال الحواريون : يا نبي الله نبقى عند هذا الكنز ونعيش به ونعبد الله ، فيقول (ع) : إما انا فأمضي إلى كنز اعظم من هذا ، ففارقهم ومضى فجاء إلى بيت عجوز فاستضافها فأضافته فلم يجد عندها شيئاً ، فلما حان وقت الغروب جاء ولدها ورحب بضيفه ثم استنطقه عيسى عليه السلام فوجده ذكياً بليغاً ، غير انه تعتريه سكتة في اثناء احواله ، فسأله عليه السلام عن سبب ذلك ، فقال : إني أعيش على الاحتطاب فكنت يوماً احمل حزمة الحطب على ظهري لبيعها في السوق فتعبت واتكيت على حائط فنظرت إلى فتاة في روشن أمامي كأنها الشمس فتعلق قلبي بها وسألت عنها فاذا هي بنت ملك البلاد ولم يكن له غيرها وهي بمنتهى العز والدلال ، وكلما حاولت صرف قلبي عنها لم يطاوعني فكلما تمر على خاطري تأخذني هذه السكتة .

فقال له عيسى (ع) : قم وادخل عليه واخطب منه ، وكلما اقترح عليك تعهد له به وائتني فدخل البلاد ووقف على باب الملك فرأوه الوزراء عند دخولهم

وسألوه حاجته فذكر لهم انه خاطب ابنة الملك لنفسه فضحكوا منه ودخلوا واخبروا الملك بذلك فأمر بدخوله وسأله عن حاجته ، فقال : جئتك خاطباً ، فقال : إن بنات الملوك يطلبن صداقاً كثيراً يناسب حالهن ، فقال الحطاب : اطلب ما تريد فقال مستهزئاً به : أريد منك أوقية من الذهب وأوقية من الزبرجد وأوقية من الياقوت الأحمر ومثلها من الأصفر إلى غير ذلك من المجوهرات ، فوعده وجاء إلى عيسى (ع) وذكر له ذلك فقال (ع) : ادخل هذه الخربة وضع رداءك وخذ من احجارها مقدار أوقية وضعه على ردائك وقل : كن ذهباً باذن الله وكذلك بقية الأنواع فكان كما اراد وأخذه ووضعه بين يدي الملك ، فعجب منه وطلب منه مثله مكرراً فجاء به بأمر عيسى (ع) فلما رأى الملك ذلك قال : لا يقدر على هذا إلا روح الله عيسى (ع) فلما عرف انه رسول الله وأمره ان يزوجها له قبل الأرض وقال : انا عبدك وهي أمتك والأمر أمرك ، فزوجها من الحطاب ودخل بها في ليلته .

ولما رأى الوزراء ادب ذلك الحطاب وعلمه قالوا للملك : لو جعلته ولي عهدك فكان ولي عهده بوقته وبعد ليلة مات الملك فأصبح الحطاب ملك البلاد وما فيها والبنت المعززة المكرمة التي لم يسمح لأي احد برؤيتها زوجته وتحت أمره .

فلما فكر في غدر الدنيا وقد سلبت الملك ملكه وحتى ابنته الغالية وسلمتها إلى اضعف عباد الله الحطاب قال : إذاً لا اغتر بها وسوف تفتك بي كما فتكت به ولو بقيت على هذا الملك لا اتخلص من تبعاته ومظالمه إضافة الى زواله ، فترك ذلك كله ومضى الى عيسى (ع) وقال : يا روح الله ان صحبتك افضل من هذا كله فأخذه ومضى إلى الحواريين وقال : هذا الكنز الذي قلت انه اعظم من كنزكم ، وحكى لهم قصته وكيف ضحى بالفاني لكسب الباقي .

ومن مواعظه انه قال (ع) : يا علماء السوء ليس أمر الله على ما تتمنون

وتتخيرون ، بل للموت تبنون وللخراب تعمرون وللوارث تمهدون وبحق اقول لكم : إن موسى (ع) كان يأمركم ان لا تحلفوا كاذبين ، وانا اقول لكم : لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ، ولكن قولوا : نعم يا بني إسرائيل عليكم بالبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فاني أخاف ان لا تقوموا بشكره وقيل له : لو اتخذت بيتاً قال : يكفينا خلقان من كان قبلنا .

وقال (ع) : داويت المرضى فشفيتهم باذن الله وأبرأت الأكمه والأبرص باذن الله وعالجت الموتى فأحييتهم باذن الله وعالجت الأحمق فلم اقدر على إصلاحه فقيل : يا رسول الله وما الأحمق ؟ قال : المعجب برأيه ونفسه الذي يرى الفضل كله له لا عليه ، ويوجب الحق كله لنفسه ، ولا يوجب عليها ، فذلك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته .

ومن وصاياه (ع) لبني إسرائيل يا عبيد الدنيا مثلكم كمثل القبور المشيدة يعجب الناظر ظاهرها وداخلها عظام مملوة خطايا يا عبيد الدنيا مثلكم في الدنيا مثل البهائم همتكم بطونكم وفروجكم أما تستحيون ممن خلقكم .

يا بني إسرائيل أما تستحيون من الله ان احدكم لا يسوغ له شرابه حتى يصفيه من القذى ولا يبالي ان يبلع امثال الفيلة من الحرام فكما لا يكون مطر بغير سحاب كذلك لا يكون عمل في مرضاة الرب إلا بقلب تقي .

ويلكم يا عبيد السوء من اجل دنيا دنية وشهوة ردية تفرطون في تلك الجنة وتنسون هول القيامة ، إنما اعطاكم الله الدنيا لتعملوا فيها للآخرة ولم يعطكموها لتشغلكم عن الآخرة يقول الله تعالى : يحزن عبدي المؤمن ان صرفت عنه الدنيا وذلك احب ما يكون إلي وأقرب ما يكون مني ويفرح ان وسعت عليه وذلك ابغض ما يكون إلي وأبعد ما يكون مني كيف تزعمون انكم اولياء الله من دون الناس وانتم تفرون من الموت وتعتصمون بالدنيا ، فكما ان الذي يخوض في النهر

لابد ان يصيب ثوبه الماء كذلك من يحب الدنيا لا ينجو من الخطايا ، فكما ينظر المريض الى طيب الطعام ولا يتلذذه مع ما يجد من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يتلذذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب المال .

من لاينقى زرعه من الحشيش يكثر فيه فيغمره ويفسده كذلك من لايخرج من قلبه حب الدنيا يغمره حتى لا يجد لحب الآخرة طعماً ، وكيف يستكمل حب خليله من لا يبذل له بعض ما عنده لا تدركون من شرف الآخرة إلا بترك ما تحبون إنما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .

وان الدنيا داء الدين والعالم طبيب الدين ، واذا رأيتم الطبيب يجر الداء الى نفسه فاتهموه واعلموا انه غير ناصح لغيره ، ماذا يغني عن الأعمى أشعة نور الشمس وهو لا يبصر وكذلك لا يغني عن العالم علمه اذا هو لم يعمل به ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج على ظهره وجوفه موحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة ومعطلة فأسرعتم الى بيوتكم المظلمة فأنرتم فيها كذلك فاسرعوا الى قلوبكم القاسية بالحكمة قبل ان ترد عليها الخطايا فتكون أقسى من الحجارة .

لا تكونوا كالمنخل يخرج الدقيق ويمسك النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم فلا تنتظروا التوبة غداً فان دون غد يوماً وليلة قضاء الله فيها يغدو ويروح .

طوبى لمن كان همته فكره ونظره عبرة ووسعه بيته وبكى على خطيئته يا بني إسرائيل لاتجعلوا قلوبكم مأوى الشهوات عليكم بالبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر أخاف عليكم ان لا تقوموا بشكره ، وكان (ع) يقول : اللهم ارزقني غدوة رغيفاً من شعير وعشية رغيفاً من شعير ولا ترزقني فوق ذلك فأطغى .

قيل له : كيف أصبحت يا روح الله ؟ قال : أصبحت وربي تعالى من فوقي

والنار أمامي والموت في طلبي لا املك ما ارجو ولا اطيق دفع ما اكره فأي فقير أفقر مني ، قيل له : علمنا عملا واحداً يحبنا الله عليه ، قال (ع) : ابغضوا الدنيا يحبكم الله ، لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد .

قيل : يا روح الله من نجالسه ؟ قال (ع) : من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله ، طوبى للمتراحمين اولئك هم المرحومون يوم القيامة ، طوبى للمصلحين اولئك هم المقربون يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم اولئك يزورون الله ، طوبى للمساكين لهم ملكوت السماوات طوبى للمحزونين هم الذين يسرون ، طوبى للذين يجوعون ويظمأون خشوعاً هم الذين يسقون ، طوبى لكم إذ حسدتم وشتمتم وقيل فيكم كل قبيحة كاذبة حينئذ فافرحوا وابتهجوا فان أجركم قد كثر في السماء .

اذا اخذ قميص احدكم فليعط رداءه ومن لطم خده منكم فليمكن من خده الآخر وسلموا على من سبكم وأنصفوا من خاصمكم واعفوا عمن ظلمكم كما تحبون ان يعفى عن إساءتكم فاعتبروا بعفو الله عنكم ، أما ترون ان شمسه أشرقت على الأبرار والفجار منكم ، وان مطره ينزل على الصالحين والخاطئين منكم ، فان كنتم لا تحبون إلا من أحبكم ولا تحسنون إلا لمن أحسن اليكم ولا تكافئون إلا من اعطاكم ، فما فضلكم إذاً على غيركم وقد يحسن هذا السفهاء الذين ليست عندهم فضول ولا لهم احلام ، ولكن ان اردتم ان تكونوا أحباء الله واصفياء الله فأحسنوا الى من اساء اليكم واعفوا عمن ظلمكم وسلموا على من اعرض عنكم .

في الكافي قال عيسى بن مريم (ع) : يا معشر الحواريين لي اليكم حاجة اقضوها لي ، قالوا : قضيت يا روح الله ، فقام فغسل اقدامهم فقالوا : كنا نحن احق بهذا ياروح الله ، فقال: إن احق الناس بالخدمة العالم ، إنما تواضعت هكذا

لكيما تتواضعوا بعدي للناس كتواضعي لكم ، ثم قال (ع) : بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر كذلك بالسهل ينبت الزرع لا بالجبل .

علي بن أبي طالب (ع) يوضح قول الناقوس

في كتاب الأمالي ومعاني الأخبار بالاسناد إلى الحارث الأعور قال : بينما اسير مع امير المؤمنين (ع) في الحيرة إذا نحن بديراني يضرب الناقوس فقال عليه السلام : يا حارث أتدري ما يقول الناقوس ؟ قلت : الله ورسوله وابن عم رسوله اعلم ، قال : إنه يضرب مثل الدنيا وخرابها ويقول :

لا إله إلا الله حقاً حقاً صدقاً صدقاً ان الدنيا قدغرتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا يابن الدنيا مهلا مهلا يابن الدنيا دقاً دقاً يابن الدنيا جمعاً جمعاً تفنى الدنيا قرناً قرناً مامن يوم يمضي عنا إلا أوهى منا ركنا قد ضيعنا داراً تبقى واستوطنا داراً تفنى لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قد متنا .

قال الحارث : يا امير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك ، قال (ع) : لو علموا ذلك لما اتخذوا المسيح إلهاً من دون الله عز وجل ، قال : فذهب إلى الديراني وقال له : بحق المسيح عليك لما ضربت بالناقوس على الجهة التي تضربها قال : فأخذ يضرب وأنا اقول حرفاً حرفاً حتى بلغ الى قوله : إلا لو قد متنا ، قال : فبحق نبيكم من أخبركم بهذا ؟ قلت : هذا الرجل الذي كان معي أمس قال : فهل بينه وبين النبي (ص) قرابة ؟ قلت : هو ابن عمه قال : بحق نبيكم أسمع هذا من نبيكم ، قال : قلت : نعم ، فأسلم ثم قال : إني وجدت في التوراة انه يكون في آخر الأنبياء نبي وهو يفسر ما يقول الناقوس .

في كتاب إكمال الدين عن النبي (ص) قال : لما ملك اسبخ بن اشكان وملك

مائتين وستاً وستين سنة ، ففي سنة احدى وخمسين من ملكه بعث الله عيسى بن مريم (ع) واستودعه النور والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله وزاده الانجيل وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى الايمان بالله فمكث ثلاثة وثلاثين سنة حتى طلبته اليهود وادعت انها قتلته وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه ، وإنما شبه لهم .

وعن ابي جعفر (ع) ان الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون هي التي رفع فيها عيسى بن مريم (ع) وهي التي قتل فيها علي بن ابي طالب (ع) .

ارتفاع عيسى (ع) الى السماء

في تفسير علي بن ابراهيم عن ابي جعفر (ع) قال : إن عيسى (ع) وعد أصحابه ليلة رفعه الله اليه فاجتمعوا عند المساء وهم اثنا عشر رجلا فأدخلهم بيتاً ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء فقال : إن الله رافعي اليه الساعة ومطهري من اليهود فأيكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي قال شاب منهم : أنا يا روح الله قال : فانت هو ذا .

ثم قال عيسى (ع) : أما ان منكم لمن يكفر بي قبل ان يصبح اثنتي عشرة كفرة فقال له رجل : أنا منهم فقال (ع) : فلتكن هو .

ثم قال لهم عيسى : أما انكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق فرقتين مفتريتين على الله في النار وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة ، ثم رفعه الله تعالى من زاوية البيت وهم ينظرون اليه .

ثم قال : إن اليهود جاءت في طلب عيسى (ع) (١) من ليلتهم فأخذوا الرجل

(١) حيث انهم صمموا على قتله و بيتوه فى ذلك البيت .

الذي قال له عيسى (ع) : إن منكم لمن يكفر بي قبل ان يصبح اثنتي عشرة كفرة وأخذوا الشاب الذي ألقى عليه شبح عيسى (ع) فقتل وصلب وكفر الذي قال له عيسى (ع) تكفر بي ... الخ .

في القصص (١) بسنده لما اجتمعت اليهود على عيسى (ع) ليقتلوه بزعمهم أتاه جبرئيل فغشاه بجناحه ونظر عيسى (ع) فاذا هو بكتاب في جناح جبرئيل اللهم إني أدعوك باسمك الواحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ثبت به اركانك كلها ان تكشف عني ما أصبحت فيه وأمسيت فيه ، فلما دعا به عيسى (ع) أوحى الله الى جبرئيل ان ارفعه إلي .

ثم قال رسول الله (ص) : يا بني عبد المطلب سلوا ربكم بهذه الكلمات فوالذي نفسي بيده ما دعا بهن عبد باخلاص إلا اهتز له العرش ، وإلا قال الله للملائكة اشهدوا اني قد استجبت له بهن وأعطيته سؤله في عاجل دنياه وآجل آخرته ، ثم قال لأصحابه : سلوا بها ولا تستبطئوا الاجابة .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : رفع عيسى (ع) بمدرعة من صوف من غزل مريم (ع) ومن خياطة مريم (ع) فلما انتهى إلى السماء نودي يا عيسى الق عنك زينة الدنيا .

وعن الرضا (ع) قال : ما شبه أمر احد من الأنبياء وأوصيائهم للناس إلا أمر عيسى بن مريم وحده ، لأنه رفع من الأرض حياً وقبض روحه بين السماء والأرض ثم رفع الى السماء ورد اليه روحه ، وذلك قوله تعالى : إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلي .

وما أشبه ما ذكرناه عن عيسى (ع) بمبيت علي (ع) على فراش النبي صلى الله عليه وآله واقياً له بنفسه حين بيتته قريش ليقتلوه ، وإلى آخر وجوه الشبه لمن تدبر وتفهم .

(١) الراوندي .

ابليس يطمع حتى بالانبياء

عن ابي عبدالله (ع) ان عيسى صعد جبلا بالشام اسمه اريحا فأتاه إبليس في صورة ملك فلسطين فقال : يا روح الله أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص فاطرح نفسك عن الجبل ، فقال عيسى (ع) : إن ذلك أذن لي فيه وهذا لم يؤذن لي فيه .

وفي حديث آخر عنه (ع) انه قال إبليس لعيسى (ع) : أليس تزعم انك تحيي الموتى ؟ قال عيسى (ع) : بلى ، قال : فاطرح نفسك من فوق الحائط فقال (ع) : ويلك ان العبد لا يجرب ربه .

وقال إبليس : ياعيسى هل يقدر ربك ان يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها ؟ فقال (ع) : إن الله لا يوصف بالعجز ، والذي قلت لا يكون هو مستحيل بنفسه كجمع الضدين .

وعن ابي جعفر (ع) قال : لقي إبليس عيسى بن مريم (ع) فقال (ع) له : هل نالني من حبائلك شيء ؟ قال : جدتك التي قالت : رب اني وضعتها انثى الى قوله : واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (١) فلم يكن لي فيك نصيب .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٢ .

العجب من أسلحة الشيطان الخفية

في الكافي عن داود الرقي قال : سمعت ابا عبدالله (ع) يقول : اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً ان عيسى بن مريم كان في شرايعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من اصحابه قصير ، وكان كثير اللزوم لعيسى (ع) فلما انتهى عيسى الى البحر قال : بسم الله بصحة يقين فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر الى عيسى قد جازه بسم الله بصحة يقين فمشى على الماء ولحق بعيسى فدخله العجب بنفسه فقال : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله علي .

قال : فرمس في الماء فاستغاث بعيسى ، فتناوله من الماء وأخرجه ثم قال له ما قلت يا قصير ؟ قال : قلت : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وانا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب ، فقال له عيسى : لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه ، فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله عز وجل ، قال : فتاب الرجل ورجع الى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً .

ايثاره (ع)

وعنه (ع) ان عيسى (ع) لما مر على شاطئ البحر رمى بقرص من قوته في البحر فقال له بعض الحواريين : يا روح الله وكلمته لم فعلت هذا ، وإنما هو من قوتك ؟ قال : فعلت هذا لدابة من دواب الماء وثوابه عند الله عظيم .

الفصل الثالث

في ألطاف الله لانبيائه عليهم الصلاة والسلام

نختصر الكلام في هذا الفصل تلافياً لما توسعنا في سابقه ، لاقتضاء المقام ذلك هناك تذكيراً للمطالعين احوال أسلافهم وتشجيعاً للمؤمنين بسير الأنبياء على الأخذ بمناهجهم في الدعوة الى التوحيد والتحمل في سبيل تركيزها شدائد الأمور

ونقول هنا : إن ألطاف الله سبحانه وتعالى قد أسعفتهم وساندتهم وسددت خطاهم ، ولكن بعد علم الله تعالى بهم فيما يخص ثباتهم وقابلياتهم وعظيم تضحياتهم أولا ، وعطفهم وشفقتهم ورأفتهم بعباده وبليغ حنانهم ثانياً ، حتى ان الفرد منهم ليستر بهدي الواحد من عباده إلى الحق بما لا يستر باعطائه الدنيا بأسرها ولو علم سبحانه بوجود غيرهم في زمان كل واحد منهم ممن يفوقهم بذرة واحدة في ذلك لما قدمهم عليه واختارهم دونه ، فالتأييدات منه سبحانه لهم لو كانت ايضاً لغيرهم لما أجدت في تقديمهم الى مرحلة أخرى غير ما انطبعوا عليه ، كما انها بلحاظهم (ع) لم تدفع عنهم رذيلة أرادوا ارتكابها ، بل انها رفعت مشقة الصراع والكفاح عنهم مع النفس وإبليسها .

وحيث ان الله تعالى قد ثبتت له العدالة الحقة بالبراهين القاطعة من العقل والنقل فوجب إذاً اختيارهم على من سواهم ، وكان حقاً على الله عز وجل ان يجعلهم أمناء على دينه ، ويخصهم رعاة لخلقه وأعلاماً لعباده ومناراً في بلاده ليسود العدل ويكمل النظام ويحفظ الحقوق في الدار الموقتة وتكفل لهم السعادة في الدار المؤبدة .

وكان لزاماً علينا الاستضاءة بأنوار إرشاداتهم وان نستخلص من اعمالهم دليلا لسير حياتنا ، ومنهاجاً لتطبيق اعمالنا ، منزهين لهم عن كل لوث ووصمة لا تناسب ذواتهم ولا تجامع اصطفاء الله لهم وهو العليم بالنفسيات قبل إيجادها .

في الدفع عما يوهم نقصهم (ع)

وعلينا ان نتفهم ونتأمل ونتدبر فيما ورد مما يتضمن بظاهره نقصهم (ع) وصدور بعض الذنوب منهم ، انه ممن ورد وكيف دس ، حيث ان لكل نبي او ولي حساد زمانه وشياطين أوانه وقد أعيتهم الحيل في صد دعوة الحق منهم (ع) ظاهراً فعملوا لها سراً وباطناً كوصفهم بما يحط من قدرهم لتنفير البشر عنهم ، وإيجاد الشكوك فيهم على جاري العادة في اعمال بطانة السوء .

والعجب كل العجب ممن درس سيرة حياتهم (ع) وحلل نفسياتهم وسبر اعمالهم كيف يتقبل في حقهم (ع) ما لم يتقبله في حق غيرهم من سائر الناس لو عرف عنهم الصلاح فرضاً ، ويبطل قول القائل فيهم ، وينسبه إلى الكذب والغرض الخاص .

أما بالنسبة الى الأنبياء وأوصيائهم ، فتراه يتلقى الطعن فيهم بارتياح وعدم النكير على راويه ، وكأنه من المسلمات عنده وعلى فرض الوقفة والتأمل قليلا فتأخذه الحيرة في رد الراوي او اتهامه على الأقل بعدم التروي او قبول الرواية على ما فيها من الطعن على خيرة الله تعالى والحط من مقامهم وعن الدرجة التي رفعهم الله اليها الى مستوى العاديين من عباده .

وبالأخير لا يجد من نفسه الجرأة على الطعن في ذلك الراوي محافظة منه على مقامه ، لأنه يراه من رجال الصحيح مثلا ، فيقبل مضمون روايته الجارحة

في خلفاء الله في ارضه ومن جعلهم حججاً على عباده ومظهر شرعه ودينه ونموذج عدله ومعدن نوره وعلمه قبولا يوجب سقوط عدالتهم (ع) وعدم قبول شهادتهم عليهم السلام بمقتضى مقررات القواعد الشرعية بدلا عن لزوم المحافظة على مقامهم ورعاية حقوقهم تجاه أجر الرسالة وأتعاب الارشاد والهداية وما تحملوه من آلام روحية ومشقات بدنية في سبيل إنقاذ البشرية وعزلها عن صفوف الحيوانية البهيمية ورفعها إلى الدرجات العلوية والمراتب الملكوتية .

هذا واجبنا تجاههم (ع) لو خلينا ودافع العقل والانصاف (١) ، أما لو أضفنا اليه ما يلزمنا به الشرع المقدس والكتب المنزلة فيه من الاحتفاظ بحقوقهم ووجوب اتباعهم والتخلق بأوصافهم والتزام اقوالهم فالطامة حينئذ تكون اعظم لتسري التهمة منا عند عدم الالتزام بذلك الى مرسلهم وباعثهم حيث قد خصصهم في نظرنا دون مخصص وفضلهم بغير فضل لما نعتقد من مساواتهم في النقص لسائر عباده تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وهنا يجف القلم ويقول : كفى به سبحانه حكما بين سفرائه وأوصيائهم عليهم السلام ، وبين الظالمين لهم من عباده .

النجاة من هذه الورطة

اما الامامية وهم الفرقة الناجية بنص الحديث المتسالم عليه والذي تصافقت على تدوينه وتصحيحه أيادي علماء المسلمين من الفقهاء والمؤرخين ألا وهو قول نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي لاينطق عن الهوى : مثل أهل بيتي كمثل

(١) أو كما يعبر عنه بالوجدان .

سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وفي نسخة أخرى هوى (١) .

وقد أشار الامام الشافعي إلى ذلك بقوله المأثور عنه في كتاب رشفة الصادي (٢) :

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

فالامامية حيث انهم ركبوا في السفينة وتمسكوا بولاء ربانيها ، وأضاءت قلوبهم بنور ذويها ، تجلت لهم إرادة الله في رسله وتخلصوا من هذه الأقاويل كلها سواء كانت تجويز ارتكابهم (ع) الكبيرة اوالصغيرة عمداً او سهواً فقط بالتزامهم القول بعصمة انبياء الله وخلفائهم حيث علموا انها إرادة الله تعالى فيهم وتأولوا كلما جاء على خلافه ظاهراً وأثبت لهم (ع) ذنوباً ونقصائص تأويلا لا ينافي قواعد التركيب وفن البلاغة جمعاً بين الحقين ، حق الأنبياء وخلفائهم ، وحق الآيات والروايات ، راجين منه تعالى العصمة عن متابعة الهوى ، والوقوع من جرائه في لظى .

هذا وان لزوم عصمتهم وتحكيم حكمة الله تعالى في ذلك مما لا يكاد يخفى على من له اقل روية ، غير ان الغالب على الظن ان داعي الانحراف عن الواقع هو الذب عن اخطاء السلف والدفع عن نواقصهم والغض عن معاصيهم وتصحيح زعامتهم بأن يقال لا عصمة في الأصل ولا في الفرع ، وقد اشتروا بذلك سخط الخالق برضاء المخلوق ، وقد قال رسول الله (ص) : من ارضى سلطاناً بما يسخط الله تعالى فقد خرج عن دين الله عز وجل (٣) .

(١) راجع الغدير ج ٢ ص ٣٠١ فقد ذكر فيها عدة من المصادر . (٢) ص ٢٤ .
(٣) في كتاب دار السلام ج ٢ ص ٦٩ .

وقال (ص) ايضاً : ما اخلص عبد لله اربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة على لسانه (١) .

فكيف بمن اخلص له تعالى طول حياته أفلا يعصمه عن زلاته ويحفظه عن هفواته بما اودع فيه من حكمياته .

التحذير المشفع بالتهديد لمتابعي أهل الدنيا

ففي تفسير العياشي في قوله تعالى : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، عن الصادق (ع) أما والله ما صاموا لهم ولا صلوا ولكنهم اطاعوهم في معصية الله تعالى ، فكانوا يعبدونهم من حيث لا يشعرون .

وعنه (ع) واقطع عمن ينسينك وصله ذكر الله ويشغلك إلفه عن طاعة الله ، فان ذلك من أولياء الشيطان وأعوانه ولا يحملنك رؤيتهم على المداهنة عند الحق ، فان ذلك خسران عظيم .

وعنه (ع) ان احدكم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله

وعنه (ع) العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم .

وفي النهج في خطبته القاصعة ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم وأدخلتم في حقكم باطلهم ، وهم اساس الفسوق واحلاس (٢) العقوق واتخذهم إبليس مطايا ضلال وجنداً بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على ألسنتهم استراقاً لعقولكم ودخولا في عيونكم ونفثاً في اسماعكم فجعلكم مرمى نبله وموطئ قدمه ومأخذ يده .

(١) فى كتاب دار السلام ج ٢ ص ٦٩ . (٢) كساء رقيق يوضع على ظهر البعير يكون ملازماً له ، فقيل لكل ملازم لأمر هو حلس ذلك الأمر ، فالذين لازموا الظلمة ودافعوا عنهم فقد عقوا رسول الله (ص) وأهل بيته (ع) .

العقد الثاني في العبادة

قال الله تبارك وتعالى : « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري » (١) .

على أثر أمره تعالى بالتوحيد يثني بالأمر بالعبادة وهي الاقرار بالعبودية والملك له سبحانه بعد ان وحدناه وعرفنا انه العلة الأولى والوحيدة لايجادنا فيجب علينا ان نخلص له في الطاعة ونوحده في العبادة .

وان جميع ما سمي بالعبادة هي مظاهر هذا الاقرار والاعتراف وكواشف هذه النية والعقيدة ودلائل الاخلاص والتوحيد ، لذا جعلنا العبادة عقداً ثانياً والتوحيد عقداً أولا أخذاً بمرتب الآية الكريمة .

وفيه فصول

الفصل الاول في الصلاة

وجعلنا الصلاة فصلا أولا ، حيث اعتبرها الشارع المقدس في مقدم بقية العبادات وصدرها وأهم أفرادها على حد تعبيره الصلاة عمود الدين ان قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها لوضوح كشفها عن معنى العبودية بما تختص به أفعالها من عملية الخضوع والتذلل قياماً وركوعاً وسجوداً ، حتى ان افضل ما يعتز به الانسان من جسمه وما به كرامته وهو جبهته يضعها على أوطأ ما لديه وأحقره وهو الأرض ، ولهذا منعت الشريعة الغراء من السجود على المأكول والملبوس لأن الناس عبيد ما يأكلون وما يدخرون فلو سجدوا عليه لكانوا كأنهم سجدوا له .

(١) سورة طه آية ١٤ .

تشريع الصلاة

ان تشريعها من كرم الله تعالى على عباده ومن أهم ألطافه بهم حيث علم قوة نفوسهم الشريرة وضعف سيطرتهم عليها ، رغم إيداع العقل فيهم مضاداً لها لأنها كما أسلفنا فوراة غير قارة وطموحة جموحة كالدابة الشرود ودوماً تمت بصاحبها إلى الكبر والجبروت والعظمة فيسعف سبحانه عباده بهذا العمل الذي هو بمجموع افعاله يمت الى الخضوع والتذلل مقابلا لما ترومه النفس ، فالصلاة في معركة وجدال مع النفس في الأوقات الخمسة ، فكلما تحركت النفس ووسوست لصاحبها بلسان شيطانها بالتكبر تقول لها : الصلاة الأولى بلسان حالها ما انت والتكبر وقد تذللت للمتكبر والخالق والمدبر فتهدأ وقتاً ما .

ثم ترجع الى طبيعتها وبوحي من إبليسها ، فتصور له شخصيته وتحبب له طيشه وقاربت ان تجرفه فيأتيه المدد السماوي بالصلاة الثانية مخاطبة له روحياً انك بين يدي جبار الجبابرة وملك الملوك ألست بالفعل تقول : سبحان ربي العظيم وبحمده ، فتتجلى له حينئذ عظمة خالقه ، وانه المتسلط على انفاسه ، فينظر إلى نفسه شزراً قائلا لها بلسان اعماله وخضوعه : إلى كم تدفعين بي إلى المهالك وتزجين بي في ضيق المسالك فتتراجع عنه ، وهكذا تستمر المعركة بتعدد جبهاتها وألوان أسلحتها ، فالصلاة من أعظم الأدوية المبيدة لجرثومة مرض النفس فهي لمصليها كمقود للسيارة ، فكما ان السيارة بدون مقود لابد من وقوعها في مهوى من المهاوي ، ونتيجتها هلاك من فيها وتحطيمها ، فكذلك النفس بدون الصلاة فانها المهلكة لصاحبها لو تركت وارادتها . وحيث علم تعالى حتمية قضاء هذا الدواء على هذا الداء تراه يؤكد بأشد مايكون من التأكيد وبأحرج لهجة على استعماله وينادي بأن تارك الصلاة كافر .

الصلاة تتضمن وعدا ووعيدا

فترى طبيبنا الرؤف بعباده ، تارة يستعمل التهديد والوعيد والتخويف والترهيب لتارك الصلاة ، سواء بعقوبات دنيوية او بمهالك أخروية ، وتارة اخرى يستعمل الوعد والترغيب بما انطوت عليه من عظيم الفوائد وجليل المقاصد عاجلا أو آجلا .

عقوبات تارك الصلاة

فى كتاب نصائح الشيعة عن النبي (ص) تارك الصلاة يبتلي باثنتي عشر عقوبة ثلاث في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث عند القبر وثلاث في القيامة . اما التي في الدنيا يقلع الله سيماء الصالحين من وجهه ولا حظ له في الاسلام ولا يقبل له شيء من اعمال الخير ، واما التي عند الموت يموت عطشاناً جائعاً ذليلا وجل القلب ، واما التي عند القبر يضيق به لحده ولا يلقن به الشهادتين عند منكر ونكير ويسلط الله عليه ثعباناً اسمه شجاع الأقرع ، واما التي في يوم القيامة يحشر أسود الوجه مكتوب على وجهه مسحوب في عرصات القيامة إلى جهنم ينادى عليه هذا جزاء من ترك فرائض الاسلام التي فرضها الله على عباده ، وفي الحديث ان السارق كل السارق من سرق من صلاته .

وجاء في الخبر لا تطعموا تارك الصلاة ولا تسقوه وإذا مرض فلا تعودوه فاذا مات فلا تشيعوه ولا تدفنوه في مقابر المسلمين ، وروي عن رسول الله (ص) ان كل محلة يكون فيها تارك صلاة تنزل عليها كل يوم سبعين لعنة .

وقد روى الصدوق في الفقيه عن النبي (ص) انه قال : من أعان تارك الصلاة بلقمة او كسوة ، فكأنما قتل سبعين نبياً اولهم آدم وآخرهم محمد (ص) .

وفي خبر لا تسلموا على تارك الصلاة ولا تضحكوا في وجهه ، وقد حمل أمثال هذه الأخبار على معونته لتركه للصلاة ، وغير ذلك من المحامل الأخرى وعلى كل حال فان تارك الصلاة بعيد عن الله ، وقد سئل الصادق (ع) ما بال الزاني لا يسمى كافراً ، وتارك الصلاة يسمى كافراً ؟ قال (ع) : الزاني إنما يزني لمكان شهوته ، وتارك الصلاة إنما يتركها تكبراً على الله تعالى والمتكبر على الله كافر

وعن النبي (ص) من ترك الصلاة من غير عذر فقد حبط عمله ، ثم قال (ص) بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة .

وعنه (ص) ان الله تعالى يقول : من ترك الصلاة لا يرجو ثوابها ولا يخاف عقابها فلا أبالي يموت يهودياً او نصرانياً او مجوسياً ، إلى غير ذلك مما لا يحصى

فوائد الصلاة عاجلا وآجلا

قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (١) ، بعد قوله تعالى : « اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان ... الخ » إنما سميت صلاة لأنها صلة بين العبد وربه ، فهي كمواجهة واتصال معه جل جلاله مباشرة ولذا يلزم على المصلي الانقطاع اليه بكله وتقطيع العلائق مع خلقه .

فقد روي عن بعض نساء النبي (ص) انه كان رسول الله يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا .

وقيل للحسن : ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوهاً ؟ فقال : لأنهم

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .

ومعنى نهيها عن الفحشاء والمنكر وان تكثرت فيه الأقوال ، إلا ان الملخص منها انها لطف منه تعالى للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها الشرع والعقل ، فان انتهى يكون توفيقاً وإلا فقد غلبته نفسه وانعدم اللطف فلايكون موفقاً ، وهن بمنزلة الناهي بالقول ، لأن اللطف معنوي ، فكأنها تقول لمصليها : لا تفعل الفحشاء والمنكر ، لأن فيها التكبير والتسبيح والتهليل والقراءة والوقوف بين يدي الله تعالى ، وغير ذلك من صنوف العبادة ، وكل ذلك يدعو إلى شكله وصنفه ويصرف عن ضده .

وعن النبي (ص) من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً ، وعن ابن مسعود عنه (ص) انه قال : لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ، ومعنى ذلك انها إذا كانت ناهية فمن أقامها ، ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة المطلوبة ، فان تاب من بعد ذلك وترك المعاصي ، فقد انكشف ان صلاته كانت نافعة له وناهية ، وان لم ينته إلا بعد زمان وكأنها كانت تعمل في جلاء القلب حتى أنتجت ، وان الأسباب ليست كلها نتائجها فعلية كالدواء بالنسبة إلى قوي الداء ، فقد يتأخر نتاجه ثم يظهر ، وانه قد أفاد من أول استعماله .

وروى أنس ان فتى من الأنصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله (ص) ويرتكب الفواحش ، فوصف ذلك لرسول الله (ص) فقال : إن صلاته تنهاه يوماً ما ، وعن جابر قال : قيل لرسول الله (ص) : إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال (ص) : إن صلاته لتردعه ، وعن ابي عبدالله (ع) قال : من أحب ان يعلم ان صلاته قبلت منه أم لا فلينظر هل منعته عن الفحشاء والمنكر ، فبقدر ما منعته قبلت منه .

نادرة تخص موضوع النهي عن الفحشاء

روي ان رجلا مؤمناً كانت له زوجة مؤمنة وجميلة وكان لها جار فاسق يتبعها عند خروجها إلى المسجد وإلى سائر حاجاتها ويؤذيها ، وإذا دخلت دارها ينظرها من شقوق الباب ، ثم يشرف عليها من السطح ، فشكت ذلك الى زوجها وقالت : إختر إحدى خصال ثلاث : اما الفراق او ان ترخصها ان تمضي الى اهلها اوتنتقل من هذه الدار ، فقال لها زوجها : إن علاج ذلك سهل اذا خرجت وتبعك كلميه وأمليه واشترطي عليه ان يصلي مدة اربعين يوماً ، ثم هي تبذل له نفسها فالتزم بالشرط وصلى ، فلما مضى عشرون يوماً قال لها زوجها تعرضي له فلما كلمته رأت منه إعراضاً وتثاقلا ، فلما مضت ثلاثون يوماً كلمته ففر منها وقال اليك عني فمن يخلصني من عقوبة يوم القيامة ، فلما مضت عليه اربعون يوماً كان من احسن المؤمنين ببركة الصلاة والمثول بين يدي رب العالمين .

الشيطان يخاف

قال رسول الله (ص) : لا يزال الشيطان ذعراً (١) من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس ، فاذا ضيعهن تجرأ عليه وأوقعه في العظائم .

ولا عجب ان كانت الصلاة بهذه المثابة من التأثير في جلاء القلب وصرف فاعلها عن المعاصي ، بل عن كل شين ورذيلة ، لأنها مناجاة مع الله تعالى ، ومن ناجاه واتصل به جل جلاله روحياً خصوصاً في الخلوات كمثل التهجد بنافلة الليل

(١) أي خائفاً .

يجد حلاوة ولذة لا يجدها في مكالمة غيره ، وتحصل له النفرة من الخلق ومن الاجتماع بهم ، ولا يكون له أنس إلا بربه كمن تعود على مجالسة الأمراء والملوك والأدباء فلا يجد لذة بل ثقلا في مجالسة عوام الناس وجهلائهم ، إلا من كان قصده إرشادهم وهدايتهم ، فانه حينئذ في خدمة ربه وتنوير عباده ، ومشغول بتنفيذ أوامره فهو منغمس ايضاً في تلك اللذة بعينها وكأنه مع ربه .

فقد ذكر في الخصال عن النبي (ص) ان الله عز وجل ناجى موسى بن عمران (ع) بمائة الف كلمة واربع وعشرين الف كلمة في ثلاثة ايام ولياليهن ماطعم فيها موسى ولا شرب فيها ، فلما انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم مقتهم لما وقع فى مسامعه من حلاوة الله عز وجل .

وقيل اوحى الله تعالى الى داود (ع) يا داود كذب من ادعى محبتي واذا جن عليه الليل نام عني أليس المحب يحب الخلوة مع حبيبه ، ولذا قال الباقر (ع) ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار .

مسابقة الطامعين في الصلاة

لعلمهم بمغازيها وثمارها

كانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة الف ركعة وتقول : والله ما اريد بها ثواباً ولكن ليسر رسول الله (ص) ويقول للأنبياء : انظروا الى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة .

وجزأ محمد بن المكندر أحد العباد الليل على نفسه وعلى أمه وعلى أخته

أثلاثاً ، فلما توفت اخته جزأه على نفسه وعلى أمه نصفين ، فلما ماتت أمه قام الليل كله وحده .

وكان مسلم بن بشار إذا دخل منزله سكت اهل بيته جميعاً فلا يسمع لهم كلام خشية منه ، فاذا دخل في الصلاة تحدثوا وضحكوا ، لأنه مشغول بصلاته وخطاب ربه .

وكان بعض العباد إذا انتصب الى الصلاة في المسجد الحرام يقع على رأسه الحمام حيث يظنه جذع قائم لطول انتصابه وعدم حركته ، وكان بعضهم لا يطرد الذباب عن وجهه في الصلاة ، فقيل له : كيف تصبر على ذلك ؟ فقال : بلغني ان بعض الفساق كان يتصبر تحت السياط ليقال فلان صبور ، وأنا بين يدي ربي أفلا أصبر على ذباب يقع علي .

وقال أويس القرني : ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر ، وقد ذكر الشهيد الثاني رضي الله عنه ان رجلا صلى في حائط (١) له فيه شجر فأعجبه ريش طائر على شجرة فأتبعه نظره ساعة فلم يذكر كم صلى فجعل حائطه صدقة ندماً على ما وقع منه وصداً لنفسه عن أمثالها ، هكذا كانوا يفعلون قطعاً لمادة الفكر ومحافظة على الاتصال بالله تعالى ، ولهذا ورد في فضل التهجد بصلاة الليل ما لا يحصى لقلة شواغل الحواس ، وصفاء الخاطر ، وانتشار أنوار رحمة الباري عليهم وقت ذاك . وقد قيل في وصفهم :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقال آخر ناصح مشفق :

يا أيها الراقد كم ترقد قم ياحبيبي قد دنا الموعد

(١) أي بستان .

وخذ من الليل ولو ساعة تحظى إذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل لو يجهد

اما رسول الله (ص) فقد قام حتى تورمت قدماه ، ونزل عليه من ربه « طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى » (١) .

وقال الحسن : ما كان أعبد في هذه الأمة من فاطمة بنت محمد (ص) كانت تقوم بالأسحار حتى تورمت قدماها .

واما علي بن ابي طالب (ع) فناهيك من عبادته انه كانت تستخرج من جسمه اشواك النصال ولم يشعر حيث هو مشغول بلذيذ مناجاته مع ربه ، وقد كانت تأخذه الغشوة المعروفة على أثر ذلك الاتصال بمقام الجلال ، فيظن من لا علم له بحاله انه قد فارق الحياة ، ولذلك كثير من الشواهد قد ذكرت في محالها .

واما علي بن الحسين (ع) فحدث عنه ولا حرج ، حتى استحق الوسام بزين العابدين وسيد الساجدين من رب العالمين .

روي انه كان إذا قام الى الصلاة تغير لونه ، فاذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً .

وعن ابان بن تغلب قال : قلت لأبي عبدالله (ع) : إني رأيت علي بن الحسين إذا قام إلى الصلاة غشي لونه لون آخر ، فقال : والله ان علي بن الحسين عليه السلام كان يعرف الذي يقوم بين يديه .

وعنه (ع) انه قال : قال ابي (٢) : كان علي بن الحسين (ع) إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه إلا ما حركته الريح منه .

وعن ابي حمزة الثمالي قال : رأيت علي بن الحسين (ع) يصلي فسقط رداءه عن منكبيه ، فلم يسوه حتى فرغ من صلاته فسألته عن ذلك ، فقال : ويحك

(١) سورة طه الآية ١ . (٢) يعني الباقر (ع) .

أتدري بين يدي من كنت . إن العبد لا تقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها ، فقلت : جعلت فداك هلكنا فقال : كلا ان الله يتم ذلك بالنوافل .

وعن الصادق (ع) قال : إني لأحب للرجل منكم إذا قام في صلاة فريضة ان يقبل بقلبه على الله تعالى ولا يشغل قلبه بأمور الدنيا ، فليس من عبد يقبل بقلبه على الله إلا أقبل الله بوجهه عليه وأقبل بقلوب المؤمنين اليه بالمحبة بعد حب الله إياه .

وعنه (ع) فاذا صليت فأقبل بقلبك على الله عز وجل ، فانه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلواته ودعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيده مع مودتهم إياه بالجنة .

وقال النبي (ص) : الصلاة ميزان من وفى استوفى .

وقال (ص) : اعبد الله كأنه تراه فان لم تكن تراه فانه يراك .

وقال (ص) : أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة ان يحول الله وجهه وجه حمار .

وقال (ص) : من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من امور الدنيا غفر الله له ذنوبه .

وقال (ص) : من حبس نفسه في صلاة فريضة فأتم ركوعها وسجودها وخشوعها ، ثم مجد الله عز وجل وعظمه وحمده حتى يدخل وقت صلاة أخرى لم يبغ بينهما كتب الله له كأجر الحاج المعتمر ، وكان من اهل عليين .

وعنه (ص) ان من الصلاة لما يقبل منها نصفها وثلثها وربعها - الى ان قال (ص) - وعشرها وان منها لما تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها ، وإنما لك من صلواتك ما أقبلت عليه بقلبك .

وروي عنه (ص) انه رأى رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال (ص) :

أما انه لوخشع قلبه لخشعت جوارحه ثمانية لا تقبل صلاتهم الامام الجائر والامام يصلي بالقوم وهم له كارهون والسكران ومانع الزكاة وتارك الوضوء والزبين (١) والمرأة تبيت وزوجها عليها ساخط والحرة تصلي بغير قناع .

وعن علي (ع) لايقومن احدكم في الصلاة متكاسلا ولا ناعساً ولايفكرن في نفسه فانه بين يدي ربه عز وجل وإنما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه

العلاج لقطع الافكار في الدنيا

هو العلم بان ذلك كله من تتبع الشيطان ، حيث خسر معركته الأولى مع المصلي في تركها من أصلها فيكر عليه بحرب ثانية بتقليل أجرها وتخفيف وزنها فاذا تعوذ المصلي منه وتباعد بفكره عن عدو لدود بقلع جذوره من سويداء القلب وترك مطالب الدنيا إلى جانب ، فانها حبائل الوسوسة ، فحينئذ تصفو له صلاته .

الامثلة التقريبية لذلك

رجل يصلي تحت شجرة أراد ان يصفو له فكره ، وكانت أصوات العصافير تشوشه فهو يطيرها بخشبة بيده وهي تعود ، وهكذا فعل مراراً ، فيقال له ان اردت الخلاص من العصافير فاقلع الشجرة من أصلها ، وهكذا شجرة الشهوة فان أغصانها كثيرة ، فلا يجدي قطع غصن منها إلا قطع أصل حب الدنيا ، وكان علي (ع) إذا حضر وقت الصلاة يتململ فيقال له : ما لك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السماوات والأرض مثال آخر ، كالذباب على الأقذار

(١) الذي يدافع البول والغائط .

فكلما ذب آب ورجع ، فالانشغال بدفعه يطول ، وربما لا يجدي ولكن كسح الأقذار من أصلها يذهبه ولا يعود ، فالأفكار في العبادة ناشئة من حب الدنيا فاذا أخرج من القلب وملىء بحب الله تعالى والآخرة ، وبحب الاجتماع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار (ع) توجه القلب وانجذبت بقية الحواس اليه وحصل على الصلاة الآتي ذكرها وذكر فضلها .

ما ورد في فضلها

قال رسول الله (ص) : إذا قام العبد المؤمن في صلاة نظر الله اليه او قال : أقبل عليه حتى ينصرف ، وأظلته الرحمة من فوق رأسه إلى أفق السماء والملائكة تحفه من حوله إلى أفق السماء ووكل الله به ملكا قائماً على رأسه يقول : ايها المصلي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي ما التفتَ ولا زلت عن موضعك .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذبه ومن قبل منه حسنة لم يعذبه .

وقال رسول الله (ص) : الصلاة مرضاة الرب وحب الملائكة وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الايمان وإجابة الدعاء وقبول الأعمال وبركة في الرزق وراحة في البدن وسلاح على الأعداء وكراهة الشيطان وشفيع بين صاحبها وملك الموت والسراج في القبر وفراش تحت جنبه وجواب منكر ونكير ومؤنس في السراء والضراء وصائر معه في قبره إلى يوم القيامة .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : من صلى ركعتين يعلم ما يقول فيها انصرف وليس بينه وبين الله ذنب إلا غفر له .

وقد روى الصدوق في الفقيه انه قال النبي (ص) : ما من صلاة يحضر

وقتها إلا نادى ملك بين يدي الناس ايها الناس قوموا إلى نيرانكم التي اوقدتموها على ظهوركم فاطفئوها بصلاتكم .

وفي الأمالي باسناده إلى العسكري (ع) قال : لما كلم الله موسى (ع) تكليما كان مما قال موسى (ع) : إلهي فما جزاء من أتم الوضوء من خشيتك ؟ قال : أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ ، قال : إلهي فما جزاء من قام بين يديك يصلي ؟ قال : يا موسى أباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً وقائماً وقاعداً ومن باهيت به ملائكتي لم أعذبه قال : يا إلهي فما جزاء من صلى الصلاة بوقتها ؟ قال : أعطيه سؤلي وأبيحه جنتي .

تشبيه الصلاة بالحمة (١)

قال رسول الله (ص) : إن الصلاة كالحمة تكون على باب الرجل يغتسل بها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى فيه شيء من الدرن (٢) فكذا الصلاة فانها تحت الذنوب عن المصلي حت الورق عن الشجر ، وكما ورد في الخبر انها كفارة للذنوب التي اكتسبها ما بين الصلاتين .

الصلاة يعالج بها سواد آدم (ع)

في كتاب قصص الأنبياء (٣) عن كتاب علل الشرائع عن ابي عبدالله (ع) لما أهبط آدم من الجنة ظهرت في وجهه شامة سوداء ثم انتشرت من قرنه إلى

(١) العين النابعة بالماء الحار يستشفى بها من العلل ، ولعله لما فيها من المواد الكبريتية وغيرها . (٢) المرض . (٣) للسيد نعمة الله الجزائري ص ٤٩ .

قدمه فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به فأتاه جبرئيل فقال : ما يبكيك يا آدم ؟ قال : لهذه الشامة التي ظهرت بي قال : قم فصل فهذا وقت الصلاة الأولى ، فقام فصلى فانحطت الشامة إلى صدره ، ثم جاءه في الصلاة الثانية فقال : يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الثانية فقام فصلى فانحطت الشامة إلى سرته ، ثم جاءه في الصلاة الثالثة فقال : يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الثالثة ، فقام فصلى فانحطت الشامة إلى ركبتيه ، ثم جاءه في الصلاة الرابعة فقال : يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الرابعة ، فقام فصلى فانحطت الشامة إلى رجليه ، ثم جاءه في الصلاة الخامسة فقال : يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الخامسة ، فقام فصلى فخرج منها فحمدالله وأثنى عليه فقال جبرئيل : يا آدم مثل ولدك في هذه الصلاة كمثلك في هذه الشامة من صلى من ولدك في كل يوم وليلة خمس صلوات ، خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة .

فالمستفاد من هذا مدى أثر الصلاة وتكفيرها للذنوب وانها كغسيل أولا وتشبيه الذنوب بالشامة في السواد والرين على القلب ثانياً .

الاعتبار لذوي اللب والأفكار

فهل آن لنا ان نأخذ العبرة باستمرار الفكرة في اهتمام هؤلاء الرجال العظام والمؤمنين الكرام بالصلاة لهذا الحد ، بحيث قد تركوا راحتهم في النوم إضافة إلى النهار وسهروا طول لياليهم صافين أقدامهم متمثلين أمام خالقهم ، كما قدمنا بعض احوالهم ، وان ذلك منهم ما هو إلا لما علموه من عظيم ثوابها وفهموه من رفيع شأنها وعميق أسرارها ، وحتى قال رئيسهم وسيدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقرة عيني الصلاة .

الاسرار الدفينة في الصلاة

قال الله تبارك وتعالى : « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً » (١) .

في العلل والأمالي مسنداً إلى الحسن بن علي (ع) قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (ص) فسألوه عن مسائل فقالوا : اخبرنا عن الله لأي شيء وقت هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت على أمتك في ساعات الليل والنهار فأجاب وقال (ص) : إن الشمس إذا بلغت الزوال لها حلقة تدخل فيها ، فاذا دخلت زالت الشمس فسبح كل شيء ما دون العرش لربي ، وهي الساعة التي يصلي علي فيها ربي فافترض علي وعلى أمتي فيها الصلاة ، إذ قال : أقم الصلاة لدلوك الشمس وهي الساعة التي يؤتى بجهنم فيها يوم القيامة ، فما من مؤمن يوافق في تلك الساعة ساجداً او راكعاً او قائماً في صلاته إلا حرم الله جسده على النار .

واما صلاة العصر فهي الساعة التي أكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله من الجنة فأمر ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة واختارها لأمتي فهي من أحب الصلاة إلى الله وأوصاني ان أحفظها من بين الصلوات (٢) .

واما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم وكان ما بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من ايام الدنيا ، وفي أيام الآخرة يوم كألف سنة وهي من وقت صلاة العصر إلى وقت العشاء ، فصلى آدم

---

(١) سورة الاسراء الآية ٨٩ .　　(٢) لقوله : وحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى حيث أكد على الوسطى وهي العصر على أكثر التفاسير والتأكيد لجهة دخولها في الصلوات عموماً ثم أفردها خصوصاً .

ثلاث ركعات ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حواء وركعة لتوبته فتاب الله عليه فافترض الله هذه الثلاث ركعات على أمتي ، وهي ساعة الاجابة وعدني ربي ان لا يخيب من سأله حيث قال : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون .

واما صلاة العتمة (١) فان للقبر ظلمة وليوم القيامة ظلمة أمر الله لي ولأمتي بهذه الصلاة ، وما من قدم مشت إلى صلاة العتمة إلا حرم الله عليه قعود النار وينور الله قبره ويعطى يوم القيامة نوراً يتجاوز به الصراط وهي الصلاة التي اختارها الله للمرسلين قبلي .

واما صلاة الفجر فان الشمس إذا طلعت تطلع من قرن الشيطان فأمر الله لي ان أصلي قبل طلوع الشمس وقبل ان يسجد الكفار لها يسجدون أمتي لله وسرعتها احب إلى الله وهي الصلاة التي تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ، قال تعالى : وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً (٢) .

ثم قال اليهودي : لأي شيء توضأ هذه الجوارح الأربعة ، وهي أنظف المواضع في الجسد ؟ قال النبي (ص) : لما وسوس الشيطان إلى آدم ودنا من الشجرة ونظر اليها ذهب ماء وجهه ، ثم قام وهو أول قدم مشت الى الخطيئة ، ثم تناول بيده ، ثم مسها فأكل منها فطار الحلي والحلل عن جسده ، ثم وضع يده على رأسه وبكى ، فلما تاب الله عليه فرض الله عليه وعلى ذريته الوضوء على هذه الجوارح الأربعة ، وأمره ان يغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة ، وأمره ان يغسل الساعدين إلى المرفقين لما تناول منها بهما ، وأمره ان يمسح الرأس لما وضع يده عليه وبكى ، وأمره ان يمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة .

واما الأمر بالتيمم وضعاً لتلك الأعضاء الرئيسية ، وهضما لها بملاقاة التربة الخسيسة مقدمة لكسر القلب من التكبر والتجبر .

(١) أي العشاء . (٢) سورة الاسراء الآية ٨١ .

وقال امير المؤمنين (ع) : لا تجوز صلاة امرىء حتى يطهر خمس جوارحه الوجه واليدين والرأس والرجلين بالماء والقلب بالتوبة .

الرموز الخفية في اجزاء الصلاة وشرائطها

وحيث قد تعرفنا على بعض الأسرار في الصلاة مما يعطينا نظرة جديدة عن أهمية الصلاة وما أودع فيها من الخير والدروس الدقيقة إضافة الى ثوابها وعظيم اجرها لمصليها ، فلنفصل الكلام في كشف هاتيك الأسرار وإيضاح تلك الرموز ، فان للصلاة بجميع افعالها وشرائطها ظاهراً ، وهو ما امر به المكلف جامعاً لما هو المذكور من الشرائط والاجزاء في الكتب الفقهية والرسائل العملية وباطناً وتأويلا على حد تعبير مولانا امير المؤمنين (ع) في بعض أجوبته في ذلك وهاك تفاصيلها :

اما الطهارة فهي رمز الى لزوم تطهير القلب والسريرة ، مثل ما طهرت الأعضاء ، بل هو أولى بالتطهير من نتن رائحة الذنوب المؤذية للملائكة في السماء عند رفع السيئات خصوصاً عند إرادة الوقوف بين يدي رب العالمين كما لو أردنا الوقوف عند ملك من ملوك الدنيا ، هل ندع نتناً مؤذياً في أبداننا .

واما ستر العورة في الصلاة فهو رمز الى وجوب ستر عورات الباطن فانه إذا وجب على المصلي ستر عورات ظاهر بدنه عن الناظرين ، وهم مخلوقون مثله فما ظنك في عورات باطنك وفضايح سترك التي هي موضع نظر معبودك وخالقك . فانها أولى بالستر وأحرى ، فاحضر تلك الفضايح ببالك ، وطالب نفسك بسترها بالندم والحياء والخوف ، وأنزل نفسك منزلة العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه منكساً رأسه .

واما الاستقبال الذي هو صرف وجهك عن سائر الجهات الى جهة خاصة وهي جهة بيت الله الحرام فقط ، بحيث لا تشركه جهة أخرى في النظر والتوجه فهو رمز الى لزوم صرف وجه قلبك مع وجه بدنك عما سوى الله تعالى ، فكما لا يمكنك التوجه الى البيت فقط إلا بالصرف عن سائر الجهات فكذلك لا يمكنك التوجه الى الحق خالقك ومدبرك ومرجعك إلا بصرف قلبك عمن سواه .

واما القيام في الصلاة بشرطه من السكون والطمأنينة ، فهو رمز إلى الوقوف بين يدي الرب يوم القيامة والعرض عليه شاخصة أبصارهم ترهقهم ذلة وحاسب نفسك قبل ان تحاسب وزن نفسك قبل ان توزن .

واما النية وهي قصد التقرب اليه سبحانه ، فانها رأس العبادات ولا تصح بدونها ولكل امرىء مانوى ، فهي رمز الى الخلوص الى الله رجاء ثوابه وخوف عقابه وطلباً للقرب منه تعالى وان لم يخلص العبد لله تعالى في عمله فلا يجد له أثراً في سجله ، فقد ورد انه يؤتى بالعبد يوم القيامة ويحاسب فيؤمر به إلى النار فيقول : يا رب وانت العدل الذي لا يجور ان لي عملا لم أجده في قائمة أعمالي ويعدده فيجاب من قبل الله تعالى حيث هو العالم بالسر وأخفى اطلب أجر عملك ممن عملته له « لأنك لم تقصدني به » لذا قلنا ان النية رأس العبادات .

واما التكبير المسمى بتكبيرة الاحرام ، فمعناه ان يقول لسانك : إن الله اكبر من كل شيء فهو رمز الى ان قلبك ايضاً يلزمه ان يقول ذلك وان لايكون قلبك مكذباً لسانك ولا تكون طاعتك لهواك أشد من طاعتك لربك وإلا فقد عظمت هواك وكبرته على الله تعالى وكذبت نفسك في قولك : الله اكبر ، لأن هواك حينئذ عندك اكبر وأعظم .

واما القراءة فاستحباب الاستعاذة (١) وقد قيل بوجوبها ايضاً فهو رمز

(١) اطبق العلماء على انه يستحب للمصلي ان يقول بعد تكبيرة الاحرام قبل الشروع بالفاتحة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وللشيخ الطوسي بوجوبها .

لأجل تذكر عداوة الشيطان وفعله مع آدم وسائر العاصين من ذريته ، وأنواع مكائده لعلمه بأهمية الصلاة وعظيم فوائدها لمصليها وفيها السجود المسبب لبعده فموقفه فيها شديد فهي رمز الى شدة التحذر منه ومن وساوسه القلبية وإشغالك بخصوص امور الدنيا والتباعد عن التفكير بمطالب الصلاة ، حيث يروم تقليل فضلها بعد ان صار مأيوساً من اغوائك على تركها فقول : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم إشارة الى التحذر من ذلك ، والى صفاء القلب والسريرة ، كي ينفتح لك باب الملكوت بالمغفرة وباب الجبروت بالفضل والكرامة .

واذا قلت : بسم الله الرحمن الرحيم فهو رمز الى التبرك باسمه ولتعلم ان الأمور كلها به ، وهي من فيض رحمته في الدنيا والآخرة ، فاذا كانت النعم مبدؤها جوده ، ومن بحر كرمه وجوده كما قال سبحانه : وما بكم من نعمة فمن الله فاذا لا يليق الحمد والثناء إلا له ، وعليه فتقول حينئذ : الحمد لله واذا حمدته فلتعلم انك تأسيت بالملائكة المقربين حيث قالوا : نحن نسبح بحمدك وبعباده الصالحين حيث يحكم بينهم وبين المجرمين يوم الدين فيحمدون ربهم كما اخبر سبحانه عنهم بقوله : وقضي بينهم بالحق ، وقيل : الحمد لله رب العالمين .

وبعدما يعبرون الصراط يقولون : الحمد لله الذي هدانا لهذا وبعدما يتمكنون في قصور الجنان يقولون : الحمد لله الذي صدقنا وعده وبعدما ينالون غايات الآمال يكون آخر كلامهم الدنيوي الحمد كما أخبر عنهم بقوله ، وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

وفي كتاب عيون اخبار الرضا (ع) (١) بسنده عن امير المؤمنين (ع) لما سأله رجل عن معنى الحمد لله رب العالمين ، قال (ع) : رب العالمين مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم اليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون ، فالرزق

(١) ج ١ ص ٢٨٣ .

مقسوم وهو يأتي ابن آدم على اي سيرة سارها من الدنيا ليس تقوى متق بزائده ولا فجور فاجر بناقصه وبينه وبينه ستر وهو طالبه ، فلو ان أحدكم يفر من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت فقال جل جلاله قولوا : الحمد لله على ما انعم به علينا وذكرنا به من خير في كتب الأوليين قبل ان نكون .

ففي هذا إيجاب على محمد وآل محمد وعلى شيعتهم ان يشكروه بما فضلهم وذلك ان رسول الله (ص) قال : لما بعث الله موسى بن عمران (ع) واصطفاه نجياً وفلق له البحر ونجى بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح رأى مكانه من ربه عز وجل فقال : يا رب لقد اكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي فقال الله تعالى : يا موسى أما علمت ان محمداً عندي افضل من جميع ملائكتي وجميع خلقي قال موسى : يا رب فان كان محمد اكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء اكرم من آلي ؟ قال الله تعالى : يا موسى ان فضل آل محمد على جميع آل النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين فقال موسى : يا رب فان كان فضل آل محمد كذلك فهل في أمم الأنبياء افضل عندك من أمتي ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى وفلقت لهم البحر ، فقال الله تعالى : أما علمت ان فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي ، فقال موسى : يا رب ليتني كنت أراهم فأوحى الله عز وجل اليه يا موسى انك لن تراهم وليس هذا أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجنات جنات عدن والفردوس بحضرة محمد (ص) في نعيمها يتقلبون وفي خيراتها يتبحبحون (١) ، أفتحب ان اسمعك كلامهم ؟ قال : نعم إلهي . قال جل جلاله : قم بين يدي واشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ، ففعل موسى ذلك فنادى ربنا عز وجل يا أمة محمد فأجابوه كلهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان

(١) أي يتمكنون في المقام فيها أو يتوسطون .

الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك قال (ع) : فجعل الله عز وجل تلك الاجابة شعار الحاج .

ثم نادى ربنا عز وجل يا أمة محمد ان قضائي عليكم ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي قبل عقابي فقد استجبت لكم من قبل ان تدعوني وأعطيتكم من قبل ان تسألوني ، من لقيني منكم بشهادة ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله صادق في اقواله محق في افعاله ، وان علي بن أبي طالب أخوه ووصيه من بعده ووليه ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد ، وان اولياءه المصطفين الطاهرين المطهرين المنبئين بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أوليائه أدخلته جنتي وان كانت ذنوبه مثل زبد البحر .

قال (ع) : فلما بعث الله محمداً (ص) قال سبحانه : يا محمد وما كنت بجانب الطور إذ نادينا (١) ، ثم قال الله عز وجل لمحمد : قل الحمد لله رب العالمين على ما اختصني به من هذه الفضيلة ، وقال لأمته : قولوا : الحمد لله رب العالمين على ما اختصنا به من هذه الفضائل .

وفي ص ٣٠٠ منه بسنده إلى امير المؤمنين (ع) قال : قال رسول الله (ص) قال الله عزوجل : قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل إذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين .

قال الله جل جلاله : حمدني عبدي وعلم ان النعم التي له من عندي وان البلايا التي دفعت عنه فبطولي أشهدكم اني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة وادفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا .

فاذا قال العبد الرحمن الرحيم قال الله جل جلاله : شهد لي عبدي اني الرحمن الرحيم اشهدكم لأوفرن من رحمتي حظه ولأجزلن من عطائي نصيبه .

(١) أي أمتك بهذه الكرامة سورة القصص الآية ٤٦ .

فاذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله جل جلاله : اشهدكم كما أعترف اني مالك يوم الدين لأسهلن يوم الحساب حسابه ولأتجاوزن عن سيئاته ، فاذا قال : إياك نعبد ، قال الله عزوجل : صدق عبدي إياي يعبد اشهدكم لأثيبنه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي ، فاذا قال : وإياك نستعين ، قال الله عز وجل بي استعان عبدي والتجأ إلي ، اشهدكم لأعينه على أمره ولأغيثنه في شدائده ولأأخذن بيده يوم نوائبه .

فاذا قال : إهدنا الصراط ... الخ ، قال الله عزوجل : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فقد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمل وآمنته مما وجل .

وفيه ايضاً (١) عن رسول الله (ص) قال : إن الله تعالى قال لي : يا محمد ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم فأفرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القرآن العظيم وان فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش وان الله عز وجل خص محمداً (ص) وشرفه بها ولم يشرك معه احداً من انبيائه ما خلا سليمان فانه أعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم .

ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد (ص) وآله الطيبين منقاداً لأمرها مؤمناً بظاهرها وباطنها أعطاه الله عز وجل بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها افضل له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها ومن استمع إلى قارىء يقرؤها كان له بقدر ما للقارىء فليستكثر أحدكم من هذا المعرض لكم فانه غنيمة لايذهبن أوانه فتبقى قلوبكم في الحسرة .

وبعد الفراغ من القراءة تشرع في الركوع وهو رمز إلى عظمة الباري جل شأنه حيث انك قد تجلت لك بواسطة ما تقدم بأعظم مما كنت تعرفه فتجد نفسك حينئذ مقصراً في تعظيمه ، ولا ينبغي لك الوقوف بين يديه كما تقف بين

(١) ص ٣٠٢

يدي أكابر خلقه ، وما الميزة له ولعظمته فتقصد بركوعك زيادة التعظيم وان لا تبقى مستقيم القامة أمام هذه العظمة مقروناً بالخشوع .

وقال ابو جعفر (ع) : من أتم ركوعه لم تدخله وحشة في القبر ، وكان رسول الله (ص) إذا ركع لو صب الماء على ظهره لاستقر ، واما مد العنق فمعناه اني آمنت بك ولوضربت عنقي ثم تشهد وتعبر عما داخل قلبك من عظمته عزوجل بقولك : سبحان ربي العظيم وبحمده ، ثم ترفع رأسك قائلا سمع الله لمن حمده إشارة منك إلى العقيدة بأنه لا تخفى عليه خافية من حسنة او سيئة وانه السميع البصير .

ثم السجود رمز منك إلى انك بعد لم تؤد وظيفة العبد للمولى ، إلا ان تهوي إلى اقصى درجات التذلل ، حيث تلصق اعز جوارحك واشرفها وهو جبهتك بأذل الأشياء وأخسها وهو التراب كما اشرنا اليه سابقاً ، ولهذا نهي عن السجود على الذهب والفضة والمأكول والملبوس ، لأنها متاع الدنيا والسجدة متاع الآخرة ، ولما فيها من الاعتزاز بها ما ليس في التراب ولدفع شبهة العبودية لزينة الدنيا حيث ان الانسان عبد للدنيا ومتاعها .

وقد روي عن امير المؤمنين (ع) حين سئل عن معنى السجدة الأولى والرفع منها والسجدة الثانية والرفع منها ، فقال (ع) : معناه منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ، فالسجدة الأولى إشارة إلى ان مادة خلقنا من هذا التراب والرفع إشارة الى خروجنا منها ورفع رؤوسنا قليلا لا تصل الى حد القيام إشارة الى قصر هذا الوقت وان مدة العمر اقل قليل ، والى انتقالنا من هوان الى هوان ، والسجدة الثانية إشارة الى رجوعنا الى هذا التراب عند الموت والرفع الثاني اشارة الى الحشر والنشر والبعث منها للحسنات التي هي نتاج هذه الصلوات .

وان للسجود عظمته ، فقد روي انه اقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد ، ولهذا يتأذى ابليس وتقوم قيامته اذا رأى المؤمن يصلي ويسجد فينخر نخرة يملأ الفضاء صوتها فتجتمع عليه أبالسته وتقول له : ما دهاك ؟ فيقول : أما ترون هذا كيف يصلي وان في صلاته لسجوداً وبه يدخل الجنة حيث قد امتثل امر الله بالسجود ونحن ندخل النار لامتناعنا عن السجود فاني لا يأخذني قرار مادام هذا مطيعاً لربه فتقول له شياطينه نحن ندخل له كل مدخل حتى يعصى فيقول : اخبروني كيف تدخلون عليه فيقول احدهم : انا ادخل عليه من طريق المال فيقول له : هذا لو أعطيته كل مال الدنيا لم يعص الله ، فيقول له الآخر : انا ادخل عليه من طريق النساء فيقول له : لو أعطيته حوراء لم يعص الله فيها الى غير ذلك من مصائدهم وشباكهم وهو يرد عليهم .

السلاح النهائي لابليس لعنه الله

فيقول : بل انا ادخل عليه من طريق الزهد والعبادة حيث هي رغبته ومعشوقه فيأتي اليه ويصف أقدامه إلى قربه ويعبد عبادة معدومة النظير لا يتغوط ولا ينام ولا يأكل ولا يشرب ولا يستريح دائباً على العبادة فتعجب عبادته ذلك العابد ويستقل عبادة نفسه فيقبل عليه ويسأله معظما له من اين حصل لك هذا النشاط والاقبال على العبادة ، وقد عبدت الله عدة من السنين ولم يكن لي مثل هذا الشوق والقوة على مثل عبادتك ، فيجيبه إبليس نعم انا أدلك على الطريق الذي يحصل لك مثل ما حصلت عليه .

اعلم اني قد أذنبت ذنباً واحداً ، ثم حصل لي الندم واستغفرت فغفر لي ربي فكنت كلما أتذكر ذلك الذنب أقوى وأنشط ، وكلما يعتريني فتور أجعل

ذلك الذنب أمامي فيسوقني إلى ان اطيع لأتدارك ذنبي كل ذلك خوفاً من ربي .

فيقول له العابد : أي ذنب أرتكب ، فيجيبه إبليس إمض الى الفاحشة الفلانية واعمل معها القبيح فيقول : ليس عندي ثمن وهي لا تقبل إلا بالمال فيبذل له خمسة دنانير كما هي عادة شياطين الانس عند إغوائهم لقرنائهم ورفقائهم يبذلون ثمن السكر اوالفاحشة اوأجرة الملهى لهم ليوقوعهم بالشهوة ثم الاستمرار على العمل

فيمضي العابد المغرور ويدخل على البغية فيأخذها العجب وتقول له : إن هذا مقام لا يليق بك لأنه محل البغاء والمعاصي فيقول : واني قد أتيتك لهذا فتستغرب ذلك وتقول واعظة له : إنك مقتدانا واليك نفزع في شدائدنا ومهام أمورنا لتدعو لنا وتشفع لنا بمقبول دعائك ، ثمن ارشدك الى هذا ؟ فيقول : ذلك العابد وهو رفيقي ، وذكر لها السبب وانه الذي بذل له العوض فقالت له : ليس كذلك وما هذا إرشاد مؤمن بل هو شيطان أراد فساد عبادتك عليك فامض بنا اليه نستكشف أمره ، فلم يجداه وقد فر حيث قد انكشفت حيلته وبطل سحره ، فتقول البغية عند ذلك : انا الآن قد علمت قدر عداوته لابن آدم ، وكيف يحزن لو رأى عابداً قد انقطع الى ربه فوالله لأتوب إلى ربي وأقلع عن ذنبي وأمضي معك أعبد الله تعالى لأديم على إبليس حزنه وأشدد عليه مصيبته فتمضي الى الجبل وتعبد ربها باخلاص وندم مستعيذة به جل شأنه من مكائد إبليس وتحسن توبتها باخلاص نيتها .

وبعد ثلاثة أيام يأتيها أجلها المحتوم محمودة العاقبة فيوحي سبحانه إلى نبي زمانها ان شيع جنازتها وعظم شأنها ففعل وخرج الناس جميعاً حيث رأوا النبي قد خرج واستغربوا ذلك منه لعدم علمهم بها ، إلا انها فاحشة فيلجئهم الاستغراب الى السؤال من نبيهم وانها كيف استحقت هذا التعظيم .

فيجيبهم لأنها أحيت العابد من الهلكة أولا ولحسن توبتها وقهرها لابليسها

ثانياً ، ومن أحيى نفساً فكأنما أحيى الناس جميعاً ، فقدر الله لها عملها وشكر سعيها بعد قبول توبتها .

والمستفاد من هذا مدى تتبع الشيطان لاغواء الانسان وعدم يأسه منه بمجرد طاعته وعبادته هذا أولا وأهمية الارشاد وإحياء النفوس وعظيم أثره عند الله تعالى لفاعله وجزائه عليه ثانياً .

وقبول التوبة إذا كانت نصوحاً مهما عظمت المعصية ثالثاً ، وان التوبة من أشد الصواعق على رأس إبليس ، لأنها تفسد عليه عدة متاعب قد كاد بها ذلك النائب وقد كانت تسره .

عودة الى السجود وبيان نتائجه

في الأمالي عن ابي عبدالله (ع) قال : اوحى الله الى موسى بن عمران (ع) يا موسى أتدري لِمَ انتخبتك من خلقي واصطفيتك لكلامي ؟ فقال : لا يا رب فأوحى الله اليه اني اطلعت على الأرض فلم أجد أشد تواضعاً لي منك فخر موسى ساجداً وعفر خديه في التراب تذللا منه لربه عز وجل ، فأوحى الله اليه ارفع رأسك يا موسى ومر يدك على موضع سجودك وامسح بها وجهك وما نالته من بدنك فانه أمان من كل سقم وداء وآفة وعاهة .

وفي خبر آخر عن ابي جعفر (ع) قال : اوحى الله عزوجل الى موسى (ع) أتدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي فقال موسى : لا يا رب فقال : يا موسى اني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أذل لي منك نفساً يا موسى انك إذا صليت وضعت خديك على التراب .

فقد روي ان موسى (ع) كان اذا صلى لم ينفتل حتى يلصق خده الأيمن

بالأرض ثم الأيسر ، وهذا الوضع على الأرض بعد الصلاة هو المسمى بسجدة الشكر الذي قال باستحبابه علماؤنا ونطقت به اخبارنا وعمل به أئمتنا ، حتى ان الامام موسى بن جعفر (ع) كان إذا فرغ من صلاة الصبح والتعقيب سجد حتى الضحى ، وكان (ع) يسمى ذو السجدة الطويلة وذو الثفنات (١) ، واما الامام السجاد فحدث عنه ولا حرج ، ويكفي من ذلك انه السجاد سلام الله عليه .

وقد شنع علينا مخالفونا في ذلك تشنيعاً شنيعاً وقالوا : إن سجدة الشكر من مبتدعات اليهود والرافضة ، والحال انهم قد رووا في أخبارهم ان اول من سجد سجدة الشكر في الاسلام هو امير المؤمنين (ع) لما أمر بالمبيت على فراش النبي محمد (ص) ليلة الغار وسأله (ع) أو تسلم يا رسول الله ؟ قال : نعم يا علي فسجد عند ذلك شكراً لله على سلامة رسول الله (ص) ولم يسأله عن سلامة نفسه حيث قد جعلها فداءً له من اول يوم بايعه فيه ، ولعل شدة إنكارهم لهذه السجدة العظيمة ، لكنه غير مجد ، لأن إظهار فضله مأخوذ على عهدة ربه وعلى السنة مبغضيه ، ويكفي دليلا على ذلك ما نطق به عدوه عند محاورته لسليمان الأعمش - الى ان قال - ما اقول في رجل قد أخفى فضائله مبغضوه حسداً وأخفى ايضاً فضائله محبوه خوفاً ، وما ظهر منها بين ذلك ما ملأ الخافقين فلتلعب يد الجهل ما شاءت ان تلعب ولتحرف ما أرادت ان تحرف والله متم نوره . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

وقال رسول الله (ص) : ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط بها عنه سيئة ويكون في يوم القيامة في شفاعتي وفي الجنة من رفقائي

وبعد الانتهاء من السجود تجلس للتشهد على يسارك وترفع يمينك وتأويله اللهم أمت الباطل وأقحم الحق فتجدد العهد لله تعالى بالشهادة له بالتوحيد وللنبي

(١) التي تكون بجبهته (ع) من كثرة سجوده لربه فيأخذها بالمقراض بين آونة وأخرى

صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة وتصلي عليه وآله لأنهم وسائط الفيوضات وبهم قبول الصلاة وسائر العبادات .

ثم أحضر شخصه (ص) في قلبك وقل : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته لتدخل في زمرة المؤمنين المحبين والمحبيين لنداء يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، ثم سلم على نفسك وعلى عباد الله الصالحين وتأمل وانتظر ان الله يرد عليك سلاماً بعدد عباده الصالحين واما قولك : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فتقصد بخطابك فيه الأنبياء والملائكة والأئمة والمؤمنين من الجن والانس وتحضرهم ببالك وتخاطبهم به ، ومعنى هذا التسليم هو الرجوع عن الحق إلى الخلق ، لأنه في مجموع صلاته كان خطابه مع الحق وهو الله تعالى ، وحين أراد الخروج من الصلاة والوداع مع ربه توجه الى خلق الله وعباده وجدد العهد بهم والاتصال وقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفلسفة في حديث الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم

قال (ص) : بني الاسلام على اربع الصلاة والصوم والحج والزكاة .

قال بعض المحققين : هذه الأحكام الأربعة هي المصفية للعناصر الأربعة في الانسان وهي التراب والماء والنار والهواء ، فان الله بحكمته أنزل الصوم من العنصر الناري لمناسبة بين الصوم والنار لمعنى مشترك بينهما في رفع الأغيار وتنوير مكان الأبصار وإحراق التعفنات والصلاة من العنصر المائي لمناسبة بينهما في إثبات الآثار والأثمار والحج من العنصر الريحي لمعنى مشترك بينهما وهو كشف الأستار وتبيين المقدار والزكاة من العنصر الترابي لمعنى مشترك بينهما وهو الامساك والتحصين ولمعنى رفع رذائل البخل .

فالانسان إذا صام صار عنصره الناري طاهراً فيتبين فيه واحد من حملة العرش وهو جبرئيل وصار قلباً له على النفس ، وإذا صلى صلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر صار عنصره المائي رقيقاً يطهر المظهر ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو ميكائيل وصار عقلا له .

وإذا حج البيت فرضاً ووقف في المواقف عرضاً صار عنصره الريحي طويلا عريضاً ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو إسرافيل وصار روحاً له في الحياة . وإذا زكى ماله لقطع الرذائل صار عنصره الترابي صافياً ، ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو عزرائيل وصار نفساً له في دار السلام .

المبادرة الى أداء الصلاة

فاذا جاء وقت الصلاة وقد سمع الأذان ينبغي المبادرة ، لأنه سبحانه قد ارسل اليه من يطلبه لخدمته في ذلك الوقت الخاص وقد أذن له في المواجهة لعرض مطالبه ومهامه ، ولاظهار عبوديته وإخلاصه .

من هو الرسول نعم هم المؤذنون الذين تتجاوب أصواتهم مع اصوات الملائكة في السماء والكل مناد من قبله سبحانه وتعالى أن اقبلوا .

مبادرة بل مسارعة طبيعية

ترانا كيف نسارع عند نداء المنادي (١) فيما إذا كنا نروم مراجعة دائرة حكومية للمواجهة مع مسؤلها ، او سمعنا منادي الطبيب باسمنا حيث كنا نقصد

(١) الفراش مثلا ينادي باسمه عند حضور تسلسل رقه .

إصلاح مرض ابداننا فمنادي الصلاة يكون لمواجهة رئيس كل رئيس وطبيب فوق كل طبيب لقضاء حوائجنا وإصلاح امراض قلوبنا ، فمالنا نسارع هناك ونتثاقل هنا ، نعم هنا يد للشيطان .

ولهذا كان الحسن (ع) اذا سمع المؤذن تغير وجهه واصفر لونه فقيل له في ذلك ، فقال (ع) : ان الله ارسل إلي من يطلبني لخدمة خاصة ، ولا ادري أيقبلها مني أم لا فكيف لا يتغير لوني .

فوائد المبادرة الى الصلاة في أول وقتها

منها انها في اول الوقت تصعد بيضاء نقية تقول : حفظتني حفظك الله وفي آخر الوقت تصعد سوداء مظلمة وتقول : ضيعتني ضيعك الله كما هو مفاد الرواية ، ومنها ما روي ان اول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله ، واين الرضوان من العفو فانه لا يكون إلا عن ذنب .

ومنها ان صلاة الامام (ع) عجل الله تعالى فرجه في وقتنا هذا تقع اول الوقت وتصعدها الملائكة الحفظة ، وكذلك صلاة الأولياء والصلحاء ، فاذا أتي بها في اول الوقت صعدت مع صلاة الامام (ع) في وقت واحد فلعل الله ان يمن بقبول تلك الصلاة المردودة بصعودها مع الصلوات المقبولات لأنها صارت صفقة واحدة ، ومن حكم بيع الصفقة قبول الكل الصحيح والمعيب ، ولمثل هذه الفائدة لعله شرعت صلاة الجماعة ايضاً وتكون احدى فوائدها .

ومن الفوائد ان هناك كمالات للصلاة اذا أضيفت اليها تورثها زيادة في الفضل مثل ما روي ان صلاة المتزوج تعدل صلاة العزب سبعين مرة وصلاة المتطيب تعدل صلاة غير المتطيب سبعين مرة وان من قدم امام صلاته صدقة

كانت صلاته افضل وصلاة المتنفل افضل من صلاة غير المتنفل وصلاة المعقب افضل الى غير ذلك من الخصوصيات ، فالصلاة في اول وقتها وكذلك مع الجماعة تنضم مع الصلاة المستجمعة لهذه الكمالات فتوزن بوزنها .

الصلاة جماعة لا يحصى ثوابها

فعن ابي سعيد الخدري عن النبي (ص) انه قال اتاني جبرئيل ومعه سبعون الف ملك بعد صلاة الظهر فقال : يا محمد ان الله يقرؤك السلام وأهدى اليك هديتين لم يهدهما الى نبي قبلك ، قلت : يا جبرئيل وما الهديتان ؟ فقال : الصلوات في الجماعات ، قلت : يا جبرئيل وما لأمتي في الجماعة ؟ قال : يا محمد اذا كانا اثنين كتب الله لكل واحد منهما بكل ركعة مائة وخمسين صلاة ، واذا كانوا ثلاثة كتب لكل واحد منهم مائتين وخمسين صلاة ، واذا كانوا اربعة كتب لكل واحد منهم الفاً ومائتي صلاة ، واذا كانوا خمسة كتب لكل واحد منهم الفاً وثلاثمائة صلاة واذا كانوا ستة كتب الفين واربعمائة صلاة ، واذا كانوا سبعة كتب اربعة آلاف وثمانمائة صلاة ، واذا كانوا ثمانية كتب تسعمائة الف وستمائة صلاة ، واذا كانوا تسعة كتب بكل ركعة تسعة عشر الف صلاة ، وإذا صاروا عشرة او زادوا على العشرة ولو واحداً (١) .

فلوصارت بحار الأرض والسماوات كلها مداداً والأشجار أقلاماً والثقلان والملائكة كتاباً لم يقدروا ان يكتبوا ثواب ركعة واحدة .

يامحمد تكبيرة يدركها المؤمن مع الامام خير له من سبعين حجة والف عمرة سوى الفريضة .

(١) يحتمل وجود أغلاط في العدد وفضلنا نقل الرواية دون تغيير حيث ان المقصود واضح

وعن عبدالله بن مسعود انه فاتته تكبيرة الافتتاح يوماً فأعتق رقبة وجاء الى النبي (ص) وقال : يا رسول الله قد فاتتني تكبيرة الافتتاح يوماً فأعتقت رقبة هل كنت مدركا فضلها ؟ فقال (ص) لي : لا ، فأعتقت أخرى فقلت : هل كنت مدركا فضلها ؟ قال : لا يابن مسعود لو أنفقت ما في الأرض جميعاً لم تكن مدركا فضلها ، وقال (ص) : صلاة الرجل جماعة خير من صلاته في بيته اربعين سنة قيل: يا رسول الله صلاة يومه ، قال : صلاة واحدة ، وإذا كان العبد خلف الامام كتب الله له مائة الف وعشرين الف درجة .

وقال (ص) : من كان جار بيت الله ولم يحضر الجماعة ثلاثة ايام متواليات فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فان تزوج فلا تزوجوه ، وان مرض فلا تعودوه ، ألا فلا صلاة له ، ألا فلا صوم له ، ألا فلا زكاة له ، ألا فلا حج له ، ألا فلا جهاد له .

وقال رسول الله (ص) : اتاني جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل مع كل واحد الف ملك فقال : يا محمد الجبار يقرؤك السلام ويقول لأمتك : إنه من بات مفارق الجماعة لايشم رائحة الجنة وان كان عمله اكبر من اهل الأرض لا اقبل منه صرفاً ولا عدلا ، يامحمد تارك الجماعة عندي ملعون وعند الملائكة ملعون وقد لعنته في التوراة والانجيل والزبور والفرقان وتارك الجماعة يصبح ويمسي في لعنة الله تعالى .

يا محمد تارك الجماعة لا أستجيب له دعوة ولا انزل عليه رحمة وهم يهود أمتك ان ماتوا فلا تشهد جنائزهم ولايمشي على وجه الأرض أبغض علي من تارك الجماعة ، يا محمد تارك الجماعة قد امرت كل ذي نفس وروح ان يلعنوه وتاركها أشر من شارب الخمر والمحتكر ومن سفاك الدماء وآكل الربا وتارك الجماعة ليس له في الجنة نصيب وشر من النباش والمخنث وشاهد الزور وأدخله النار .

ملك ذو عيون يشهد لصلاة الجماعة

في حديث الاسراء ان رسول الله قال : مررت في السماء على ملك له عيون كثيرة تعد بالآلاف فقال جبرئيل : سلم عليه واسأله فسألته عن وظيفته فقال : اني أعد قطر المطر فقلت : إذاً انت لا يعصيك شيء فقال : نعم يعصيني شيء واحد فقلت : ما هو ؟ قال : إحصاء ثواب صلاة الجماعة .

وقد ورد ايضاً ان صلاة ركعة خلف الامام العادل افضل عند الله تعالى من ان يتصدق بمائة الف دينار على الفقراء والمساكين .

وقد ورد عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى : « وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون » (١) ، قال : كانوا يسمعون قول المؤذن : حي على الفلاح فلا يجيبون ، وقال كعب الأحبار : والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون الجماعات .

وقد ورد عن الربيع بن خيثم انه عرض له الفالج فكان يهادى بين رجلين الى المسجد فقيل له : لو جلست فان لك رخصة قال : من سمع حي على الفلاح فليحبوا ولو حبواً .

وإذا سمعت الأذان من المؤذن فأخطر على قلبك هول يوم القيامة وسارع فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر بعد الصيحة الكبرى والنداء المهول المريع فاعرض هذا النداء على قلبك ، فان وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار ومستعداً بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم انه يأتيك النداء يوم العرض الأكبر بالبشرى .

(١) سورة ن الآية ٤٣ .

وفي الحديث ان الرجل تعجله الحاجة فخفف صلاته لتدارکها قال الله : انظروا يا ملائكتي إلى عبدي كيف خفف صلاته أيظن ان قضاء حوائجه بيده قال تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً (١) .

قيل : إن سبب نزول هذه الآية الكريمة ان النبي (ص) غزا محارباً لبني أنمار فنصره الله عليهم وهزمهم وأحرزوا الذراري والمال فنزل النبي (ص) والمسلمون ولا يرون من العدو ولا واحداً فوضعوا أسلحتهم وقد كان اعداؤهم يرقبونهم من فوق جبل ، من حيث لا يشعرون بهم ، فحاولوا الهجوم عليهم عند صلاة الظهر فلم يسعهم لبعد المسافة وكثرة المطر فقال بعضهم : إن لهم صلاة أعز عليهم من هذه - يعني بها صلاة العصر - فلذا أنزل الله تعالى على نبيه من قبل هذا قوله تعالى : وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة .

فهذه تعاليم من العليم الخبير بالسر وأخفى وإلطاف بالمؤمنين من غدر الكافرين وتحذير لهم مما يضمرون لهم من الكيد .

فلما وضع النبي (ص) سلاحه والمسلمون خرج النبي (ص) ليقضي حاجة فجعل بينه وبين أصحابه الوادي على عادته من التباعد عن الناس وكان من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم ان الأرض مأمورة بابتلاع خروجه كرامة له (ص) وقد

(١) سورة النساء ذيل آية ١٠٢ .

كانت السماء ترش وقد درىء الوادي وحال بينه وبين أصحابه وجلس في ظل شجرة وهو أعزل فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال له اصحابه: يا غورث هذا محمد قد انقلع من اصحابه فقال: قتلني الله إن لم أقتله وانحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله (ص) إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سله من غمده وقال: يامحمد من يعصمك مني الآن؟ فقال النبي (ص): الله فانكب عدو الله على وجهه فقام رسول الله (ص) فأخذ سيفه وقال: ياغورث من يعصمك مني الآن؟ قال: لا أحد، قال (ص): أتشهد ان لا إله إلا الله، واني عبدالله ورسوله، قال: لا، ولكن أعهد ان لا اقاتلك ابداً ولا اعين عليك عدواً فأعطاه رسول الله (ص) سيفه فقال له غورث: والله لأنت خير مني قال (ص): أنا أحق بذلك يريد صلى الله عليه وآله انه لصفاء سريرته، وانه لا يحقد على أحد مهما بلغ في أذاه ولا يريد بأحد التشفي لنفسه، وإنما قصده وهدفه الخير لكل أحد، فهو أحق بالعفو والسماح من غيره الذي لم يحصل على هذا الصفاء، بل كان ملوث النفس كدر السريرة.

وخرج غورث إلى اصحابه فقالوا: يا غورث لقد رأيناك قائماً على رأسه بالسيف فما منعك منه؟ قال: أهويت له السيف لأضربه فما ادري من زلخني (١) بين كتفي فخررت لوجهي وخر سيفي وسبقني اليه محمد واخذه.

ثم قطع رسول الله (ص) الى اصحابه عندما سكن المطر وانخفظ الوادي فاخبرهم الخبر وقرأ عليهم قوله تعالى: ولا جناح عليكم (٢) إن كان بكم أذى من مطر ... الخ، وللفقهاء في كيفية صلاة الجماعة في الحرب وفي تقسيم الركعات بين الطائفة الأولى والثانية اقوال ليس هذا محل ذكرها.

---

(١) الزلخة وجع يأخذ في الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته.

(٢) أي لا حرج.

والغرض انه تعالى حيث علم مايقاسونه من خطر اعدائهم في إرادة القضاء عليهم لشدة ما يلتزمونه من صلاة الجماعة في الحالات المرهقة والخطرة لما سمعوه من النبي (ص) من عظيم فضلها خفف عنهم بأن جعل لها ولهم حكماً خاصاً في ذلك الحين ليدرك الكل منهم ثوابها مع المحافظة على انفسهم من عذر الأعداء .

ولذا قال سبحانه بعد ذلك الحكم : فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة قيل في معناه : اي اذا استقررتم بزوال خوفكم فأتموا حدود الصلاة وقيل: إذا استقررتم وأقمتم في اوطانكم فأتموا الصلاة التي أذن لكم في قصرها .

ثم قال تعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » مبيناً سبحانه اهميتها وان لا رخصة في تركها بتاتاً ، وان خففناها عنكم في اوقات الضيق لكن تعود إلى اصلها وحكمها عند رفع العارض ، ولذا ورد في الشرع المقدس الصلاة لا تترك بحال ، وقد قيل في معنى قوله تعالى : موقوتاً - اي واجبة مفروضة - وقيل : معناه فرضاً موقوتاً - اي منجماً تؤدونها في أنجمها وأوقاتها - وعلى كل فان للصلاة مراتب تختلف بانضمام الصفات الكمالية اليها وعدم انضمامها اليها ومن أعلا الصفات وأثقلها ، وزنا بالحسنات هي صلاة الجماعات وفي بيوت الله المقدسات ، ولا تنس ما مر عليك قريباً في حديث الاسراء من عدم إحصاء الملك ثوابها وهو ذو الآلاف من العيون الموكل بعدّ المطر قطرات وما سلف ايضاً من خبر ابن مسعود في عتقه رقبتين ليتدارك بها ثواب ما فاتته من إدراك تكبيرة الاحرام وإخبار النبي (ص) له بعدم إدراك ذلك حتى لو بذل جميع مافي الأرض

وقد ورد عن علي امير المؤمنين (ع) عن النبي (ص) انه سئل عن افضل الأعمال ، فقال : إسباغ الوضوء في السبرات (١) ونقل الأقدام الى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط حيث قد قيل في تفسير قوله تعالى :

(١) الغداة الباردة .

صابروا ورابطوا (١) اي رابطوا الصلوات اي انتظروها واحدة بعد واحدة والمقصود من تلك التشويقات ، هو الارشاد الى الحصول على ما اودع الله لعباده من عظيم الخير في الصلاة وقد هيأه لعباده بأسهل وسيلة وأقل عمل بحيث لا يعارض مكاسبهم وأمور معاشهم ولا يتعب ابدانهم في خمس صلوات كلها تجمع سبعة عشر ركعة .

وقال رسول الله (ص) لعلي (ع) يا علي ان جبرئيل (ع) تمنى ان يكون من بني آدم لسبعة خصال قد خصهم الله بها ، قال علي (ع) : وما هي يا رسول الله قال (ص) : صلاة الجماعة ومذاكرة العلم والاصلاح بين الاثنين وإكرام اليتيم وعيادة المريض وسقي الماء في الحج والجيران فاحرص عليها يا علي .

هذا كله بالاضافة الى ما في صلاة الجماعة من الاجتماع والتعارف المسبب للتعاون في الاقتصاديات وما به نظم العباد قال الله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » (٢)

قيل : إن معنى أقم الصلاة ، اي ادها وائت بأعمالها على حدودها على وجه التمام في ركوعها وسجودها وسائر اجزائها وشرائطها وفروضها ، وقيل : اي اعملها على استواء . وقيل : معناه أدم واستمر على فعلها لا كما يفعله بعض الناس يصلي في شهر رمضان مثلا ثم يقطعها .

واما معنى طرفي النهار فقد قيل : إنه اراد صلاة الفجر والمغرب واراد بزلف من الليل صلاة العشاء الآخرة والزلف اول ساعات الليل .

عن ابن عباس وابن زيد قالوا : وإنما ترك ذكر الظهر والعصر لأحد امرين اما لظهورهما انها صلاتا النهار فكأنه قال : وأقم الصلاة طرفي النهار مع المعروفة انها من صلاة النهار ، واما لكونهما مذكورتين على التبع للطرف الأخير لأنهما

(١) في سورة آل عمران . (٢) سورة هود الآية ١١٤ .

بعد الزوال فهما اقرب اليه ، وقد قال سبحانه أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ودلوك الشمس زوالها ، وهذا القول هو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل : صلاة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر وصلاة زلف الليل المغرب والعشاء الآخرة قالوا : لأن طرف الشيء من الشيء وصلاة المغرب ليست من النهار .

قال الحسن : قال رسول الله (ص) المغرب والعشاء زلفتا الليل ، وقيل : اراد بطرفي النهار صلاة الفجر وصلاة العصر وعلى كل المقصود زيادة الحث والترغيب على الفعل بهذا التنويع وخصوصيات ايضاً في نفس الأوقات .

واما قوله تعالى: إن الحسنات يذهبن السيئات فقيل في معناه : إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب ، لأنه عرف الحسنات بالألف واللام مع تقدم ذكر الصلاة ، وذلك يقتضي الاعادة إلى المذكور عن ابن عباس واكثر المفسرين

وذكر الواحدي باسناده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابي عثمان قال : كنت مع سلمان (رض) تحت شجرة فأخذ غصناً يابساً فهزه حتى تحات ورقه ثم قال : يا عثمان ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟ قلت : ولِمَ تفعله ؟ قال : هكذا فعله رسول الله (ص) وانا معه تحت شجرة فأخذ منها غصناً يابساً فهزه حتى تحات ورقه ثم قال : ألا تسألني يا سلمان لِمَ أفعل هذا ؟ قلت : ولِمَ فعلته ؟ قال (ص) : إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما يتحات هذا الورق ، ثم قرأ الآية وأقم الصلاة ... الخ .

وباسناده عن ابي أمامة قال : بينما رسول الله (ص) في المسجد ونحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله اني أصبت حداً فأقمه علي فقال : هل شهدت الصلاة معنا ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال (ص) : فان الله قد غفر لك حدك او قال : ذنبك .

وباسناده عن الحرث عن علي بن ابي طالب (ع) قال : كنا مع رسول الله

في المسجد ننتظر الصلاة فقام رجل فقال : يا رسول الله أصبت ذنباً فأعرض عنه فلما قضى النبي (ص) الصلاة قام الرجل فأعاد القول فقال (ص) : أليس قد صليت معنا هذه الصلاة أحسنت لها الطهور قال : بلى قال : فانها كفارة ذنبك .

وروى اصحابنا عن ابن محبوب عن ابراهيم الكرخي قال : كنت عند ابي عبدالله (ع) إذ دخل عليه رجل من اهل المدينة قال له : من اين جئت فأجابه ثم قال (ع) له : تقول : جئت من ههنا وههنا لغير معاش تطلبه ولا لعمل آخرة تكسبه ، انظر بماذا تقطع يومك وليلتك ، واعلم ان معك ملكا كريماً موكلا بك يحفظ عليك ماتصنع ويطلع على سرك الذي تخفيه من الناس فاستح ولا تستحقرن سيئة فانها ستسوؤك يوماً ولا تحقرن حسنة وان صغرت عندك فانها ستسرك يوماً ، واعلم انه ليس شيء أضر عاقبة ولا أسرع ندامة من الخطيئة وانه ليس شيء أشد طلباً ولا أسرع دركا للخطيئة من الحسنة ، اما انها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند عامله فتجتذبه وتسقطه وتذهب به بعد إثباته ، وذلك قول الله تعالى : إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين .

فانظر شفقتهم عليهم السلام على المؤمنين فلا يدعه يخرج من مجلسه دون فائدة وكسب فيعظه حيث علم منه تضييع اوقاته ويرشده إلى ثمين عمره وان لا يتصرم عليه دون ان يكتسب به الأعمال الصالحة ، لأنه كبضاعة لصاحبه يتجر بها ويؤمل الربح منها .

كما قد ذكر ورام في مجموعته انه قد ورد في الخبر انه ينشر في يوم القيامة عن كل يوم من عمره اربعة وعشرون خزانة مصفوفة على عدد ساعات اليوم فيفتح له واحدة ، فاذا هي مملوأة نوراً فيصيبه من الفرح ما لو وزع على اهل النار لم يحس احدهم بألم النار ، وتفتح الثانية فاذا هي مظلمة نتنة فيصيبه من الكدر والأذى ما لو وزع على اهل الجنة لم يحس احدهم بلذة النعيم ، وتفتح له

ثالثة فاذا هي فارغة فيقال له : الأولى نتيجة اعمالك الحسنة في الساعة الفلانية ، والثانية نتيجة اعمالك السيئة في الساعة الفلانية ، والثالثة صرفت ساعتها في العمل المباح لا طاعة ولا معصية .

ورووا عن ابي حمزة الثمالي قال : سمعت احدهما (ع) يقول : إن علياً اقبل على الناس فقال : اي آية في كتاب الله أرجى عندكم ؟ فقال بعضهم : قوله تعالى : إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال (ع) : حسنة وليست إياها ، وقال بعضهم : قوله تعالى : ومن يعمل سوءاً ويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما ، فقال : حسنة وليست إياها وقال بعضهم : قوله تعالى : قل ياعبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ... الخ قال : حسنة وليست إياها ، وقال بعضهم : قوله تعالى : والذين إذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات ، قال عليه السلام : حسنة وليست إياها ، قال : ثم أحجم الناس فقال : مالكم يا معشر المسلمين ؟ فقالوا : لا والله ما عندنا شيء ، قال (ع) : سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى : وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ، وقرأ الآية كلها وقال (ص) : يا علي والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ان أحدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فاذا استقبل الله بوجهه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه ، فان أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم قال : يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب احدكم فما يظن احدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي .

وقيل أيضاً : إن المراد بالحسنات المذهبة للسيئات التوبة فانها تذهب السيئات بأن تسقط عقابها فانه لا خلاف في ان العقاب يسقط عند التوبة وفي ختامها يقول سبحانه : ذلك ذكرى للذاكرين اي ان ما ذكرناه فيه تذكار وموعظة لمن تذكر به وفكر فيه . اما الذين تمر على آذانهم مروراً بأن تدخل من أذن وتخرج من أخرى فليست هذه لهم بمعنى انهم لا يجتنون من ثمارها .

ولذا ورد ان الموعظة جلاء القلب من الرين ، ولكن إذا اخذت قرارها وقد قيل : إن لقمان مر على مقبرة فيها جماجم الموتى بكثرة فأخذ واحدة منها وكانت بيده درة فوضعها في ثقب أذنها فخرجت من الأذن الأخرى بسرعة ولم تلبث فنحاها وأخذ ثانية ووضع الدرة في ثقب أذنها فخرجت بعد قليل من ثقب الأذن الأخرى فأخذ ثالثة ووضعها في ثقب أذنها فلبثت ولم تخرج فكلمها وكلمته فيما يخص حالها وما لاقته بعد الموت ، فعندها سأله اصحابه عن ذلك فقال : إن هذه الدرة مثال الموعظة فصاحب الجمجمة الأولى كانت الموعظة تدخل في أذنه وتخرج من الأخرى بسرعة دون ان ينتفع بها كخروج هذه الدرة منها وصاحب الثانية كان إذا سمع الموعظة تلبث عنده ما دام في مجلس الوعظ فاذا فارقه خرجت من أذنه ورجع على حالته السابقة ، واما صاحب الثالثة كان سمعها ووعاها وجعلها نصب عينيه ومرآته في كل اوقاته واعماله ، واعتبر بها وارتدع عن معاصيه بسببها فعلمت انه ذو خير في الآخرة وراحة وسيجيبني إذا سألته كما رأيتم وسمعتم وذلك من ثمار قرار المواعظ فيه .

وفي الحقيقة ان الموعظة كالدرة بل هي أثمن منها ، لأن ثمارها باقية وثمار الدرة فانية والباقي أغلا من الفاني .

وان الموعظة لتأتي على امراض النفوس والقلوب وتزيلها من اعماقها كالدواء لمرض الأبدان ، لكن بشرط الاستمرار وجودة الاستعمال وان تكون الموعظة

قد خرجت من قلب قد اتعظ وجرت على لسان قد تنزه .

قال رسول الله (ص) : إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل : فما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال : قراءة القرآن وذكر الموت .

وفي رواية والموعظة مع العلم ان القرآن سيد الواعظين وكله موعظة سواء كان في قصصه او احكامه او مواعظه .

نداء آخر من القرآن الى المؤمنين

قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وإذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين » (١) .

في اللغة الجمعة والجمعة بالضم والسكون ، وفيها لغة ثالثة جمعة بالفتح وإنما سميت بذلك لأن الله فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات ، وقيل : لأنه تجتمع فيه الجماعات ، وقيل : إن اول من سماها جمعة كعب بن لوي وهو اول من قال في الخطب ، اما بعد وكان يقال للجمعة العروبة ، وقيل : إن اول من سماها جمعة هم الأنصار قيل : جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي (ص) الى المدينة وقيل : قبل ان تنزل سورة الجمعة .

فقالت الأنصار : إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة ايام وان للنصارى يوماً كذلك فلنجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله عز وجل ونشكره

(١) سورة الجمعة الآية ٩ و ١٠ و ١١ .

كما قالوا : يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم اسعد بن زرارة شاة فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة ، وذلك لقلتهم يومئذ فأنزل الله تعالى في ذلك إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ، الآية فهذه اول جمعة جمعت في الاسلام .

فأما اول جمعة جمعها رسول الله (ص) بأصحابه فقيل : إنه قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً حتى نزل قبا على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى فأقام بقبا يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذوا اليوم في ذلك الموضع مسجداً ، وكانت هذه الجمعة اول جمعة جمعها رسول الله (ص) في الاسلام وخطب في هذه الجمعة وهي اول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل .

أول خطبة للرسول الاعظم بالمدينة

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا اكفره وأعادي من يكفره وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيداً أوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان

يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك ، فانه يقول : ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيما .

وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فلهذا صارت الخطبة شرطاً في انعقاد الجمعة .

سبب النزول

قال جابر بن عبدالله : أقبلت عير ونحن نصلي مع رسول الله (ص) الجمعة فانفض الناس اليها فما بقي غير اثني عشر رجلا أنا فيهم فنزلت الآية وإذا رأوا تجارة .. الخ .

وقال الحسن وأبومالك : أصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية ابن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي (ص) يخطب يوم الجمعة ، فلما رأوه قاموا اليه في البقيع خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي (ص) إلا رهط فنزلت الآية فقال (ص) : والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى احد منكم لسال بكم الوادي ناراً .

وقال المقاتلان : بينما رسول الله (ص) يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ، ثم أحد بني الخزرج ، ثم أحد بني زيد بن مناة من الشام بتجارة وكان إذا قدم لم يبق أحد بالمدينة إلا أتاه ، وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق او بر او غيره فينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ، ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه ، فيخرج الناس اليه ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم ، ورسول الله قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا إثنا عشر رجلا وامرأة ، فقال النبي (ص): لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء وأنزل الله هذه الآية وقيل : لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط ، عن الكلبي عن ابن عباس وقيل : إلا أحد عشر رجلا عن ابن كيسان ، وقيل : إنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل يوم مرة لعير تقدم من الشام وكل ذلك يوم الجمعة .

المعنى

إذا نودي - اي أذن - وذلك إذا جلس الامام على المنبر يوم الجمعة لأنه لم يكن على عهد رسول الله (ص) نداء سوى الجلوس على المنبر للخطبة وكان لرسول الله (ص) مؤذن واحد وهو بلال فاذا جلس (ص) على المنبر أذن على باب

المسجد فاذا نزل (ص) أقام للصلاة ثم كان أبو بكر وعمر كذلك حتى إذا كان عثمان زاد أذاناً فأمر بالأذان الأول على سطح دار له بالسوق يقال لها الزوراء وكان يؤذن له عليها فاذا جلس على المنبر أذن مؤذنه ثانياً ، فاذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه مع انه إحداث في الدين وزيادة في الشريعة ، نعم لأمر استحسنه هو ، ثم لم يكتف بذلك حيث رأى تثاقل المسلمين عن حضور خطبته وكراهيتهم سماع كلامه فأخر الخطبة عن الصلاة لقصد اجتماع الناس فبدل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغير سيرته بدل ان يقلع عن الأسباب التي كرهته للمسلمين فيعودوا للحضور مع المحافظة على سنة الرسول (ص) .

واما معنى قوله تعالى : فاسعوا الى ذكر الله - اي امضوا مسرعين غير متثاقلين - وقيل : معناه فامضوا إلى ذكر الله ، وكذلك قرأها ابن مسعود ، وروي ذلك عن علي (ع) وعمر بن الخطاب وابي بن كعب وابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبدالله (ع) ، وقال ابن مسعود : لو علمت الاسراع لأسرعت حتى يقع ردائي عن كتفي ، وقال الحسن : ما هو السعي على الأقدام وقد نُهوا ان يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن المراد السعي بالنية والقلوب والخشوع ، وقيل : إن المراد بذكر الله الخطبة التي تتضمن ذكر الله والمواعظ ، فاذاً لا بد من حضورها للأمر منه تعالى بذلك .

ومعنى قوله تعالى : وذروا البيع ، اي دعوها واتركوها ، اي المبايعة ذلكم خير لكم ، اي الذي أمرتم به من حضور الجمعة واستماع الوعظ والذكر وأداء الفريضة وترك البيع أنفع لكم عاقبة ان كنتم تعلمون منافع الأمور ومضارها ومصالح انفسكم ومفاسدها وقيل : إنه بمعنى الأمر ، اي اعملوا ذلك ، وفي هذه الآية دلالة على وجوب صلاة الجمعة وحرمة البيع وفساده لو وقع ، لأن النهي يقتضي الفساد ، غير ان الوجوب مشروط بشروط تؤخذ من السنة منها العدد

قيل : لا تنعقد إلا بسبعة فما فوق عن اهل البيت ، وقيل : بثلاثة سوى الامام عن ابي حنيفة ، وقيل : بأربعين عن الشافعي ، وقيل : باثنين سوى الامام عن ابي يوسف .

ومن الشروط ان يكون على مسافة أقل من فرسخ او فرسخين على الخلاف في ذلك ايضاً .

ومن الشروط عدم السفر وعدم العمى وعدم العرج وعدم الشيخوخة وعدم كونه مملوكا وعدم المرض إلى غير ذلك .

ومن الشروط حضور السلطان العادل المبسوط اليد حتى لاقامة الحدود او من نصبه لذلك .

وكل هذه الشروط لا تستفاد من الآية الكريمة بل من السنة الشريفة على حذو سائر الأحكام ، لأن الكتاب العزيز لايكفل الفروع ، لأن من أهم الفرائض الصلاة ، كما قد اتضح ذلك من المباحث السابقة ، ومع ذلك لا يمكننا ان نفهم كيفيتها وعدد ركعاتها من القرآن فلم نقبل سائر الشروط من السنة ، ونعترف بأنها إذا فقدت سقط الوجوب ولم نقبل انفهام شرط حضور الامام العادل في ذلك ونقول : إن الآية مطلقة فهل هذا إلا تحكم ، ثم يقول سبحانه : فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ، اي تفرقوا في الأرض كل على حسب صالحه الخاص ولا يجب عليكم الاجتماع بعد الفراغ من الصلاة كما كان يجب قبلها .

وابتغوا من فضل الله ، اي واطلبوا الرزق في البيع والشراء ، وروي عن النبي (ص) ليس المراد طلب دنيا ، وإنما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله ، وقيل : إن المراد من فضل الله هو طلب العلم .

وروي عن ابي عبدالله (ع) انه قال : الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت ، وقد روى عنه (ع) انه قال : إني لأركب في الحاجة التي كفاها الله

ما اركب فيها إلا التماس ان يراني الله تعالى أضحى في طلب الحلال أما تسمع قول الله عز وجل : فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله أرأيت لو ان رجلا دخل بيتاً وطين عليه بابه ثم قال : رزقي ينزل علي أيكون هذا ، اما انه أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم ، قال الراوي : قلت : من هؤلاء الثلاثة ؟ قال : رجل عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له ، لأن عصمتها في يده لو شاء ان يخلي سبيلها لخلى سبيلها ، والرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجحده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له ، لأنه ترك ما أمر به ، والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتى يأكله فيدعو فلا يستجاب له .

واما معنى قوله تعالى : واذكروا الله كثيراً ، اي اذكروه على إحسانه واشكروه على نعمه وعلى ما وفقكم من طاعته واداء فرضه ، وقيل : المراد بالذكر هنا الفكر كما ورد ان تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، وقيل : معناه اذكروا الله في تجارتكم وأسواقكم .

وروي عن النبي (ص) انه قال : من ذكر الله مخلصاً في السوق عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له الف حسنة ويغفر له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر ، ثم قال سبحانه لعلكم تفلحون ، اي تفوزوا بثواب النعيم فأفهمنا سبحانه ان في يوم الجمعة فلاحاً ، إلا انه علق الحصول عليه والفوز به على القيام بما تقدم من اعمال الجمعة ، وقد صح الحديث عن ابي ذر عن رسول الله (ص) من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله ولبس صالح ثيابه ومس من طيب ثم لم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وزيادة ثلاثة ايام بعدها اورده البخاري في الصحيح .

وروى سلمان التميمي عن النبي (ص) قال : إن لله عز وجل في كل يوم

جمعة ستمائة الف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار .

وفي كتاب الاختصاص (١) عن جابر بن يزيد الجعفي عن ابي جعفر (ع) انه سئل عن يوم الجمعة وليلتها فقال (ع) : ليلتها غراء ويومها أزهر وليس على الأرض يوم تغرب فيه الشمس اكثر معتقاً من النار من يوم الجمعة فمن مات يوم الجمعة عارفاً بحق اهل البيت كتب له براءة من النار وبراءة من عذاب القبر ومن مات ليلة الجمعة أعتق من النار .

وروى علي بن مهزيار بسنده الى ابي عبدالله (ع) قال : من مات ليلة الجمعة عارفاً بحقنا عتق من النار وكتب له براءة من عذاب القبر ثم اخبر سبحانه عن جماعة قابلوا اكرم الكرم بألأم اللؤم فقال : وإذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها اي إذا علموا ان هناك بيعاً وشراء او لهواً وهو الطبل ، وقيل : المزامير تفرقوا عنك ذاهبين اليها .

وروي عن ابي عبدالله (ع) انه قال : معناه انصرفوا اليها وتركوك قائماً تخطب على المنبر قال جابر بن سمرة : ما رأيت رسول الله (ص) خطب إلا وهو قائم ، فمن حدثك انه خطب وهو جالس فكذبه ، وسئل عبدالله بن مسعود أكان النبي (ص) يخطب قائماً فقال : أما تقرأ وتركوك قائماً ، وقيل : أراد تعالى وتركوك قائماً في الصلاة .

ثم قال تعالى : قل يا محمد لهم : ما عند الله من الثواب والأجر على سماع الخطبة وحضور الموعظة والصلاة والثبات مع النبي (ص) خير وأحمد عاقبة من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ، اي قادر على ان يرزقكم وان لم تتركوا الخطبة والصلاة ان كان في علمه وقدره ان لكم في هذه الساعة رزقاً وان لم يكن لكم رزق فلا تقدروا ان تحصلوا عليه ولو سارعتم وتركتم النبي (ص) وخطبته

(١) ص ١٣٠ .

وصلاته فما هو إلا عن ضعف اليقين وقلة الايمان ، وكم من امثالهم في زماننا ففي الخبر قال رسول الله : ليجيئن يوم القيامة اقوام لهم من الحسنات كأمثال الجبال فيؤمر بهم إلى النار ، فقيل : يا رسول الله أما مصلون ؟ فقال (ص) : كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهناً من الليل ، لكنهم إذا عنّ لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه ، اى لا يلتفتون إلى حله وحرامه وشبهاته ويتركون في سبيل الحصول عليه حتى الواجبات ، وفي الخبر لما قال الرضا (ع) : إن الحسين (ع) يخرج المختار من النار ، سئل لِمَ أدخل النار وهو من الشيعة ومن أفضل الأنصار ؟ قال (ع) : إنه كان يحب السلطنة وكان يحب الدنيا وزينتها وزخرفها وان حب الدنيا رأس كل خطيئة ، لأن العبادة الكاملة ما كانت لله تعالى وناشئة من حبه سبحانه وإذا كان الانسان منهمكا في حب الدنيا وقد أخذت بمجامع قلبه لا يتأتى له حب الله لأنهما ضدان كما أخبر عز وجل عن ذلك بقوله : يابن آدم اخرج حب الدنيا من قلبك فانه لا يجتمع حب الدنيا وحبي في قلب واحد ، وقال ايضاً : يا عيسى الدنيا قصيرة العمر طويلة الأمل وعندي دار خير مما تجمعون .

السر الغامض لهذه الآيات

في كتاب الاختصاص (١) عن الباقر (ع) يا جابر لِمَ سميت الجمعة جمعة قلت : تخبرني جعلت فداك ، قال (ع) : أفلا أخبرك بتأويله الأعظم ؟ قلت : بلى قال : يا جابر لأن الله تعالى جمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين من الجن والانس وكل شيء خلقه ربنا والسماوات والأرضين والبحار والجنة والنار وأخذ منهم الميثاق له بالربوبية ولمحمد (ص) بالنبوة ولعلي بالولاية ، وفي ذلك اليوم قال

(١) ص ١٢٩ .

للسماوات والأرض إئتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين فسمى الله ذلك اليوم الجمعة لجمعه فيه الأولين والآخرين .

ويؤيد ذلك بالمعنى العام وهو حبهم عليهم السلام وما له من الأجر ما رواه ابن شاذان في مناقبه بسنده إلى ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) : من أراد التوكل على الله فليحب اهل بيتي ، ومن اراد ان ينجو من عذاب القبر فليحب اهل بيتي ، ومن أراد الحكمة فليحب اهل بيتي ، ومن أراد دخول الجنة بغير حساب فليحب اهل بيتي ، فوالله ما أحبهم أحد إلا ربح في الدنيا والآخرة .

وفي كتاب اعلام الدين للديلمي من كتاب الحسين بن سعيد عن الصادق عليه السلام عن آبائه (ع) عن رسول الله (ص) انه قال لأمير المؤمنين (ع) بشر شيعتك بعشر خصال اولها طيب مولدهم (١) ثانيها حسن إيمانهم ، ثالثها حب الله لهم ، رابعها الفسحة في قبورهم ، خامسها نورهم يسعى بين ايديهم سادسها نزع الفقر من بين أعينهم وغنى قلوبهم ، سابعها اللعنة من الله لأعدائهم ، ثامنها الأمن من البرص والجذام ، تاسعها انحطاط الذنوب والسيئات عنهم ، عاشرها هم معي في الجنة وانا معهم فطوبى لهم وحسن مآب .

بشارة من مصدرها الزاكي

في تفسير فرات ان امير المؤمنين (ع) قال لقنبر : ابشر وبشر واستبشر والله لقد قبض رسول الله (ص) وهو ساخط على جميع أمته إلا الشيعة وان لكل

(١) حيث ان مبغضهم ولد زنا حتى تكثرت الأخبار عن الأصحاب انهم كانوا على عهد رسول الله (ص) إذا شكوا فى أولاد نسائهم يقفون بهم على طريق علي (ع) فيقولون لهم : أتحبون هذا ، فان قالوا نعم ألحقوه بهم ، وان قالوا لا نفوه اعتماداً على الحديث يا علي لا يبغضك إلا ولد زنا ، وقد سمعوه منه (ص) بأم آذانهم فما ادري لم تركوا العمل به بعد ذلك .

شيء شرفاً وشرف الدين الشيعة ، وفي عيون اخبار الرضا (ع) (١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتاني جبرئيل عن ربي وهو يقول : ربك يقرؤك السلام ويقول : يا محمد بشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويؤمنون بك وبأهل بيتك بالجنة فان لهم عندي الحسنى (٢) قال محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد ، عن الحسن بن متيل ، عن ابراهيم بن اسحاق النهاوندي ، عن محمد بن سليمان الديلمي عن ابي سليم الديلمي ، عن ابي بصير قال : اتيت ابا عبدالله (ع) بعد ان كبرت سني وقد أجهدني النفس فقال : يا أبا محمد ماهذا النفس ؟ فقلت له : جعلت فداك كبر سني ورق عظمي واقترب أجلي مع اني لست أدري ما اصير اليه في آخرتي فقال : يا ابا محمد إنك لتقول هذا القول ؟ فقلت جعلت فداك كيف لا اقوله ؟ فقال : أما علمت ان الله تبارك وتعالى يكرم الشباب منكم ويستحي من الكهول ؟ قلت : جعلت فداك كيف يكرم الشباب منا ويستحي من الكهول ؟ قال : يكرم الشباب منكم ان يعذبهم ويستحي من الكهول ان يحاسبهم ، فهل سررتك ؟ قال قلت : جعلت فداك زدني فانا قد نبزنا نبزاً انكسرت له ظهورنا وماتت له افئدتنا واستحلت به الولاة دماءنا في حديث رواه فقهاؤهم هؤلاء ، قال : فقال : الرافضة قلت : نعم ، قال : لا والله ما هم سموكم ، بل الله سماكم ، أما علمت انه كان مع فرعون سبعون رجلا من بني إسرائيل يدينون بدينه فلما استبان لهم ضلال فرعون وهدى موسى رفضوا فرعون ولحقوا بموسى فكانوا في عسكر موسى أشد اهل ذلك العسكر عبادة وأشدهم اجتهاداً ، إلا انهم رفضوا فرعون فأوحى الله إلى موسى ان اثبت لهم هذا الاسم في التوراة فاني قد نحلتهم ثم ذخر الله هذا الاسم حتى سماكم به إذ رفضتم فرعون وهامان وجنودهما ، واتبعتم محمداً وآل محمد ، يا ابا محمد فهل سررتك ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال :

(١) ج ٢ ص ٢٣٠ . (٢) اختصاص ص ١٠٤ .

افترق الناس كل فرقة واستشيعوا كل شيعة فاستشيعتم مع اهل بيت نبيكم فذهبتم حيث ذهب الله واخترتم ما اختار الله وأحببتم من احب الله وأردتم من اراد الله فابشروا ثم ابشروا فأنتم والله المرحومون المتقبل من محسنكم والمتجاوز عن مسيئكم من لم يلق الله بمثل ما انتم عليه لم يتقبل (الله) منه حسنة ولم يتجاوز عنه سيئة ، فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، فقال : إن الله وملائكته يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما يسقط الريح الورق عن الشجر في أوان سقوطه وذلك قول تعالى : « والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض » فاستغفارهم والله لكم دون هذا العالم ، فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، فقال : لقد ذكركم الله في كتابه فقال : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » والله ما عنى غيركم إذ وفيتم فيما أخذ عليكم ميثاقكم من ولايتنا وإذ لم تبدلوا بنا غيرنا ولو فعلتم لغيركم الله كما غير غيركم في كتابه إذ يقول : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين » فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : لقد ذكركم الله في كتابه فقال : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » فالخلق والله غداً أعداء غيرنا وشيعتنا ، وما عنى بالمتقين غيرنا وغير شيعتنا ، فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، فقال : لقد ذكركم الله في كتابه فقال : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » فمحمد (ص) النبيين ونحن الصديقون والشهداء وانتم الصالحون ، فتسموا بالصلاح كما سماكم الله فوالله ما عنى غيركم ، فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، فقال : لقد جمعنا الله وولينا وعدونا في آية من كتابه فقال : قل يا محمد : « هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولوا الألباب » فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : فقال : لقد ذكركم الله في كتابه فقال : « وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار » فأنتم في النار تطلبون وفي الجنة والله تحبرون فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : فقال : لقد ذكركم الله في كتابه فأعاذكم من الشيطان فقال : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » والله ما عنى غيرنا وغير شيعتنا فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : والله لقد ذكركم الله في كتابه فأوجب لكم المغفرة فقال : « يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً » قال : قلت : جعلت فداك ليس هكذا نقرؤه إنما نقرأ « يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة ان الله يغفر الذنوب جميعاً » (١) قال : يا ابا محمد فاذا غفر الله الذنوب جميعاً فمن يعذب ، والله ما عنى غيرنا وغير شيعتنا ، وانها لخاصة لنا ولكم فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : والله ما استثنى الله أحداً من الأوصياء ولا اتباعهم ما خلا امير المومنين (ع) وشيعته إذ يقول : « يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون * إلامن رحم الله إنه هوالعزيز الرحيم » والله ما عنى بالرحمة غير امير المؤمنين (ع) وشيعته ، فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : قال علي بن الحسين (ع) ليس على فطرة الاسلام غيرنا وغير شيعتنا وسائر الناس من ذلك براء فهل شفيتك يا ابا محمد ؟ .

---

(١) ربما يتوهم أن السائل أعاد نفس الجواب وهو كذلك بظاهره ولكنه أراد بسؤ له انه يظهر من الآية العموم المغفور لهم وجواب الإمام (ع) يريد منه ان لا عموم الأفراد وإنما العموم الذنوب فقط .

البشائر تتوالى

في كتاب عيون اخبار الرضا (ع) (١) عنه (ع) قال : كان قوم من خواص الصادق (ع) جلوساً بحضرته في ليلة مقمرة مضيئة فقالوا : يابن رسول الله ما احسن أديم هذه السماء وأنوار هذه النجوم والكواكب ، فقال (ع) : إنكم لتقولون هذا وان المدبرات الأربع جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ينظرون إلى الأرض فيرونكم واخوانكم في اقطار الأرض ونوركم الى السماوات واليهم أحسن من هذه الأنوار للكواكب وانهم ليقولون كما تقولون : ما أحسن أنوار هؤلاء المؤمنين .

وعن مالك الجهني قال : إني يوماً عند ابي عبدالله (ع) جالس وأنا أحدث نفسي بفضل الأئمة من اهل البيت (ع) إذ أقبل علي أبو عبدالله (ع) فقال : يا مالك أنتم والله شيعتنا حقاً لا نرى انك افرطت في القول في فضلنا يا مالك انه ليس يقدر أحد على صفة الله وكنه قدرته وعظمته ولله المثل الأعلى ، وكذلك لا يقدر أحد أن يصف حق المؤمن ويقوم به كما أوجب الله له على أخيه المؤمن يا مالك ان المؤمنين ليلتقيان فيصافح كل منهما صاحبه فلا يزال الله ينظر اليهما بالمحبة والمغفرة وان الذنوب لتتحات عن وجوههما حتى يفترقا فمن يقدر على صفة من هو هكذا عند الله تعالى .

وروى هشام بن الحكم ان رجلا من اهل الجبل اتى ابا عبدالله (ع) ومعه عشرة آلاف درهم فقال : اشترلي بها داراً أنزلها إذا قدمت وعيالي بعدي ثم مضى الى مكة فلما حج وانصرف أنزله الصادق (ع) في داره وقال : اشتريت

(١) ج ٢ ص ٣٣ .

لك داراً في الفردوس الأعلى حدها الأول الى رسول الله (ص) وحدها الثاني إلى علي (ع) وحدها الثالث إلى الحسن (ع) وحدها الرابع إلى الحسين (ع) وكتبت لك الصك فيه ، فلما سمع الرجل ذلك قال : رضيت ففرق الصادق (ع) تلك الدنانير على اولاد الحسن والحسين (ع) وانصرف الرجل فلما وصل إلى منزله اعتل علة الموت فلما حضرته الوفاة جمع اهل بيته وحلفهم ان يجعلوا الصك معه في قبره ففعلوا ذلك فلما اصبحوا وغدوا على قبره ، وجدوا الصك على ظهر القبر وقد كتب على ظهر الصك وفى لي ولي الله جعفر بن محمد (ع) بما وعدني ، وقد تحصل من ذلك ان شيعة اهل البيت (ع) ومحبيهم هم نخبة الأمة وزبد المخاض حيث أنهم تلقوا اوامر ربهم وسنة نبيهم بالقبول والتسليم وحافظوا على المراد منها دون اي تحريف وتعمقوا في فهم معانيها وأسرار مغازيها ونبذوا سطوحها وقشورها اخذاً للمياه عن مجاريها وكل ذلك يعود إلى فضل حبهم (ع) واتباع شرعهم (ع) واتخاذ نهجهم (ع) وحكمة الحكيم جل شأنه في تشريع حبهم (ع) .

الحكمة في الالزام بحبهم (ع)

قال الله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » (١) ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور ، أم يقولون افترى على الله كذباً فان يشاء الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد .

(١) سورة الشورى فى ذيل آية ٢٢ .

سبب النزول

ذكر المفسرون بسند ينتهي الى عبدالله بن عباس إن رسول الله (ص) لماقدم المدينة واستحكم الاسلام قالت الأنصار فيما بينها : نأتي رسول الله (ص) فنقول له : إن تعرك أمور فهذه أموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محظور عليك ، فأتوه في ذلك فنزلت هذه الآية ومعناها ان الله تبارك وتعالى يأمره بأن يقول لهم : لا أسألكم على أتعابي في تبليغ الرسالة وجهودي التي بذلتها لأجل الأخذ بكم من درك الجهل المادي والروحي الى هذه الدرجات الرفيعة من المادي والروحي إلا ان تودوا قرابتي واهل بيتي وعترتي وتحفظوني فيهم ، عن علي بن الحسين (ع) وسعيد بن جبير وجماعة . وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع) وقد ذكر البعض ان المراد من القربى ان تحبوا القربات الى الله ، ولا يخفى على المنصف ضعف هذا وركته حتى بالنسبة لبلاغة القرآن ، وإنما هو تخلص مما ثقل على نفوسهم من جراء الغل والحسد ، فلما أخبرهم رسول الله (ص) بذلك وقرأ الآية عليهم خرجوا من عنده مسلمين لقوله فقال المنافقون ان هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد بذلك ان يذللنا لقرابته من بعده فنزلت « أم يقولون افترى على الله كذباً » فأرسل عليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتد عليهم أمرهم فأنزل الله « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » الآية ، فأرسل في أثرهم فبشرهم وقال تعالى على أثر هذه الآية « ويستجيب الذين آمنوا » وهم الذين سلموا لقوله ، ثم قال سبحانه : « ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً » اي من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسناً بأن نوجب له الثواب .

وذكر ابو حمزة الثمالي عن السدي ان اقتراف الحسنة ، المودة لآل الرسول

محمد (ص) وصح عن الحسن بن علي (ع) انه خطب الناس فقال في خطبته : انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال : « قل لا أسألكم عليه أجراً » الآية . فاقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت .

وعن ابي عبدالله (ع) انه قال : نزلت فينا اهل اصحاب الكساء « ان الله غفور شكور » اي غفور للسيئات ، شكور للطاعات ، يعامل عباده معاملة الشاكر في توفية الحق حتى كأنه ممن وصل اليه النفع فشكره سبحانه جل شأنه « فان يشأ الله يختم على قلبك » اي لو حدثت نفسك بأن تفتري علي كذباً لطبع الله على قلبك ولأنساك القرآن فكيف تقدر ان تفتري على الله ، وهذا إبطال لما ادعوه عليه (ص) من الافتراء وانه غير ممكن ، وقيل : إن معنى يختم ، اي يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك قولهم إنك مفتر وساحر « ويمح الله الباطل » اي يزيله ويرفعه باقامة الدلائل على بطلانه « ويحق الحق بكلماته » اي يثبت الحق بأقواله التي ينزلها على نبيه (ص) وهو هذا القرآن المعجز « انه عليم بذات الصدور » اي بضمائر القلوب « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » وان جلت معاصيهم فكأنه قال : من نسب محمداً الى الافتراء ثم تاب قبلت توبته وان جلت معصيته ويمحو عن السيئات ويعلم ما تفعلوه من خير وشر فيجازيهم على ذلك .

التأييدات الطبيعية

« خير الناس من نفع الناس » انها قاعدة مسلمة عند جميع الناس على اختلاف اديانها ومعدد طرقها ، بل حتى عند اشرارهم ، ولو سئل الفرد من هو خير الناس ؟ لأجاب من نفع الناس حتى ولو كان ممن لم يتأت منه اي نفع لغيره ،

والناس على ثلاثة اقسام : منهم من يأتي منه الشر، ونعوذ بالله منه ، وانه الجرثومة على العباد والمعول الفعال لهدم نظامهم وقد تركزت فيه الغلظة والقسوة ، ومنهم من لم يأت منه شر ولا خير وهذا وان لحقته المذمة بلسان العرف ولم يحصل على نصيبه من الخير لدنياه بالتقدير والمدح ولأخوانه بالجزاء من الله تعالى يوم الحاجة لو كان قاصداً بخيره وجهه تعالى ، لكنه مع ذلك أخف وطأة من سابقه ومنهم من يكون منه الخير فقط وهذا من رقة القلب وتركز الرأفة والحنان فيه على عكس الأول وهو ايضاً على أقسام ، تارة يلحظ فيه الخير كثرة وقلة من جهة وروحاً ومادة من جهة اخرى ، وتارة يلحاظ ذاته من كون فعله للخير برغبة تارة او يتكلف وعندما يقصد اخرى ، او انه هو المتصدي والمنادي متبرعاً ومبتدئاً ، وتارة منقطعاً خيره واخرى متواصلا ومتتابعاً ، إلى غير ذلك من التفصيلات والعرف فضلا عن العقل يحكم بأن افضل الأقسام من كان خيره كثيراً ومتواصلا روحياً لبقائه وانقطاع غيره ، راغباً فاعله مبتدئاً غير مسؤل لبعده عن المنة ، وهذا كله قد استجمع في أئمتنا الطاهرين (ع) وعلى رأسهم امير المؤمنين (ع) الشفيق على هذه الأمة والحريص على توجيهها لخيرها وواقعها والمربي الأول لها بعد نبيها (ص) فتراه قد صرف كل عمره الشريف وبذل جميع جهوده وكرس كل إمكانياته على نشر الخير والمعارف الكفيلة لسعادة البشر على الاطلاق سواءً كان للدنيا ونظمها او للآخرة ونعيمها ، كما يوضح لنا ذلك جيداً تراثه العظيم وسفره الجليل (نهج البلاغة) المجاري للقرآن المجيد بكل معانيه والحاوي لكل مغازيه ، حتى قيل ان كلامه (ع) تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ، فهو وأولاده (ع) محسنون الينا ، وقد قال رسول الله (ص) النفوس قد أجبلت على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها فاذاً حبنا له ولأولاده عليهم السلام بدافع الطبيعة وتضحياتنا دونهم يباعث الانصاف وهل جزاء الاحسان

إلا الاحسان ، فنسأل الفرد المندفع على حده والمضحي لآخر نفس من انفاسه لمن افاض عليه المادة من المال او الرتب ما هذا الحب المفرط والتضحيات الزائدة ؟ فيجيبنا هذا قليل بحقه وهل وجودي إلامنه مع اعترافه بأن الخير الروحي افضل من المادي وإنا لم نجد في هذه الأمة بعد الرسول الأعظم (ص) من افاض علينا بعض ما افاضوه عليهم السلام من الخير كي نتفانى في حبه كتفانينا في حبهم (ع) فهذا الامام علي بن ابي طالب (ع) يرسل الينا كلماته الذهبية المشفعة بالأنوار الساطعة والبراهين اللامعة يضمنها اعظم النصائح لقصد إنقاذنا من هوة الضلالة وانتشالنا من حيرة الجهالة تارة بمطول كلماته اللؤلؤية المنتظمة بسلكها التبري ناثراً لها على الرؤوس حيث يحب السامع كثرة الالتقاط مسابقاً غيره فيما يحوزه وتارة يبعثها موجزاً لها حيث يخشى التضجر وقلة التدبر وضياع جوهريات تلك اللآلىء عن الأذهان فيرسل كلمته القصيرة مثلا « إن أخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل ، اما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، واما طول الأمل فينسي الآخرة » وهي على إيجازها تعطي ما يعطيك المفصل منها ، اما إذا اضفنا إلى مقتضى الطبيعة ما ورد من الحث على حبهم (ع) والتزام طاعتهم من الوحي والحديث فهو اكثر من ان يحصى ، ومنها مفتتح كلمتنا هذه « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » .

فوجوب محبتهم ولزوم اتباع طريقتهم (ع) شرعي وعقلي وعرفي وطبيعي فاذا وجدنا من يحيد عن ذلك مع هذا الوضوح فلسبب ما ، وان الحكمة في تشريع حبهم (ع) عائدة لنفعنا ، لأن الحب يجذب إلى الأخذ بسنة المحبوب وطريقته فهو من الوسائل والألطاف منه تعالى لدفعنا نحو الخير وجذبنا عن الشر كما هو مطلوبه لعباده ، حيث ان الخير سنتهم ودأبهم ، وإلا فمراكزهم محفوظة وقدرهم رفيع سواءً امتثلنا الأمر بحبهم (ع) أم عصيناه ، لأن الله سبحانه قد قال :

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » (١) فاذا كان هو المتعهد باتمام نورهم وارتفاع شأنهم فمن يقدر على رد تلك الارادة وصد ذلك النور ، ولذا جعل جل شأنه افئدة من الناس تهوي اليهم وجعلهم في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه .

تأييد طبيعي آخر

لقد رأينا سيرة البشر وجميع الأمم وسائر الملل تعتز برجالها العظام ومن خلفوا لهم التراث العلمي او مهدوا لهم أسباب التقدم والسيطرة وان شئت فقل الملك ، ولذا يجددون لهم الذكريات وإقامة المهرجانات وما يتأتى لهم فيها من الكلمات بمناسبة مرور السنوات ، وانه امر طبيعي يكون بدافع مشاهدة منافعهم الشاملة لمن خلفهم والمستمرة استمرار الأزمان .

وإنا إذا رأينا مخلفات اهل البيت (ع) سواء كانت العلمية او التمهيدية لبناء صرح الاسلام وتشييد سلطانه ، فهي من جهود ابيهم امير المؤمنين (ع) وتعاليم جدهم سيد المرسلين ، فالطبيعة على مقتضى عادتها باضافة الانصاف تدفعنا الى إحياء ذكرهم وتعظيم شعائرهم ، سواء كان بمناسبة الأفراح كموالدهم وبزوغ أنوارهم ، او الأحزان كوفياتهم وعظيم مصائبهم ، وإذا ضممنا إلى ذلك الأمر الشرعي وندب القرآن الكريم على ذلك بمصب المدح والثناء فيكون الأمر أشد لزوماً وأقوى إبراماً وأثبت احكاماً .

قال الله تعالى ذلك : « ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » (٢) المعنى « شعائر الله » اي معالم دين الله والأعلام التي نصبها لطاعته ،

(١) سورة الصف الآية ٨ . (٢) سورة الحج الآية ٣٢ .

والمراد من تعظيمها هو الاهتمام بها وتبجيلها والاعتزاز بها وبذل الجهود في إقامتها والاستمرار عليها ، وان من أظهر مصاديق تعظيم شعائر الله تعالى إقامة الاحتفالات بمناسبة مواليدهم ووفياتهم (ع) المعبرة عن العقائد الدينية والمهرجانات الكاشفة عن شدة الفرح والسرور بذكريات أقطاب الدين ، فهو ان دل على شيء فانما يدل على رسوخ العقيدة وسلامتها عن شوائب الضلال والانصاف في إعطاء ذوي الحقوق حقوقهم ، وان الله سبحانه قد طلب منا القيام بمثل هذا بأبلغ طلب حيث انه سبحانه قد استعمل التشويق والترغيب بقوله : « فانها من تقوى القلوب » اي يكون عمله منبعثاً عن التقى المستقر في القلوب ، واضاف التقوى الى القلوب ، لأن من التقوى مايكون ظاهرياً لا تركيز له في القلب وهذا ما لا فائدة فيه ولربما يعود بالضرر على صاحبه لو كان مرائياً فيه ، ومن التقوى ما يكون صاحبه مستعداً فيه من صميم القلب وبنية خالصة وعقيدة ثابتة ، وبذلك يكون واقعياً ، وأي وسام رفيع يطلبه المسلم بعد هذا ، فالله جل شأنه يدخل المحفز والمرغب في تركيبه هذا مع الطلب الضمني كي لا يتكاسل الفرد ولا يتخاذل عن القيام بذكرياتهم وإحياء أمرهم ، ولذا ورد عنهم قولهم (ع) : « رحم الله من أحيى أمرنا » فانها معالم دين الله وإنا إذ نتقدم بذلك لاينبغي لنا الاقتصار على سرد فضائلهم وبيان كراماتهم وما وهبهم الله تعالى من معاجز وخوارق وإن كان لا غنى لنا عن ذلك ، وليكن ذكرها تيمناً وتبركا وإنما المهم ان نصرف الأنظار ونجيل الأفكار ونمعن التدبر في اسباب استحقاقهم لهذه الدرجات العالية والفضائل السامية كي نقتفي آثارهم في ذلك فنفوز كما فازوا ونرتفع عندالله تعالى كما ارتفعوا نعم ان الله سبحانه لم يعطهم ذلك عفواً ولم يختصهم به اعتباطاً ، بل لاطلاعه بقديم علمه على جوهر نفسياتهم وزكي ذواتهم وخلوص نياتهم وانهم المستحقون لرعاية خلقه وإرشاد عباده ، حيث انهم قد استجمعوا كل صفات الكمال وتباعدوا عن

الرذائل حتى في عالم الخيال ، فتراهم في ناحية العلم لا يحجمون عن جواب سؤال ولا يعجزون عن تفنيد شبهة ضال وهم مصادر علوم الورى مهما تنوعت وتباعدت وسائطها وقد استقوها عن جدهم محمد (ص) معدن وحي الله تعالى ، كما انهم في ناحية طاعة الله وتنفيذ احكامه والرهبة منه هم اطوع عباده وأعبد خلقه ، اما في الاهتمام بامور الدين فهم العين الساهرة والحارس الأمين والرصيد الكافي لسد أى ثلمة تحدث في الدين وأي كسر يكون على المسلمين ، ولو استلزم ذلك التضحية بالنفس بعد النفيس كما قد وقع لسيد الشهداء الحسين بن علي (ع) بما هو غني عن البيان ، وان نظرت إلى جودهم وكرمهم فهم الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة بشهادة نص القرآن الكريم ، وبذلك الكفاية عن بقية الآثار . اما عطفهم على الضعفاء والمساكين وإجابة الملهوفين ومساندة المظلومين فذاك سجيتهم ومعدن طينتهم وكاد أن يكون من ذاتياتهم ، وهكذا سائر صفات الكمال والحكم في ذلك تصفح حياتهم واستقراء احوالهم بمختلف أزمانهم وأدوارهم لا ترى لجميل صفاتهم تبديلا ولا لمكارمهم تحويلا ونراهم قد كرسوا عزيز حياتهم وبذلوا كل إمكانياتهم وضحوا بأنفسهم وجعلوها وقفاً في سبيل تشييد معالم الدين وإقامة العدل وكسح الظلم وتبرير الجبروتية والطغيان ، وأرادوا لكل مسلم حقه ولكل مؤمن كرامته ، ولم يذكر لنا تاريخ حياتهم انهم استخدموا الدنيا في لذات أنفسهم وشهوات أشخاصهم يوماً ما ، فلم يأخذوا منها غير ضروريات حياتهم ، والعقل عندما يثبت كل ذلك من الحس لهم لا جرم يحكم باستحقاقهم رعاية خلق الله وحفظ دينه ، أما إذا أضفنا إلى هذا نصوص القرآن ومتواتر الأحاديث بتفضيلهم والأمر بودهم وجعله أجر أتعاب الرسالة ووجوب طاعتهم والأخذ عنهم والتحذير عن مخالفتهم والتهديد على بغضهم فذاك لون آخر من الاستدلال وإذ قد أجمع العقل والنقل على استجماعهم هذه المزايا فكان حقاً على الله تعالى ان يجعلهم

أمناء على دينه ويخصهم رعاة لخلقه وأعلاماً لعباده ومناراً في بلاده فيسود العدل ويكمل النظام وتحفظ الحقوق في الدار الموقتة وتكفل لهم السعادة في الدار المؤبدة فكان لزاماً علينا إحياء أمرهم والتزام سيرتهم تخليداً لذكريات من تبلورت ذواتهم وتنزهت اعمالهم ليكون كشبه وفاء منا لما بذلوه في سبيل إحيائنا من موت الجهالة وإنقاذنا من هوة الضلالة هذا أولا ، ولنأخذ من سيرتهم ضوءاً ونستخلص من عملهم دليلا نسير عليه في حياتنا ونؤمن بنتائجه دار بقائنا عند حلول آجالنا ثانياً ولنكون من مصاديق قوله تعالى ذلك : ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ثالثاً .

آية أخرى من القرآن تحمل سرا

أهل البيت (ع) موطنه

قال الله تبارك وتعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنم سعيراً » (١) .

لا اريد ان أتوسع في إيضاح ان المقصود بهذه الآية هو حسد محمد (ص) واهل بيته ، وانهم هم المراد من الناس لأنه يكاد ان يكون من توضيح الواضح وقد تضافرت به الأخبار ونكتفي بما ذكره في مجمع البيان باسناده عن ابي الصباح الكناني قال : قال ابو عبدالله (ع) : يا ابا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال ولنا صفو المال ، ونحن الراسخون في العلم ، ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه : أم يحسدون الناس ، الآية .

(١) سورة النساء الآية ٥٧ .

والمراد بالكتاب النبوة وبالحكمة الفهم والقضاء وبالملك العظيم افتراض الطاعة

وعن ابي جعفر (ع) ان المراد بالناس النبي (ص) وآله والمراد بالفضل فيه النبوة وفي آله الامامة .

ثم التنظير بآل ابراهيم (ع) يعطينا صورة جلية ، ومعناه لاينبغي حسدهم على ذلك لأنه غير مبتكر فيهم ، بل آتينا آباءهم من قبلهم مثلهم ، ثم يرفع سبحانه استبعاد الحسد تسلية لهم (ع) بأن من مضى كذلك بالنسبة إلى ابراهيم وآله منهم من آمن به وقبله ومنهم من صد عنه وكفر به حسداً ثم يعقبه تعالى بالتهديد الصارم بقوله : « وكفى بجهنم سعيراً » ناراً موقدة إيقاداً شديداً ، نعم فان ذلك الحسد من ذويه والحقد من حامليه إنما يؤلم ويؤذي لو انه يمضي لهم فواتاً وبدون أي مجازاة ، اما إذا كان ربك لهم بالمرصاد وبعد هنيئة يدخلهم جهنم وبئس المهاد فالصبر أجمل والرضا بقضائه افضل .

نتائج تصفية النفس

قد ورد اتقوا فراسة المؤمن وورد ايضاً المؤمن ينظر بنور الله وغير ذلك مما محصله ان الايمان جلاء القلوب من الرين وكلما قوي ازداد تأثيره وظهرت آثاره في تصفية النفس فتنكشف لها الأمور حينئذ كالماء كلما زاد صفاءً زاد كشفه عما تحته حتى ان البحار لصفائها تريك مافي قعرها رغم بعد قرارها بينما النهر الكثيف مائة لا يريك ما تحته فيما بعد بشبر واحد عن الرائي .

فالأرواح والنفوس كلما تبلورت وتصفت من الأكدار تنكشف لها المغيبات والأسرار فلاغرو إذاً إذا كان اهل البيت عليهم السلام قد اخبروا عن المغيبات عند اقتضاء الحال ذلك ، لأن نفوسهم بحكم الحس قد صارت إلى منتهى الامكان في

الصفاء ، وقد تكثرت الأخبار عنهم (ع) في ذلك ونذكر شيئاً منها لئلا تخلو مائدتنا هذه عن مثل هذه الفاكهة فنقول : اما امير المؤمنين (ع) فيكفي في ذلك اخباره في بعض خطبه المسماة بالملاحم وقد فصلوها شراح كلامه سلام الله عليه فنحيل القارئ عليها ولها عدة مواضيع بمناسبات شتى .

اما ابو عبدالله الصادق (ع) ففي كتاب الخرايج للراوندي عن عبدالله الكاهلي قال : قال لي ابو عبدالله (ع) : إذا لقيت السبع ما تقول له : قلت : ما ادري ، قال (ع) : إقرأ في وجهه آية الكرسي وقل : عزمت عليك بعزيمة الله وعزيمة محمد (ص) وعزيمة سليمان بن داود وعزيمة علي امير المؤمنين (ع) والأئمة من بعده فانه ينصرف عنك فقدمت إلى الكوفة فخرجت مع ابن عم لي إلى قرية فاذا سبع قد اعترضنا فقرأت كما علمني (ع) فنظرت اليه وقد طأطأ رأسه وأدخل ذنبه بين رجليه وتنكب الطريق راجعاً من حيث جاء فقال ابن عمي ما سمعت كلاماً قط أحسن من هذا ، فقلت : سمعته من ابي عبدالله (ع) فقال : أشهد انه إمام مفترض الطاعة وما كان ابن عمي يعرف قليلا ولا كثيراً (١) فدخلت على ابي عبدالله (ع) من قابل فأخبرته الخبر وما كنا فيه وساق الحديث معه الى ان قال (ع) : أترى اني لم أشهدكم بأسما ترى بأسما ترى (٢) ان لنا مع كل ولي أذناً سامعة وعيناً ناظرة ولساناً ناطقاً ، ثم قال (ع) لي : أنا والله صرفته عنكما وعلامة ذلك انكما في البداية على شاطئ النهر وان اسم ابن عمك حبيب وحبيب عندنا وما كان الله يميته حتى يعرف هذا الأمر ، فرجعت إلى الكوفة وأخبرت ابن عمي بمقالته (ع) ففرح وسر سروراً عظيما ، وما زال مستبصراً حتى مات وقد كان منحرفاً .

فانظر إلى علو مرتبتهم عند ربهم حيث أطاعوه حق طاعته وهو القائل

(١) أي من أمر أهل البيت (ع) حيث كان منحرفاً عنهم . (٢) يكررها (ع)

سبحانه : عبدي أطعني تكن مثلي او مثلي تقول للشيء كن فيكون .

وقوله (ع) لعبدالله الكاهلي : إذا لقيت السبع ... الخ ، فيه إشعار بانك سوف تلقى السبع وهو من المغيبات المنكشفة لصافي نفوسهم عليهم السلام ولعل السر في كشف هذه الواقعة لهداية ابن عم عبدالله الكاهلي .

كرامة أخرى له (ع)

قال أبو كهمس : كنت بالمدينة نازلا في دار كانت بها وصيفة تعجبني فانصرفت ليلة ممسية ففتحت لي الباب فمددت يدي وقبضت على ثديها ، فلما كان من الغد دخلت على ابي عبدالله عليه السلام فلما رآني قال : تب إلى الله مما صنعت البارحة .

وفي مجالس الشيخ باسناده إلى داود الرقي قال: كنت جالساً عند ابي عبدالله عليه السلام إذ قال لي مبتدئاً : ياداود لقد عرضت علي اعمالكم يوم الخميس فرأيت لما عرضت علي عملك وصلتك الى ابن عمك فلان فسرني ذلك ان صلتك لفلان اسرع لفناء عمره وقطع أجله ، قال داود : وكان ابن عم لي ناصب فبغلني عنه وعن عياله سوء حال فصككت له بنفقة قبل خروجي الى مكة ، فلما صرت الى المدينة اخبرني ابو عبدالله (ع) بذلك وفي قوله تعالى : لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيداً عليكم ، قال ابو عبدالله (ع) : نحن الشهداء على خلقه فليتقوا .

ومن معاجز الكاظم موسى بن جعفر (ع)

ما في البحار عن المناقب من رواية علي بن راشد عن محمد بن علي النيشابوري الوكيل (١) من حديثه مع الامرأة المؤمنة المسماة شطيطة النيشابورية وما أرسلته الى الامام من الدرهم وشقة خام من غزل تساوي اربعة دراهم في حديث طويل إلى ان جاء بها إلى الامام في جملة ما حمل معه من الأموال - الى ان قال - فلما جئت بها الى الامام فقال (ع) مبتدئاً : جئني بدرهم شطيطة وأزارها ثم قال : يا ابا جعفر أبلغ شطيطة سلامي واعطها هذه الصرة . وكانت اربعين درهماً ثم قال (ع) : وأهديت لها شقة من اكفاني من قطن قريتنا صيدا قرية فاطمة وغزل أختي حليمة بنت الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) ثم قل لها : إنك ستعيشين تسعة عشر يوماً من وصول ابي جعفر ووصول الشقة والدراهم فانفقي على نفسك منها ستة عشر درهماً واجعلي اربعة وعشرين صدقة عنك وأنا أتولى الصلاة عليك ، فاذا رأيتني يا ابا جعفر فاكتم علي فانه أبقى لنفسك ، ثم قال (ع) واردد الأموال إلى اصحابها الى ان قال الراوي : فعاشت شطيطة كما قال الامام عليه السلام ، فلما توفيت شطيطة جاء الامام على بعير له فلما فرغ من تجهيزها ركب بعيره وانثنى نحو البرية ، وقال (ع) : عرف اصحابك واقرأهم مني السلام وقل لهم : إني ومن يجري من الامام لابد لنا من حضور جنائزكم في اي بلد كنتم فاتقوا الله في أنفسكم ، هذه منازلهم عند خالقهم ، وهذه منازل شيعتهم عندهم ومحافظتهم على دمائهم ويريدون منهم كتمان هذه الأسرار لئلا يقتلوا فهم المحافظون عليهم في الدارين معاً .

(١) أي وكيل الإمام (ع) في نيشابور .

معجزة للامام الجواد (ع)

عن قاسم احد الموالين لهم (ع) قال : اعترتنا هواء عاصف في البرية ونحن في طريق الحج بر الحجاز بين مكة والمدينة فأخذت الريح العمامة من رأسي وطارت بها إلى ان غابت عني ، ولما وردت المدينة وتشرفت بزيارة مولاي الجواد (ع) فلما رآني قال (ع) : يا قاسم مافعلت الريح بعمامتك؟ قلت : سيدي انت اعلم بها فأشار إلى ياسر عبده ان ائت بعمامته فجاء إلي بها بعينها فقال (ع): إن الله أمر الريح بها ان جاءت بها الينا وذلك بتصدقك بذلك المنزل على فلان الفقير والله يجزي المتصدقين .

كرامة أخرى تجمع له (ع)

علم الغيب وطي الأرض

فقد روى ابن الصباغ المالكي والشبلنجي من علماء السنة ان خالداً قال : كنت في العسكر (١) فسمعت الناس يقولون : إنه أتي برجل من الشام يتنبأ فأرسل به محمد بن عبد الملك الزيات الى السجن في سامراء فزجوه في السجن فأتيت الى ارباب السجن فدفعت اليهم شيئاً فأدخلوني عليه فلما اختبرته وإذا هو رجل ذو عقل وثبات ودين . فقلت له : ما هذا الذي رموك به من الادعاء بالنبوة فقال : والله اني ما ادعيت النبوة ، ولكن كنت أعبد الله في الشام في مسجد يسمى بمسجد رأس الحسين (ع) فلما كنت ذات ليلة على عادتي أتعبد إذ طلع

(١) أي سامراء .

علي رجل بهي فسلم علي وقال لي : اتبعني فتبعته ومشينا قليلا وإذا نحن في مسجد الكوفة فقال لي : أتعرف هذا الموضع ؟ فقلت : نعم انه مسجد الكوفة فقال لي : صل فيه ركعتين فصليت وصلى هو ثم انصرفنا فمشينا قليلا وإذا نحن في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فصلى وصليت ثم مشينا قليلا فاذا نحن في مكة في مسجد الحرام ، فصلى وصليت ثم مشينا قليلا فاذا نحن في الشام في مسجد رأس الحسين عليه السلام فتركني وانصرف فبقيت متحيراً وندمت كثيراً حيث اني لم أسأله ولم أعرفه من هو ، فلما كان من السنة القابلة في مثل تلك الليلة واذا به قد أقبل علي وسلم وفعل مثلما فعل في السنة الأولى فلما رجعنا الى موضعنا في مسجد رأس الحسين (ع) قلت له : بالذي اعطاك هذه المنزلة إلا أخبرتني من انت ؟ فقال لي : انا محمد بن علي الجواد (عليه السلام) ، فلما أصبحت حدثت بذلك بعض من يجتمع معي ، فشاع الخبر ووصل إلى الوالي محمد بن عبد الملك فقبضني وكبلني بالحديد وأرسل بي الى العسكر في سامراء فأدخلوني السجن كما ترى فعند ذلك قلت له : لأرفعن أمرك اليه إن شاء الله ، فخرجت وكتبت الى محمد بن عبد الملك في أمره وإطلاقه فوقع على ظهر كتابي ، فليخرجه إمامه الذي مشى به الى مسجد الكوفة والمدينة ومكة والشام في ليلة واحدة . فصرت مهموماً ودخلني من الغم ما لا مزيد عليه فبت تلك الليلة ، فلما اصبحت قلت أمضي الى السجن وآمره بالصبر وحسن الظن بالله تعالى ، حيث اني وعدته بالسعي في أمره ، فلما انتهيت الى باب السجن وجدت السجانين في هرج ومرج فقلت لهم : ما الخبر؟ فقالوا : إن هذا الرجل الشامي اصبح مفقوداً من السجن والأبواب مغلقة ، ووجدنا الحديد الذي كان في رجليه والأغلال التي في عنقه مطروحة في مكانه ولا نعرف كيف خرج منها ، فعلمت ان إمامه الجواد (عليه السلام) أخرجه ، وهذا قليل من كثير من معاجزه (عليه السلام) .

كرامة أخرى للامام الصادق (ع)

عن شعيب العقرقوفي ، قال : دخلت أنا وعلي بن ابي حمزة وابو بصير على ابي عبدالله (ع) ومعي ثلاثمائة دينار فصببتها قدامه فأخذ منها ابو عبدالله عليه السلام قبضة لنفسه ورد الباقي علي ، وقال : يا شعيب رد هذه المائة دينار الى موضعها الذي أخذتها منه ، قال شعيب : فقضينا حوائجنا جميعاً ، فقال لي ابو بصير : يا شعيب ما حال هذه الدنانير التي ردها عليك ابو عبدالله (ع) قلت أخذتها من عروة أخي سراً منه وهو لايعلمها قال لي ابو بصير : اعطاك ابو عبدالله عليه السلام والله علامة الامامة ، ثم قال لي ابو بصير وعلي بن ابي حمزة : ياشعيب عد الدنانير فعددتها فاذا هي مائة دينار لا تزيد ديناراً ولا تنقص ديناراً .

وعن شعيب ايضاً قال : إن رجلاً بعث معه بألف درهم الى ابي عبدالله عليه السلام فقلت : إني أريد ان اعرف فضل ابي عبدالله (ع) ، فأخذت منها خمسة دراهم وجعلت مكانها خمسة دراهم ستوقة (١) ، ثم أتيت ابا عبدالله (ع) فأخذها ونثرها وأخذ الخمسة منها وقال : هاك خمستك وهات خمستنا .

ذخائر ثمينة في أوعية حصينة

تلك حكمياتهم (ع) وموجز كلماتهم يحملونها وجوه اصحابهم واهل العلم والدين من طلابهم وذوي الأمانة من رواتهم كي يؤدوها إلى اللاحقين من أمثالهم والمتأخرين من شيعتهم ومحبيهم الآخذين بهديهم أبرزوها من مكنون صدورهم

(١) مغشوشة .

مدوية في الفضاء بالغة آذان السامعين من عباد ربهم وأمة جدهم (ص) قاصدين تقديمهم في مراحل الكمال والتدرج بهم في مراتب الجمال بشحذ أذهانهم من أنوار علومهم وتصفية نفوسهم ببليغ مواعظهم .

منها كلمات مولانا أمير المؤمنين المسماة بالقصار

قال (ع) : افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً ، فان صغيره كبير وقليله كثير (١) « من ظن بك خيراً فصدق ظنه » « لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءاً ، وانت تجد لها محتملا » « ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعف ، لكاد العفيف ان يكون ملكا من الملائكة » « العفو زكاة الظفر » « أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة » « إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر » « لا يزهدنك في المعروف من لا يشكر لك » « إحصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك » « لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ اخاه في ثلاث : في نكبته ، وغيبته ، ووفاته » « صديقك من نهاك وعدوك من أغراك » « حسد الصديق من سقم المودة » « إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى » « عاتب اخاك بالاحسان اليه وارددة بالانعام عليه » « ازجر المسيء بثواب المحسن » « إذا حييت بتحية فحيي بأحسن منها وإذا أسديت اليك يد فكافئها بما يربى عليها والفضل في ذلك للبادئ » « شر الاخوان من تكلف له » « لاتصحب المائق الأحمق فانه يزين لك فعله ويود ان تكون مثله » « إياك ومصادقة الأحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك ، وإياك ومصاحبة البخيل

(١) فقد ورد أنه دخل رجلان الجنة بسبب حجر أحدهما وضعه في الطريق لعبور الناس عليه وثانيهما رفعه بعد جفاف الطريق لئلا يعثر الناس به .

فانه يبعد عنك احوج ما تكون اليه ، وإياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب » « من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب » « من عرف نفسه فقد عرف ربه » « الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل » « هلك امرئ لم يعرف قدره » « افضل الزهد إخفاء الزهد » « من اشرف اعمال الكريم غفلته عما يعلم » « ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه » « ان لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم إلا اوشك ان يكون منهم » « انتهزوا فرص الخير » « إذا رأيتم الشر فاعرضوا عنه » « أشد الذنوب ما استهان به صاحبه » « بئس العدوان على العباد » « ما ظفر من ظفر الاثم به ، والغالب بالشر مغلوب » « يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم « كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك » « يأتي زمان على الناس لا يقرب فيه إلا الماحل (١) ولا يظرف فيه إلا الفاجر ، ولا يضعف فيه إلا المنصف » « ما شككت بالحق مذ رأيته » « لا تشمت بالمصائب ولا تدخل في الباطل ولا تخرج من الحق » « اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم » « الطمع رق مؤبد » « في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال » « إذا ايسرت فكل الرجال رجالك ، وإذا أعسرت انكرك اهلك » « إذا اقبلت الدنيا على احد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » « اما انه ليس بين الحق والباطل إلا اربع اصابع » (٢) « ليكن أمر الناس في الحق عندك سواء » « من صارع الحق صرعه » « إن يد الله مع الجماعة » « علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك » « لا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل » « ما اكثر

(١) الساعي فى الناس بالوشاية عند السلطان

(٢) وهو مسافة مابين الأذن والعين .

العبر وأقل الاعتبار » « المؤمن نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة » « قيمة كل امرىء ما يحسنه » « لا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم ، ولا قرين كحسن الخلق » « كفى بحسن الخلق نعيما » « الكرم اعطف من الرحم » « كم من أكلة منعت أكلات » « تحتاج القرابة الى مودة ، ولا تحتاج المودة إلى قرابة » « رب قريب أبعد من بعيد ، ورب بعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب » « فقد الأحبة غربة » « فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير اهلها » « إذا سألت كريماً حاجة فدعه يفكر ، فانه لا يفكر إلا في خير وإذا سألت اللئيم حاجة فعاجله فانه ان فكر عاد الى طبعه » « البخل جامع لمساوىء العيوب ، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء » « الحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم في الذنوب » « لم يذهب من مالك ما وعظك » « من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله » « يابن آدم كن وصي نفسك في مالك ، واعمل فيه ما تؤثر ان يعمل فيه من بعدك » « العلم يحرسك وانت تحرس المال » « ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير ان يكثر علمك » « هلك خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر » « إذا ارذل الله عبداً حظر عليه العلم » « كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فانه يتسع » « ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا إلا اخذ على اهل العلم ان يعلموا » « العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل ، فان أجابه وإلا ارتحل عنه » « ان هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة » « المرء مخبوء تحت لسانه » « هانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه » « لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه » « لا خير في الصمت عن الحكم ، كما انه لا خير في القول بالجهل » « لا تسأل عما لا يكون ففي الذي قد كان لك شغل » « الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله » « لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها » « كم من صائم ليس من صيامه إلا الظمأ

وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء » « حبذا نوم الأكياس وافطارهم » « نوم على يقين خير من صلاة على شك » « يكون الصبر على قدر المصيبة » « لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان » « عند تناهي الشدة تكون الفرجة » « يابن آدم ما تكسب فوق قوت يومك فانت فيه خازن لغيرك » « الصبر صبران ، صبر على ما تكره وصبر عما تحب » « من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه » « اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني ، فان عدت فعد علي بالمغفرة ، اللهم اغفر لي زمرات الألحاظ وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان ، اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون » « ان الأمور اذا اشتبهت اعتبر اولها بآخرها » « من لان عوده كثفت اغصانه » « من تذكر بعد السفر استعد » « من حذرك كمن بشرك » « الخلاف يهدم الرأي » « لا رأي لمن لا يطاع » « الناس اعداء ما جهلوا » « الدهر يومان ، يوم لك ويوم عليك . فان كان لك فلا تبطر ، وان كان عليك فاصبر » « لا تكن عند النعماء بطراً ، ولا عند البأساء فشلا » « خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم وان عشتم حنوا عليكم » « نفس المرء خطاه الى اجله » « اعتصموا بالذمم » « اصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم » « رحم الله امرئاً رأى حقاً فأعان عليه ، او رأى جوراً فرده ، وكان عوناً بالحق على صاحبه » « من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذاك الأحمق بعينه ، ومن نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره » .

ومنها حكميات الامام الصادق (ع)

يذخرها لمن يولد من أمة جده والمتضلعين من شيعته في اوعية حصينة من صدور الأمناء من تلامذته كي يفرغوها في آذان السامعين ويركزوها في قلوب المتبصرين والعاملين ليوم الدين خوفاً من عقاب رب العالمين .

قال (ع) : اصل الرجل عقله وحسبه دينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون . وسئل (ع) لِمَ صار الناس يكلبون في ايام الغلاء على الطعام ويزيد جوعهم على العادة في الرخص ؟ قال (ع) : لأنهم بنوا الأرض (١) فاذا قحطت قحطوا واذا اخصبت اخصبوا .

وعنه (ع) وشكا اليه رجل جاره ، فقال (ع) : اصبر عليه فقال : ينسبني الناس الى الذل ، فقال (ع) : إنما الذليل من ظلم . وقال (ع) : إني لأملق احياناً فأتاجر الله بالصدقة . وقال (ع) : لا يزال العز قلقاً حتى يأتي داراً قد استشعر اهلها اليأس مما في ايدي الناس فيوطنها . وقال (ع) : من لم يستح من العيب ويرعوي عند الشيب ، ويخشى الله بظهر الغيب فلا خير فيه . وقال (ع) : « إن خير العباد من يجتمع فيه خمس خصال : إذا حسن استبشر ، واذا أساء استغفر ، واذا أعطي شكر ، واذا ابتلى صبر ، واذا ظلم غفر . وقال (ع) : « يهلك الله ستاً بست : الأمراء بالجور ، والعرب بالعصبية ، والدهاقين (٢) بالكبر ، والتجار بالخيانة ، واهل الرستاق بالجهل ، والفقهاء بالحسد . وقال (ع) : صلة الأرحام منسأة في الأعمار ، وحسن الجوار عمارة للديار ، وصدقة السر مثراة للمال » « السريرة اذا صلحت قويت العلانية . وقال (ع) : ثلاثة أقسم بالله

(١) أبناؤها . (٢) هم رؤساء القرى .

إنها الحق : ما نقص مال من صدقة ولا زكاة ، ولا ظلم أحد بظلامة فقدر ان يكافيء بها فكظمها إلا أبدله الله مكانها عزاً ، ولا فتح عبد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . وقال (ع) : ثلاثة لا يزيد الله بها المرء المسلم إلا عزاً الصفح عمن ظلمه ، والاعطاء لمن حرمه (١) ، والصلة لمن قطعه . وقال (ع) : من اليقين ان لا ترضي الناس بما يسخط الله ، ولا تذمهم على ما لم يؤتك الله ، ولا تحمدهم على رزق الله ، فان الرزق لا يسوقه حرص حريص (٢) ، ولا يصرفه كره كاره ولو أن احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت ، لأدركه الرزق كما يدركه الموت ، وقال (ع) : من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره في اهل بيته زيد في عمره . وقال (ع) : صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة ، قال الله تعالى : « والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » (٣) .

كتب اليه (ع) ، المنصور كتاباً يقول فيه : لِمَ لا تخشانا كما يخشانا ساير الناس ؟ فأجابه الصادق (ع) ليس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا انت في نعمة فنهنيك ، ولا تراها نقمة فنعزيك بها ، فما نصنع عندك ؟ فكتب اليه : تصحبنا لتنصحنا ، فأجابه (ع) : من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لا يصحبك .

فقال المنصور : والله لقد ميز عندي منازل الناس ، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة وانه ممن يريد الآخرة لا الدنيا . وقال (ع) : « اذا بلغك عن اخيك شيء يسوؤك فلا تغتم فانه ان كان كما يقول كانت عقوبة عجلت ، وان

(١) لأن رزقك ليس بيدهم ، ولو أراد الله لك لأتاك من قبلهم .
(٢) فانه سبحانه هو الذي بعث لك الرزق على يد الحريص ، ولولا الله لمنعه حرصه
(٣) سورة الرعد الآية ٢٢ .

كان على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها . وعنه (ع) لا زاد افضل من التقوى ولا شيء احسن من الصمت ، ولا عدو أضر من الجهل ، ولا داء أدوى من الكذب » وقال (ع) : في الحكمة والموعظة ما كل من نوى شيئاً قدر عليه ولا كل من قدر على شيء وفق له ، ولا كل من وفق أصاب له موضعاً ، فاذا اجتمعت النية والقدرة والتوفيق والاصابة ، فهناك تمت السعادة » .

ومما حفظ عنه (ع) في الحث على التوبة قوله (ع) : تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة ، والاعتلال على الله هلكة ، والاصرار على الدنيا أمن لمكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

وعنه (ع) أوحى الله الى الدنيا ان اخدمي من خدمني ، واتعبي من خدمك . قال مالك بن أنس : قال جعفر الصادق (ع) يوماً لسفيان الثوري : يا سفيان إذا انعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها فاكثر من الحمد والشكر عليها فان الله عز وجل قال في كتابه : « لئن شكرتم لأزيدنكم » واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله عز وجل يقول في كتابه : « واستغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين » يعني في الدنيا ويجعل لكم جنات ، يعني في الآخرة ، يا سفيان اذا أحزنك أمر من سلطان او غيره فاكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة . وقال (ع) عن جده : ما من مؤمن أدخل على قوم سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله ويوحده ويمجده فاذا صار المؤمن في قبره أتاه السرور الذي أدخله عليه فيقول : أما تعرفني ؟ فيقول : ومن أنت ؟ فيقول : انا السرور الذي أدخلتني على فلان ، انا اليوم الذي أؤنس وحشتك وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد بك مشاهد القيامة وأشفع لك الى ربك وأريك منزلتك من الجنة . وقال (ع) : يا زرارة أعطيك جملة من القضاء

والقدر ، قال : نعم جعلت فداك قال (ع) : انه اذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق سألهم عما عهد اليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم . وقال (ع) : الفقهاء أمناء الرسل فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السلاطين فاتهموهم . وعنه (ع) قال الصلاة قربان كل تقي ، والحج جهاد كل ضعيف وزكاة البدن الصيام والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر واستنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكاة وماعال امرىء اقتصد والتقدير نصف العيش والتودد نصف العقل وقلة العيال احدى اليسارين ومن حزن والديه فقد عقهما ومن ضرب على فخذه عند المصيبة فقد حبط أجره والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي حسب او دين والله عز وجل ينزل الصبر على قدر المصيبة وينزل الرزق على قدر المؤنة ومن قدر معيشته رزقه الله ومن بذر معيشته حرمه الله . وقال (ع) : أربعة اشياء القليل منها كثير : النار والعداوة والفقر والمرض .

وعن بعض اصحابه (ع) قال : دخلت عليه وموسى (ع) بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها ان قال : يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك ان حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً ، يا بني من قنع بما قسم الله له استغنى ومن مد عينيه الى ما في يد غيره مات فقيراً ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، يا بني من كشف عن حجاب غيره تكشف عورات بيته ومن سل سيف البغي قتل به ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ، يا بني إياك ان تزري بالرجال فيزرى بك وإياك والدخول فيما لايعنيك فتزل ، يابني قل الحق لك وعليك تستشار من بين أقرانك ، يا بني كن لكتاب الله تالياً وللاسلام فاشياً وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً ولمن قطعك واصلا ولمن سكت عنك مبتدئاً ولمن سألك

معطياً وإياك والنميمة فانها تزرع الشحناء في قلوب الرجال وإياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف يا بني اذا طلبت الجود فعليك بمعادنه فان للجود معادناً وللمعادن اصولا وللأصول فروعاً وللفروع ثمراً ولا يطيب ثمر إلا بفرع ولا فرع إلا بأصل ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب ، يا بني إذا زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار ، فانهم صخرة لا ينفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا تظهر عشبها ، قال علي بن موسى الرضا (ع) : فما ترك ابي هذه الوصية الى ان توفى (ع) .

وسئل الامام الصادق (ع) عن فضيلة لأمير المؤمنين (ع) لم يشركه فيها أحد ، فقال (ع) : فضل الأقربين بالسبق وفضل الأبعدين بالقرابة .

من حكم الحسن بن علي (ع)

لا أدب لمن لاعقل له ولا مروة لمن لا همة له ولاحياء لمن لا دين له ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل وبالعقل تدرك الداران جميعاً ومن حرم العقل حرمهما جميعاً . وقال (ع) : لا تأت رجلا إلا ان ترجو نواله او تخاف يده او تستفيد من علمه او ترجو بركة دعائه او تصل رحماً بينك وبينه . وقال (ع) : يابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً وارض بما قسم الله تكن غنياً واحسن جوار من جاورك تكن مسلماً وصاحب الناس بمثل ما تحب ان يصاحبوك به تكن عدلا انه كان بين ايديكم اقوام يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً اصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً ، يابن آدم لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فخذ مما في يديك لما بين يديك فان المؤمن يتزود والكافر يتمتع . وقال (ع) : ما فتح الله عز وجل على أحد باب مسألة فخزن عنه باب

الاجابة ولا فتح على رجل باب عمل فخزن عنه باب القبول ولا فتح لعبد باب شكر فخزن عنه باب المزيد .

وسئل (ع) عن البخل فقال : هو ان يرى الرجل ما انفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً . وقال (ع) : لا تعاجل الذنب بالعقوبة واجعل بينهما للاعتذار طريقاً . وقال (ع) : المزاح يأكل الهيبة وقد اكثر من الهيبة الصامت . وقال (ع) : الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود . وقال : تجهل النعم ما أقامت فاذا ولت عرفت

نزر من حكم الحسين (ع) القصيرة

كان (ع) يقول : شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء والقسوة على الضعفاء والبخل عن الاعطاء .

وقال (ع) : صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فأكرم وجهك عن رده . وقال (ع) : ما أخذ الله طاعة أحد إلا وضع طاعته ولا أخذ قدرته إلا وضع عنه كلفته . وقال (ع) لرجل اغتاب عنده رجلا : يا هذا كف عن الغيبة فانها أدام كلاب النار .

وقال (ع) لابنه علي (ع) : اي بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله عزوجل . وسئل (ع) عن معنى قوله تعالى : « واما بنعمة ربك فحدث » قال : أمره ان يحدث بما أنعم الله به عليه في دينه .

وقال (ع) : من علامات القبول الجلوس الى أهل العقول من دلائل العالم انتقاده لحديثه وعلمه بحقائق فنون النظر .

وقال (ع) : إياك وما يعتذر منه فان المؤمن لا يسيء ولا يعتذر والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر .

وقال (ع) لياقوت المستعصمي : لا تتكلف ما لا تطيق ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تعتد بما لا تقدر عليه ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له اهلا .

ومن خطبه (ع) ان الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة نعمة والاستكبار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والغلو ورطة ومجالسة اهل الدناءة شر ومجالسة اهل الفسق ريبة ، وقال رجل عنده (ع) المعروف اذا أسدي الى غير أهله ضاع فقال : ليس كذلك ولكن الصنيعة كوابل المطر تصيب البر والفاجر .

من حكم علي بن الحسين (ع)

قال (ع) : الرضا بمكروه القضاء ارفع درجات اليقين . وقال (ع) : من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

وقال رجل بحضرته : اللهم أغنني عن خلقك فقال (ع) : ليس هكذا انما الناس بالناس ولكن قل : اللهم أغنني عن شرار خلقك ، وقال (ع) : من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس .

وقال (ع) : لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل ما يتقبل . وقال (ع) : كفى بنصر الله لك ان ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك وقال (ع) : الخير كله صيانة الانسان نفسه .

وقال له رجل : ما الزهد ؟ قال (ع) : الزهد عشرة أجزاء فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضى وان الزهد في آية من كتاب الله لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم . وقال

عليه السلام : طلب الحوائج الى الناس مذلة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر وقلة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر .

وقال (ع) : إن احبكم الى الله احسنكم عملا وان اعظمكم عند الله عملا اعظمكم فيما عند الله رغبة وان انجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله وان أقربكم من الله أوسعكم خلقاً وان ارضاكم عند الله أسعاكم على عياله وان اكرمكم على الله اتقاكم لله .

وقال (ع) لبعض بنيه : يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق ، فقال : يا أبة من هم ؟ فقال : إياك ومصاحبة الكذاب فانه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب وإياك ومصاحبة الفاسق فانه بائعك بأكلة او اقل من ذلك (١) وإياك ومصاحبة البخيل فانه يخذلك في ماله احوج ما تكون اليه وإياك ومصاحبة الأحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فاني وجدته ملعوناً في كتاب الله (٢) .

وقال (ع) : يابن آدم انك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همك وما كان الخوف لك شعاراً والحذر لك دثاراً يابن آدم انك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله عز وجل فأعد له جواباً يابن آدم اعمل بما افترض عليك تكن من أعبد الناس .

وقال (ع) : لا يخاف عبد إلا ذنبه ولا يرجو إلا ربه ولا يستحي الجاهل إذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم (٣) والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له . وقال (ع) : رب مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكا يأكل ويشرب وهو لا يدري لعله قد سبقت له من الله سخطة يصلى بها نار جهنم .

(١) قال وما دونها قال يطمع فيها فلا يناالها . (٢) في بعض النسخ في ثلاثة مواضع .
(٣) وفي نسخة أن يتعلم .

ومن نوادر حكم الباقر (ع)

فعنه (ع) عن رسول الله (ص) انه قال : من نقله الله عز وجل من ذل المعاصي الى عز التقوى أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه بالسير من العمل ومن لم يستح من طلب المعيشة خفت مؤنته ورخى باله ونعم عياله ومن زهد في الدنيا ثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار القرار .

وقال (ع) : ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر إلا نقص من عقله بمقدار ما دخله من ذلك قل او كثر .

وقال (ع) في قوله تعالى : « اولئك يجزون الغرفة بما صبروا » قال : على الفقر في دار الدنيا .

وفي قوله تعالى : « وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً » قال : بما صبروا على الفقر ومصائب الدنيا .

وقال (ع) : عالم ينتفع بعلمه افضل من الف عابد « والله لموت العالم أحب الى إبليس من موت سبعين عابداً » .

وقال (ع) : الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال وإنصافك الناس من نفسك ومواساة الأخ في المال .

وقال (ع) : إذا رأيتم القارىء يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص شيعتنا من اطاع الله عز وجل إياكم والخصومة فانها تفسد القلب وتورث النفاق .

وقال (ع) : كان لي أخ عظيم في عيني وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه .

وقال (ع) : ما شيب شيء بشيء احسن من حلم بعلم « كل الكمال التفقه في الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة » « المتكبر ينازع الله رداءه » .

وقال (ع) : الظلم ثلاثة : ظلم لايغفره الله وظلم يغفره الله وظلم لايدعه الله فاما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك بالله ، واما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله ، واما الظلم الذي لا يدعه الله فالمداينة بين العباد .

وقال (ع) : ما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضي الله إلا ابتلى بأن ينفق اضعافها فيما اسخط الله .

وقال (ع) : لا يكون الرجل عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه ولا محقراً لمن دونه .

وقال (ع) : اربع من كنوز البر : كتمان الحاجة وكتمان الصدقة وكتمان الوجع وكتمان المصيبة .

وقال (ع) : من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره بأهله زيد في عمره « من استفاد أخاً في الله على إيمان بالله ووفاء باخائه طلباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله وأماناً من عذاب الله وحجة يفلح بها يوم القيامة وعزاً باقياً وذكراً ناميا » .

من حكم كاظم الغيظ

الامام موسى بن جعفر (ع)

قال (ع) : كثرة الهم تورث الهرم « المصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلا بالصبر والاسترجاع عند الصدمة والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي دين او حسب والله ينزل المعونة على قدر المؤنة وينزل الصبر على قدر المصيبة ومن اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة ومن بذر وأسرف زالت عنه النعمة وأداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق .

وقال (ع) : ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه .

وقال (ع) لبعض اصحابه : اتق الله وقل الحق وان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك اتق الله ودع الباطل وان كان فيه نجاتك فان فيه هلاكك .

وقال (ع) عند قبر حضره : إن شيئاً هذا آخره لحقيق ان يزهد في اوله وان شيئاً هذا اوله لحقيق ان يخاف آخره .

وقال (ع) : اشتدت مؤنة الدنيا والدين ، فاما مؤنة الدنيا فانك لا تمد يدك الى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك اليه ، واما مؤنة الآخرة فانك لا تجد أعواناً يعينونك عليها .

وقال (ع) : ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى .

وقال (ع) : اجتهدوا في ان يكون زمانكم اربع ساعات ، ساعة لمناجاة الله وساعة لأمر المعاش وساعة لمعاشرة الاخوان والثقاة الذين يعرفونكم عيوبكم

ويخلصون لكم في الباطن وساعة تخلون فيها لذاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات .

وقال (ع) : ينادي مناد يوم القيامة ألا من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا وأصلح فأجره على الله .

وقال (ع) : السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة وما بعث الله نبياً إلا سخياً وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق حتى مضى .

وقال (ع) : عونك الضعيف من افضل الصدقة .

وقال (ع) لبعض ولده : يا بني إياك ان يراك الله في معصية نهاك عنها ، وإياك ان يفقدك الله عند طاعة أمرك بها وعليك بالجد ولا تخرجن نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته فان الله لا يعبد حق عبادته وإياك والمزاح فانه يذهب بنور إيمانك ويستخف مروءتك وإياك والضجر والكسل فانهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة « وقال في وصيته لهشام : ياهشام لو كان في يدك جوزة وقال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفعك وانت تعلم انها جوزة ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس انها جوزة ما ضرك وانت تعلم انها لؤلؤة ما من عبد إلا وملك آخذ بناصيته فلا يتواضع إلا رفعه الله ولا يتعاظم إلا وضعه الله « ان لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فاما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة ، واما الباطنة فالعقول » ان العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره .

وقال (ع) : إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك .

من حكم الامام الرضا (ع)

قال (ع) : لا يتم عقل امرىء مسلم حتى تكون فيه عشر خصال : الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يستكثر قليل الخير من غيره ، ويستقل كثير الخير من نفسه ، لا يسأم من طلب الحوائج اليه ، ولا يمل من طلب العلم طول دهره ، الفقر في الله أحب اليه من الغنى ، والذل في الله أحب اليه من العز في عدوه ، والخمول أشهى اليه من الشهرة ، ثم قال : العاشرة وما العاشرة ، قيل له : ما هي ؟ قال : لا يرى أحداً إلا قال : هو خير مني وأتقى إنما الناس رجلان رجل خير منه وأتقى ورجل شر منه وأدنى فاذا لقي الذي هو شر منه وأدنى قال : لعل خير هذا باطن وهو خير مني وخيري ظاهر وهو شر لي ، وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به فاذا فعل ذلك فقد علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد اهل زمانه .

وسئل عن خير العباد فقال (ع) : الذي إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا وإذا أعطوا شكروا وإذا ابتلوا صبروا وإذا أغضبوا غفروا .

وسئل عن حد التوكل فقال (ع) : ان لا تخاف إلا الله ، وقال (ع) : الايمان اربعة اركان : التوكل على الله ، والرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله ، والتفويض الى الله .

وقيل له : كيف أصبحت ؟ فقال (ع) : أصبحت بأجل منقوض وعمل محفوظ والموت في رقابنا والنار من ورائنا ، ولا ندري مايفعل بنا . وقال (ع): الصمت باب من ابواب الحكمة . ان الصمت يكسب المحبة ، وانه دليل على كل خير ، صديق كل امرىء عقله وعدوه جهله .

وقال (ع) : لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى تكون فيه خصال ثلاث : التفقه في الدين وحسن التقدير في المعيشة والصبر على الرزايا وقال (ع) : ليس لبخيل راحة ولا لحسود لذة ولا لملول وفاء ولا لكذوب مروءة .

وقال (ع) : اوحش مايكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن : يوم ولد فيرى الدنيا ، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا .

وقال (ع) : من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم وصديق الجاهل في تعب وأفضل المال ما وقي به العرض وأفضل العقل معرفة الانسان نفسه والمؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يأخذ اكثر من حقه .

من حكم الامام محمد الجواد (ع)

قال (ع) : المؤمن يحتاج الى ثلاث خصال : توفيق من الله ، وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه .

وقال (ع) : من أصغى الى ناطق فقد عبده فان كان الناطق عن الله فقد عبد الله وان كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس .

وقال (ع) : تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة والاعتلال على الله هلكة والاصرار على الذنب أمن لمكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

وقال (ع) : قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعاً لما تهواه .

وقال (ع) : إظهار الشيء قبل ان يستحكم مفسدة .

وقال (ع) : كيف يضيع من الله كافله وكيف ينجو من الله طالبه ومن انقطع إلى غير الله وكله الله اليه ومن عمل على غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح « من أطاع هواه أعطى عدوه مناه » « راكب الشهوات لا تستقال له عثرة » « الثقة بالله ثمن لكل غال وسلم الى كل عال » « إذا نزل القضاء ضاق الفضاء »

وقال (ع) : « كفى بالمرء خيانة ان يكون أميناً للخونة » « عز المؤمن غناه عن الناس » .

قال له رجل : أوصني قال (ع) : أو تقبل ؟ قال : نعم قال : توسد الصبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى واعلم انك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون .

من حكم الامام علي الهادي (ع)

قال (ع) : من اتقى الله يتق ومن أطاع الله يطع ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين ، من أمن مكر الله وأليم أخذه تكبر حتى يحل به قضاؤه وناقذ أمره ومن كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ، ولو قرض ونشر .

وقال (ع) : الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر ، لأن النعم متاع والشكر نعم وعقبى .

وقال (ع) : إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون .

وقال (ع) : الغنى قلة تمنيك ، والرضا بما يكفيك ، والفقر شره النفس وشدة الفنوط .

وقال (ع) : الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال .

وقال (ع) : الحسد ماحي الحسنات جالب المقت ، والعجب صارف عن طلب العلم داع إلى الغمط والجهل ، والبخل أذم الأخلاق ، والطمع سجية سيئة والهزء فكاهة السفهاء وصناعة الجهال والعقوق يعقب القلة ويؤدي إلى الذلة .

وقال (ع) : السهر ألذ للمنام والجوع يزيد في طيب الطعام (١) .

وقال (ع) : اذكر مصرعك بين يدي أهلك ولا طبيب يمنعك ولا حبيب ينفعك .

وقال (ع) : خير من الخير فاعله ، وأجمل من الجميل قائله ، وأرجح من العلم حامله وشر من الشر جالبه وأهول من الهول راكبه .

وقال (ع) : إياك والحسد فانه يبين فيك ولا يعمل في عدوك .

وقال (ع) : إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام ان يظن أحد بأحد سوءاً حتى يعلم ذلك منه ، وإذا كان زمان الجور أغلب فيه من العدل فليس لأحد ان يظن بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه .

وقال (ع) للمتوكل في جواب كلام دار بينهما : لاتطلب الصفا ممن كدرت عليه ، ولا الوفاء ممن غدرت به ، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك اليه ، فانما قلب غيرك كقلبك له .

وقال (ع) : ابقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها واعلموا ان النفس أقبل شيء لما أعطيت وأمنع شيء لما منعت ، ان الظالم الحالم يكاد ان يعفى على ظلمه بحلمه وان المحق السفيه يكاد ان يطفي نور حقه بسفهه .

---

(١) يريد به الحث على قيام الليل وصيام النهار .

حكم الامام الحسن العسكري (ع)

قال (ع) لشيعته : أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر او فاجر وطول السجود وحسن الجوار ، فبهذا جاء محمد(ص) صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم فان الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل : هذا شيعي فيسرني ذلك اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً جروا الينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح فانه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله ، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه احد غيرنا إلا كذاب ، اكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي (ص) فان الصلاة على رسول الله عشر حسنات احفظوا ما وصيتكم به واستودعكم الله واقرأ عليكم السلام

وقال (ع) : ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله بئس العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري اخاه شاهداً ويأكله غائباً ان اعطي حسده وان ابتلي خذله .

وقال (ع) : الغضب مفتاح كل شر ، اقل الناس راحة الحقود ، اورع الناس من وقف عند الشبهة ، أعبد الناس من أقام على الفرائض ، أزهد الناس من ترك الحرام ، أشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب ، انكم في آجال منقوصة وأيام معدودة والموت يأتي بغتة ، من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندامة لكل زارع ما زرع ، لا يسبق بطيء بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ، من اعطي خيراً فالله أعطاه ومن وقي شراً فالله وقاه ، المؤمن بركة

على المؤمن وحجة على الكافر ، قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه ، لايشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض ، ما ترك الحق عزيز إلا ذل ولا أخذ به ذليل إلا عز ، خصلتان ليس فوقهما شيء الايمان بالله ونفع الاخوان .

وقال (ع) : جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره ، ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون خير من الحياة ما إذا فقدته بغضت الحياة وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت الموت .

وقال (ع) : التواضع نعمة لا يحسد عليها ، من وعظ اخاه سراً فقد زانه ومن وعظه جهراً فقد شانه .

وقال (ع) : مامن بلية إلا ولله فيها حكمة تحيط بها ، ما أقبح بالمؤمن ان تكون له رغبة تذله ، من مدح غير المستحق فقد قام مقام المتهم ، لا يعرف النعمة إلا الشاكر ولا يشكر النعمة إلا العارف .

وقال عليه السلام :

واعلم ان الالحاح في المطالب يسلب البهاء ويورث التعب والعناء فاصبر حتى يفتح الله لك باباً يسهل الدخول فيه فربما كانت الغير نوعاً من أدب الله والحظوظ مراتب فلا تعجل على ثمرة لم تدرك ، وإنما تنالها في أوانها . واعلم ان المدبر لك اعلم بالوقت الذي يصلح حالك فيه ، فثق بخيرته في جميع امورك يصلح حالك ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها فيضيق قلبك وصدرك ويغشاك القنوط .

وقال (ع) : من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة ، المقادير الغالبة لا تدفع بالمغالبة والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشره ولا تدفع بالامساك عنها ، من كان الورع سجيته والكرم طبيعته والحلم خلته كثر صديقه والثناء عليه

وانتصر من اعدائه بحسن الثناء عليه ، السهر ألذ للمنام والجوع ازيد في طيب الطعام (١) ان الوصول إلى الله عز وجل سفر لا يدرك إلا بامتطاء الليل .

وقال (ع) : لوعقل اهل الدنيا خربت (٢) ، خير اخوانك من نسي ذنبك وذكر إحسانك اليه . أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته ، حسن الصورة جمال ظاهر وحسن العقل جمال باطن ، من أنس بالله استوحش من الناس وعلامة الاستيناس بالله الوحشة من الناس ، جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب إذا نشطت القلوب فأودعوها وإذا نفرت فودعوها (٣) .

وقال (ع) : الالحاق بمن ترجو خير من المقام مع من لا تأمن شره ، الجهل خصم والحلم حكم ولم يعرف راحة القلب من لم يجرّعه الحلم غصص الغيظ ، إذا كان المقضي كائناً فالضراعة لماذا ، نائل الكريم يجيبك اليه ويقربك منه ، ونائل اللئيم يباعدك منه ويبغضك اليه .

هذه كلماتهم عليهم السلام وقد ذكرنا النزر منها خوف الاطالة تنويراً للأفهام وتنبيهاً للأنام بأن مثل هذه الذوات الزكية والأخلاق المرضية وذوي العلوم الغزيرة الجلية وذوي النفوس السخية والعدالة الذاتية وان صارحت بالحق فقل هي العصمة الالهية واهل العطف والحنان على جميع البرية .

هؤلاء لو ثنيت لهم الوسادة واستلموا القيادة وكانوا الرعاة لعباد الله كما أراد تعالى والساسة لخلقه كما صدع بذلك رسوله والمراجع لشرعه حيث هم معدن وحيه وغيبة علمه .

فهل ترى يبقى مجال لذي ظلم في ظلمه او مسلك لصاحب غدر لغدره ، بل

(١) رغب (ع) فيه على صوم النهار وقيام الليل وصدر مثله عنهم (ع) قريباً .

(٢) أي الدنيا لعدم العامل لها حينئذ

(٣) أي إذا رغبت فحملها من المعارف والعلوم والطاعة لله ، وإذا كلت وملت ولم تبق لها رغبة وشوق فاتركها كي تستريح .

هل يبقى ذو جهل على جهله مع هذه المعارف والدروس التي لم يصدر منها عن مكنون علومهم إلا القليل وقد تابعها التضليل ومحقها التصرف والقياس والتأويل فنعم الحكم الله .

الخلاصة لهذا الفصل بالمقارنة

وخلاصة هذا الفصل المعقود في الصلاة والمذيل بلزوم حب اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم انهما عدلان متكافئان ومتساويان لا يرجح احدهما على الآخر سلباً وإيجاباً .

فكما ثبت ان تارك الصلاة كافر وانه لا يقبل منه اي عمل وانه معاقب في الدنيا وعند الموت وفي القبر وفي القيامة باثني عشر عقوبة ، ومنها انه يحشر اسود الوجه مسحوب في عرصات القيامة إلى النار إلى آخر ما فصلناه في هذا الفصل .

فكذلك تارك حب اهل البيت لا يقبل منه اي عمل ولو كان يعادل الجبال الرواسي وانه يبرأ منه رسول الله (ص) يوم القيامة كما هو مفاد الروايات وقد فصلت في مواضعها بصحيح اسانيدها .

وكما ثبت ان الصلاة ان قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها وان ركعتين منها بشرط القبول تشفع إلى الله تعالى في غفران جميع الذنوب على حد تعبير الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

فكذلك حبهم (ع) بشرط الصدق فيه فانه الشفيع إلى الله تعالى في حط ذنوب المحب بما لا يعارض عدله سبحانه وتعالى وانه شفيع غير مردود عند الله وهو القادر على إرضاء ذوي الحقوق عليهم لو اراد ذلك ، ولم يتجاوز الشاعر حدود الواقع والحقيقة حيث قال :

حبه الاكسير لو ذر على سيئات الخلق عادت حسنات

* * *

هذا وان النبي الكريم قد حرص كل الحرص على استفادة أمته بل عباد ربه من اهل بيته وجعلهم المرجع لهم وحرم التخلف عنهم وأوجب الالتحاق بركبهم وألزم بطاعتهم واتباعهم والأخذ منهم .

وناهيك عن ذلك مأثرة الغدير غدير خم وما قام به النبي (ص) فيه من جعل الولاية الكبرى لأبيهم سيد الوصيين وامير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين حيث قد نزل عليه الوحي المبين الملزم بذلك من خالق السموات والأرضين .

ولنذكر رؤوس الأقلام من ذلك تنبيهاً للغافلين وخدمة للمؤمنين وإظهاراً لمركزات الدين .

قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي الكافرين » (١) .

وقال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (٢) .

وقال تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج » (٣) .

هذه ثلاث آيات كلها تخص يوم الغدير ، والكلام في هذا الموضوع يكون من جهات : تارة في اسباب يوم الغدير ومنشئه ، وتارة فيما وقع فيه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الله تعالى ، وتارة بما تعقبه ، وتارة في ثواب اعماله . أما من الجهة الأولى ، فحيث ان علم الله تعالى بانتقال نبيه الكريم (ص) إلى جواره قد حل وقته ، ولا يجوز على الله ان يترك عباده سدى وبدون راع

(١) و (٢) سورة المائدة الآية ٧٢ - ٦ . (٣) سورة المعارج أول آية منها .

قد علم الله عدله وإحاطته بجميع ما يحتاجه عباده بنفس دليل النبوة حرفاً بحرف لذا أنزل جبرائيل على النبي (ص) بقوله تعالى : يا ايها الرسول بلغ ... الخ ، بعدما أعلمه مراراً قبل هذا لكن لا بهذا اللسان من الحتم والوعيد وكان نزولها يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة بغدير خم في حجة الوداع وقد تكثرت الأخبار في ذلك حتى من طرق الجماعة ، ونكتفي بما ذكره الحافظ محمد بن جرير الطبري في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير عن زيد بن ارقم قال : لما نزل النبي (ص) بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع وكان وقت الضحى وحر شديد .

وفي رواية اخرى اتاه جبرئيل (ع) على خمس ساعات مضت من النهار ، وقال : يا ايها الرسول بلغ ... الخ ، وكان اوائل القوم وهم مائة الف او يزيدون قريباً من الجحفة فأمر (ص) ان يرد من تقدم منهم ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان والحكمة في تعيينه انه مفرق الطرق فأراد سبحانه ان يبلغ الكل لاتمام الحجة فأمر (ص) بالدوحات فقمت (١) ونادى (ص) الصلاة جامعة وهذه هي الجهة الثانية من البحث فخطب خطبة بالغة ومن كلماته فيها :

يوشك ان أدعى فأجيب ثم قال (ص) : إن الله أنزل إلي بلغ ... الخ . وأمرني ان اقوم في هذا المشهد وأعلم كل ابيض واسود ان علي بن ابي طالب (ع) اخي ووصيي وخليفتي والامام بعدي ، فسألت جبرئيل ان يستعفي لي من ربي لعلمي بقلة المتقين وكثرة المؤذين لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي وشدة إقبالي عليه حتى سموني أذنا فقال تعالى : ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون : هو أذن قل أذن خير لكم .

ولو شئت ان اسميهم وأدل عليهم لفعلت ولكني بسترهم قد تكرمت .

وفي بعض الروايات ان النبي (ص) خاف من قومه النكث عند نزول آية

(١) أي كسح الشوك من تحتها .

التبليغ والغدر به باختلاسه حتى قال (ص) : يا رب فكيف أفعل وإنما انا وحدي فنزلت الآية : والله يعصمك من الناس ، فاطمأن قلبه وكان يحرس ففرق الحرس عند ذلك وكان من جملة الحراس سعد وحذيفة .

ثم قال (ص) : فلم يرض ربي إلا بتبليغي فيه فاعلموا معاشر الناس فان الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً فرض طاعته على كل احد ماض حكمه جائز قوله : ملعون من خالفه مرحوم من صدقه ، اسمعوا وأطيعوا فان الله مولاكم وعلي إمامكم .

ثم الامامة في ولده من صلبه إلى يوم القيامة لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله وهم (١) فما من علم إلا وقد احصاه فيّ ونقلنه اليه فلاتضلوا عنه ولاتستنكفوا منه فهوالذي يهدي الى الحق ويعمل به لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له حتما على الله ان يفعل ذلك ان يعذبه عذاباً نكراً أبد الآبدين فهو افضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق ملعون من خالفه قولي عن جبرئيل عن الله فلتنظر نفس ما قدمت لغد افهموا محكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه ولن يفسر ذلك لكم إلا من انا آخذ بيده وشائل بعضده ومعلمكم ان من كنت مولاه فعلي مولاه وموالاته من الله عز وجل انزلها علي ألا وقد أديت ألا وقد بلغت ألا وقد أسمعت ألا وقد أوضحت ، لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره ، ثم رفعه الى السماء حتى صارت رجله (ع) مع ركبة النبي (ص) فقال : إن إبليس اخرج آدم من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد فلا تحسدوا فتحبط اعمالكم وتزل أقدامكم .

في علي نزلت سورة والعصر ... الخ ، معاشر الناس سيكون بعدي أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وان الله وانا بريئان منهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار وسيجعلونها ملكا اغتصاباً فعندها يفرغ لكم

(١) أي الذرية عليهم السلام

ايها الثقلان ويرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ، الحديث .

وفي رواية انه (ص) نصب علي بن ابي طالب (ع) خليفة بأمر الله في غدير خم ورفعه حتى بان بياض ابطيه « لأنه كان الناس يومئذ عليهم مئزر ورداء لشدة الحر ، فلذا لما رفعه (ص) انحسر الرداء فبان للناس بياض ابطه (ص) ونادى له بالولاية وقال : ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا : بلى يا رسول الله قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .

فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ يابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة .

وكان اكثر الناس يومئذ ولاء لأمير المؤمنين عليه السلام « لأنه سمع في خطبة النبي (ص) ولو شئت لسميتهم » .

ولما تعينت الخلافة الكبرى لملوكية الاسلام بعهد من الله ورسوله الى علي ابن ابي طالب (ع) كان من الحري تتويجه بما هو شارة الملوك وسمة الأمراء ولما كانت التيجان المكللة بالذهب والمرصعة بالجواهر من عادات ملوك الفرس ولم يكن للعرب بدل منها إلا العمائم ، وكان لا يلبسها إلا العظماء والأشراف منهم ، ولذلك جاء عن رسول الله (ص) قوله : العمائم تيجان العرب ، فعلى هذا الأساس عممه رسول الله (ص) في هذا اليوم بهيئة خاصة تعرب عن العظمة والجلال وتوجه بيده الكريمة بعمامته (السحاب) في ذلك المحتشد العظيم .

وفي عدة من الروايات ومن طرق العامة ايضاً ان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً يوم غدير خم فعممه بعمامته السحاب وسدل طرفها على منكبه ومن خلفه ، ثم قال (ص) : أدبر فأدبر ثم قال له : أقبل فأقبل ، ثم أقبل (ص) على اصحابه فقال : هكذا تكون تيجان الملائكة ، ان الله عز وجل أيدني في يوم بدر

وحنين بملائكة معتمين هذه العمة فعند ذلك نزل قوله تعالى : اليوم اكملت لكم دينكم ... الخ ، ومعناه ان نصب علي (ع) هو آخر فريضة فرضها الله على عباده وأتممت عليكم نعمتي بولاية علي امير المؤمنين (ع) لأنها من افضل النعم على البشر حيث ان النعمة الروحانية وهي العلم افضل من النعم المادية وهي عنده (ع) ، لأنه معدن العلم وباب مدينة العلم إلى غير ذلك مما لا ينكره حتى العدو ، ورضيت لكم الاسلام ديناً ، اي على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه ، ديناً اي طاعة منكم لي ، والفائدة في هذا ان الله لم يزل يعرف نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه في درجات الاسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة حتى اكمل لهم شرائعه وبلغ بهم أقصى مراتبه ودرجاته ، فقال : ورضيت لكم الحال التي أنتم عليها اليوم ووصلتم اليها فالزموها ولا تفارقوها فانها هي الكفيلة لنظم امور كم في الدنيا وسعادتكم الأبدية في الآخرة .

واما الجهة الثالثة وهي ما تعقب ذلك ، فهو نزول قوله تعالى : سأل سائل بعذاب واقع ... الخ ، أذعنت الشيعة بأن نزولها في الغدير ، وقد روى ذلك الكثير من علماء العامة ايضاً ، فقد ذكر الحافظ ابو عبيد الهروي من علماء السنة في تفسيره غريب القرآن ، قال : لما بلغ رسول الله (ص) في غدير خم مابلغ وشاع ذلك في البلاد أتى جابر بن النضر بن كلدة العبدري (وقد قتل امير المؤمنين والده النضر صبراً بأمر رسول الله لما أسر يوم بدر الكبرى) وقيل : إنه الحارث بن النعمان الفهري فقال : يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك .

وفي رواية حتى نصبت هذا الغلام ، ففضلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أم من الله ؟ فقال رسول الله (ص) : والذي لا إله

إلا هو ان هذا من الله ، فولى جابر يريد راحلته وهو يقول : اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم ، فما وصل اليها حتى رماه بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع ... الخ .

واما الجهة الرابعة وهي ثواب الأعمال فيه فقد ذكر في كتاب الغدير (١) في المصباح للطوسي عن داود الرقي عن ابي هارون عمار بن حريز العبدي قال : دخلت على ابي عبدالله (ع) في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة فوجدته صائماً فقال لي : هذا يوم عظيم عظم الله حرمته على المؤمنين واكمل لهم فيه الدين وتمم عليهم النعمة وجدد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق فقيل له : ما ثواب صوم هذا اليوم ؟ قال : إنه يوم عيد وفرح وسرور ويوم صوم شكراً لله وان صومه يعدل ستين شهراً من أشهر الحرم .

وعن ابي عبدالله (ع) صيام يوم الغدير يعدل عند الله في كل عام مائة حجة ومائة عمرة مبرورات متقبلات ، وهو عيد الله الأكبر . وقد ذكر العلماء استحباب صومه في رسائلهم .

وفي الصفحة نفسها ، ان رسول الله (ص) أوصى امير المؤمنين (ع) ان يتخذوا ذلك اليوم عيداً . وكذلك كانت تفعل الأنبياء ، يوصون اوصياءهم بذلك فيتخذونه عيداً . وفيه (٢) عن الفياض بن محمد بن عمر الطوسي وقد بلغ التسعين انه شهد ابا الحسن الرضا (ع) في يوم الغدير وبحضرته جماعة من خاصته وقد احتبسهم للافطار ، وقد قدم الى منازلهم الطعام والبر والصلاة والكسوة حتى الخواتيم والنعال ، وقد غير من أحوالهم وأحوال حاشيته وجددت لهم آلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتذالها قبل يومه وهو يذكر فضل اليوم وقدمه . فيه (٣)

(١) ج ١ ص ٢٨٦ . (٢) ص ٢٨٧ . (٣) ص ٢٨٤ .

ايضاً خطب امير المؤمنين (ع) في سنة في يوم عيد الغدير ومما قال فيها : عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم وبالبر باخوانكم والشكر لله عزوجل على مامنحكم واجمعوا يجمع الله شملكم وتباروا يصل الله إلفتكم وتهادوا نعمة الله كما من عليكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله او بعده إلا في مثله والبر فيه يثمر المال ويزيد في العمر والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه ، وهيئوا لاخوانكم وعيالكم عن فضله بالجهد من وجودكم ، وبما في القدرة من استطاعتكم ، وأظهروا البشر فيما بينكم والسرور في ملاقاتكم ... الخ .

وعن الصادق (عليه السلام) من صلى فيه ركعتين من قبل ان تزول الشمس بنصف ساعة شكراً لله تعالى يقرأ في كل واحدة منهما الحمد مرة والتوحيد وآية الكرسي والقدر عشراً عشراً ، وفي نسخة ، تقديم القدر على آية الكرسي ، عدلت مائة الف حجة ومائة الف عمرة ، وما سأل الله تعالى من حوائج الدنيا والآخرة كائنة ما كانت إلا أتى الله على قضائها في يسر وعافية وهذه الصلاة بعينها واردة في الواحد والعشرين من ذي الحجة ايضاً والرابع والعشرين منه وهو يوم المباهلة .

واما قوله تعالى : « وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بظنين » (١) ... الخ .

روى علي بن ابراهيم في تفسير هذه الآية بسنده عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال ابو بصير : قلت له (ع) : قوله تعالى : وما صاحبكم بمجنون ، قال عليه السلام يعني النبي (ص) : ما هو بمجنون في نصبه امير المومنين (عليه السلام) علماً للناس قلت : قوله تعالى : وما هو على الغيب بظنين ، قال (ع) : ما هو تبارك وتعالى على نبيه بغيبه بظنين عليه - اي بخيل - قلت : « وما هو بقول

(١) من كتاب البراعة الجزء (٦) ص ١٩١ من سورة التكوير .

شيطان رجيم» قال الكهنة الذين كانوا في قريش فنسب كلامهم إلى كلام الشيطان الذي كان يتكلم على ألسنتهم قلت : « فأين تذهبون ان هو إلا ذكر للعالمين » قال (ع) : اين تذهبون في علي (ع) يعني ولايته اين تفرون منها ، ان هو إلا ذكر للعالمين قد أخذ الله الميثاق ولايته قلت : « لمن شاء منكم ان يستقيم » قال (عليه السلام) : في طاعة علي والأئمة من بعده (عليهم السلام) « ومن كلام امير المؤمنين (ع) فانى تؤفكون » اي تصرفون عن عبادة الله الى عبادة غيره وتقلبون عن طريق الهدى إلى سمت الضلالة والردى .

واما قوله تعالى : ولقد رآه بالأفق المبين ، فقد ذكر الطبرسي في معناه اي ولقد رأى محمد (ص) جبرئيل (ع) على صورته التي خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق ، وذلك لصفاء نفسيته صلى الله عليه وآله وسلم وتبلور ذاتيته وتجرده عن الماديات ، لذا يتأتى له رؤية الروحانيات من الملائكة وغيرها ببصره وإلا فبصر ابن آدم قاصر عن إبصار المجردات

وذكر ايضاً في معنى قوله تعالى : ظنين انها ان قرئت بالظاء ، فالمعنى ان النبي (ص) ليس بمتهم فيما يؤدي عن الله تعالى ، وان قرئت بالضاد فمعناه ليس ببخيل ان يعلم الناس كما علمه الله تعالى ، وعلى تفسير علي بن ابراهيم يكون المعنى ان الله تعالى ليس ببخيل على نبيه ان يظهره على غيبه .

ويمكن ان يقال في قوله تعالى : فأين تذهبون ، ان معناه إنا جمعناكم هذا المجمع في يوم الغدير رغم محاولتكم ان لا يعم التبليغ وان يكون في المدينة مثلا كي يتفرق الجمع عند مفرق الطرق « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » او أن المعنى على فرض تمامية مكركم واغتصابكم الخلافة فأين تذهبون يوم القيامة والعرض عليه سلام الله عليه والاحتياج اليه في عدة من المواقف فلابد من ورودكم عليه سواء عند الاحتضار او عند مساءلة منكر ونكير او عند الحوض

يوم العطش الأكبر او عند الصراط ، وعلى كل ذلك شواهد وأدلة من الأحاديث والأخبار المفصلة فعليك بمراجعتها وان العبد لا يجوز على الصراط إلا بجواز منه عليه السلام .

ففي كتاب غاية المرام من طريق العامة بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكا ان يسعر النيران السبع وأمر رضوان ان يزخرف الجنان الثمان ويقول : يا ميكائيل مد الصراط على متن جهنم ويقول : يا جبرائيل انصب ميزان العدل تحت العرش وينادي يا محمد قرب أمتك للحساب ثم يأمر الله تعالى ان يعقد على الصراط سبع قناطر طول كل قنطرة سبعة عشر الف فرسخ وعلى كل قنطرة سبعون الف ملك قيام فيسألون هذه الأمة نساءهم ورجالهم على القنطرة الأولى عن ولاية امير المؤمنين (ع) وحب اهل بيت محمد (ص) فمن أتى به جاز على القنطرة الأولى كالبرق الخاطف ، ومن لم يحب اهل بيت نبيه سقط على أم رأسه في قعر جهنم ، ولو كان معه من اعمال البر مثل عمل سبعين صديقاً .

وعلى القنطرة الثانية فيسألون عن الصلاة وعلى القنطرة الثالثة عن الزكاة وعلى الرابعة عن الصيام وعلى الخامسة عن الحج وعلى السادسة عن الجهاد وعلى السابعة عن العدل ، فمن أتى بشيء من ذلك جاز على الصراط كالبرق الخاطف ومن لم يأت عذب ، وذلك قوله تعالى : وقفوهم انهم مسؤلون ، اي عن ولاية علي وحب اهل البيت .

كما قد ورد في معنى قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم ، هما صراطان صراط في الدنيا وهو ولاؤهم دون إفراط وتفريط وصراط في الآخرة ، ومن جاز صراط الدنيا جاز صراط الآخرة .

وقال الصدوق : والصراط اسم حجج الله فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم اعطاه

الله جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنم قال (رض) : وقال رسول الله لعلي يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وانت وجبرئيل على الصراط ولا يجوز على الصراط احد إلا من كان معه براءة بولايتك .

وقال المفيد (رض) : الصراط بمعنى الطريق ولذلك يقال على ولاية امير المؤمنين والأئمة من ذريته الصراط لكونها طريق النجاة .

وقد ورد ايضاً لا تزول قدم في يوم القيامة حتى يسأل عن ثلاث : عن عمره فيم افناه . وعن ماله ممن اكتسبه وفيم انفقه ، وعن حبنا اهل البيت .

وبعد هذا كله حق ان يقال فأين تذهبون من ولايته (ع) إضافة إلى أليم العذاب وشديد العقاب الذي أعده الله تعالى لظالميه وغاصبيه ، بل قد ظلموا الأمة كلها باضلالها عن الحق وإمالتها عن الطريق المستوي الذي لو سلكوه لانتظموا في دنياهم وسعدوا في أخراهم باحرازهم لرضا ربهم .

القرآن يتابع البيان

قال الله تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » (١) .

النزول قال في مجمع البيان بسنده المفصل : بينما عبدالله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول : قال رسول الله (ص) : إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله إلا قال الرجل قال رسول الله (ص) فقال ابن عباس سألتك بالله من انت ؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال : ايها الناس من عرفني فقد

(١) سورة المائدة الآية ١٦٠ .

عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله (ص) بهاتين وإلا فصمتا ، ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول : علي قائد البررة وقاتل الكفرة ومنصور من نصره ومخذول من خذله ، أما اني صليت مع رسول الله (ص) يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللهم اني أشهد اني سألت في مسجد رسول الله (ص) فلم يعطني احد شيئاً وكان علي راكعاً فأومأ بخنصره اليمنى اليه ، وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خنصره ، وكان ذلك بعين رسول الله (ص) ، فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم ان اخي موسى سألك فقال : رب اشرح لي صدري ويسرلي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما .

اللهم وانا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسرلي امري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري قال ابو ذر : فوالله ما استتم رسول الله (ص) الكلمة حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله يا محمد إقرأ قال : وما أقرأ ؟ قال : إقرأ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ... الخ .

وذكر ايضاً بهذا المضمون من طريق آخر وبسند آخر ، وبالجملة فعليه إجماع اهل البيت والامامية إضافة الى اكثر علماء السنة ايضاً .

ومعنى الآية ان الله تعالى بين ان من له الولاية على الخلق والقيام بأمورهم ومن تجب طاعته عليهم بقوله تعالى : إنما وليكم الله ، اي ان الذي يتولى مصالحكم وتدبير امركم هو الله ورسوله والذين آمنوا لا على الاطلاق ، بل الموصوفين والمقيدين باقامة الصلاة بشرائطها وحدودها وإيتاء الزكاة في حال الركوع وان

هذه الآية من اوضح الأدلة على إمامة علي امير المؤمنين (ع) بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدون فصل لمن له اقل دراية بقواعد العربية وفن البلاغة ويكاد ان يكون انفهامه منها فطرياً وطبيعياً .

وقد ذكر المخالفون ان المراد من الولاية في الآية المحبة والولاء لعلي لا وجوب الطاعة وتولي امورهم ، لأن لفظ الولاية مشترك بعد ما لم يجدوا اي وجه لصرفها عنه (ع) .

ويرد ذلك ويبطله ان الحصر بانما لا معنى له على هذا ، لأن المحبة مطلوبة لكل المؤمنين بعضهم مع بعض لا تخص مؤمناً دون مؤمن كما قال سبحانه : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فلا يناسب التخصيص ، إلا ان يكون معنى الولاية هو وجوب الطاعة وهو معنى الامامة فيه (ع) .

وقد ذكروا ان يوم التصدق بالخاتم هو الخامس والعشرون من ذي الحجة واما التصدق على المسكين واليتيم والأسير ففي اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة وفيه نزلت سورة الدهر ، ومنها قوله تعالى : إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسروراً .

كما ان اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة هو يوم المباهلة ايضاً ، ونزل فيه ما يخص علياً وفاطمة والحسن والحسين .

علي نفس النبي محمد ﷺ

قال الله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (١) .

النزول قيل : نزلت في وفد نصارى نجران وهم العاقب والسيد ومن معهما فقالوا لرسول الله (ص) في احتجاجهم : هل رأيت ولداً من غير ذكر فنزل ان مثل عيسى ... الخ ، فقرأها عليهم ولما دعاهم إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك ، فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف : انظروا محمداً في غد فان غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته وان غدا بأصحابه فباهلوه فانه على غير شيء فلما كان الغد جاء النبي (ص) آخذاً بيد علي بن ابي طالب (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) بين يديه يمشيان وفاطمة (ع) تمشي خلفه .

وخرج النصارى يقدمهم اسقفهم فلما رأى النبي (ص) قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له : هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق اليه وهذان ابنا بنته من علي ، وهذه الجارية بنته فاطمة اعز الناس عليه وأقربهم الى قلبه ، وتقدم رسول الله (ص) فجثا على ركبتيه .

قال ابو حارثة الأسقف : عند ذلك جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة فكع ولم يقدم على المباهلة فقال له السيد : اقدم يا ابا حارثة للمباهلة فقال : لا لأني ارى رجلا جريئاً على المباهلة وأخاف ان يكون صادقاً ولئن كان صادقاً لم يحل والله

(١) سورة آل عمران الآية ٥٣ .

علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الأسقف : يا ابا القاسم إنا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ننهض به فصالحهم رسول الله (ص) على الفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة اربعون درهماً فما زاد او نقص فعلى حساب ذلك ، وعلى عارية ثلاثين درعاً وثلاثين رمحاً وثلاثين فرساً ان كان باليمن كيد ورسول الله (ص) ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتاباً .

وروي ان الأسقف قال لهم : إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة .

وقال النبي (ص) : والذي نفسي بيده لولا عنوني لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم الوادي عليهم ناراً ، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا الى النبي (ص) وقد اهدى العاقب له (ص) حلة وعصا وقدحاً ونعلين وأسلما .

معنى الآية الكريمة

إن الله تعالى رد على النصارى قولهم إن المسيح هو ابن الله حيث لم يلده ذكر فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، اي في خلقه من غير أب ومن غير أم ايضاً فهو ابدع واعجب من خلق عيسى لأنه من ام فكيف انكروا هذا وأقروا بذاك فقال سبحانه خلقه ، اي أنشأه من تراب ، اي آدم ولم يخلق احداً قبله من تراب ومعناه انه تعالى خلق عيسى من الريح إلى قوله تعالى : فلا تكن ، اي ايها السامع من الممترين ، اي المشككين والمفترين حيث قد وضح الأمر وقامت الحجة فلا ينبغي العناد فمن حاجك ، اي يا محمد وخاصمك وجادلك فيه ، اي في أمر

عيسى (ع) من بعد ما جاءك من العلم ، اي من البرهان الواضح على انه عبدي ورسولي لا ولدي فقل يا محمد لهؤلاء النصارى تعالوا إلى كلمة ، اي إلى حجة أخرى ماضية فاصلة بين الحق والباطل وتبين الصادق من الكاذب ندع ابناءنا . الخ فقد أجمع المفسرون على ان المراد بأبنائنا الحسن والحسين (ع) وهذا يدل على ان ولد البنت ولد ولا يمنع صغرهما عن المباهلة لشبهة ان المباهلة تكليف وهما غير مكلفين ، لأن عدم البلوغ حد الحلم لا ينافي كمال العقل ، وإنما جعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية ، وعندنا نحن الامامية يجوز ان يخرق الله العادات للأئمة عليهم السلام ويخصهم بما لا يشركهم به غيرهم إبانة لهم عمن سواهم ودلالة على مكانتهم من الله تعالى واختصاصهم بما نزهوا به انفسهم واخلصوا له بطاعتهم

ومما يؤيده قول النبي (ص) ابناي هذان إمامان قاما او قعدا .

ونساءنا اتفقوا ايضاً على ان المراد به فاطمة (ع) لأنه لم يحضر من النساء المباهلة غيرها ، وهذا يدل على تفضيلها على جميع النساء بدون استثناء ويعضده ما جاء عن النبي (ص) فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها .

وقال (ص) : إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها .

وعن حذيفة قال سمعت النبي (ص) يقول : أتاني ملك فبشرني ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ونساء أمتي .

وعن عائشة قالت أسر النبي (ص) إلى فاطمة شيئاً فضحكت فسألتها فقالت قال : ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الأمة ونساء المؤمنين فضحكت لذلك إلى قوله تعالى : وأنفسنا - يعني علياً خاصة - ولا يجوز ان يكون المعنى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هو الداعي ولا يكون الانسان يدعو نفسه وإنما يصح ان يدعو غيره وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه (ص) إلى حيث لا يبلغه أحد إذ جعله الله تعالى نفس الرسول (ص) وجعل الله لا يرد

ومما يعضده ما صح عن النبي (ص) انه سأله بعض اصحابه في اثناء حديث له فقال له : فعلي فأجابه فقال (ص) : سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي وقوله (ص) لبريدة : لا تبغض علياً فانه مني وانا منه ، ان الناس خلقوا من شجر شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة . وقوله (ص) بأحد وقد ظهرت نكايته عليه السلام في المشركين ووقايته له بنفسه وقد فر عنه اصحابه حتى قال جبرئيل : إن هذه هي المواساة ، فقال (ص) : يا جبرئيل انه مني وانا منه ، فقال جبرئيل : وانا منكما الى قوله تعالى ثم نبتهل ، اي نتضرع في الدعاء ، وقيل : نلتعن فنقول لعن الله الكاذب ، فامتناعهم دليل علمهم بصدق النبي (ص) وإقدام النبي (ص) بأولاده وأعز الخلق عليه ، دليل علمه بنزول العذاب عليهم ، فهو من معاجزه وعلمه بالمغيبات .

وإلى هنا فقد جرى القلم بما لم يكن مقصوداً ، لأنه غني عن البيان ولنختم به الفصل الأول ليكن ختامه مسك .

الفصل الثاني في الصوم

قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

المعنى يا ايها المصدقون بالله وبرسوله وبكتابه .

وروي عن الصادق (ع) انه قال : لذة مافي النداء ازال تعب العبادة والعناء وقال الحسن البصري : إذا سمعت الله عز وجل يقول : يا ايها الذين آمنوا فارع لها سمعك فانها لأمر تؤمر به او لنهي تنهى عنه .

وأقول : بل ان فيها نوع اختصاص وان الله تعالى يمتز بالمؤمنين ويخصهم بخيره وتكاليفه ويجعلهم قدوة ونموذجاً لسائر عباده وعامة خلقه ، لأنهم الممتثلون وهم المحققون لارادته حيث علموا بصحيح إيمانهم به جل شأنه ان ذلك يعود بالنفع عليهم وانه الغني على الاطلاق ، فكأنهم بنسبتهم إلى ملوكيته الجبارة وسلطنته القهارة الحرس الخاص لشرعه ، والفوج الفدوي لدينه والقوة المرصودة لتنفيذ أحكامه ، فهل يبقى بعد هذا عذر لمن يدعي الايمان ، وقد خرق مسامعه صدى هذا النداء من رب الأرض والسماء يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ان لا يسارع إلى الامتثال والتدليل على انه من الذين آمنوا . وإذا اضفنا الى ذلك فلسفة التشريع ومافيه من النفع الوسيع سواء كان مما يؤل إلى نظمنا في الدنيا او سعادتنا في الآخرة كما سيأتي فيكون الأمر ألزم وحكم العقل أتم .

ونعود إلى معنى الآية فقوله تعالى : كتب عليكم ، اي فرض عليكم هذه العبادة بشروطها المعروفة في الشرع كما كتب على الذين من قبلكم ، وفي معناه اقوال احدها انه تعالى شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الأمم ، اي كتب عليكم صيام ايام كما كتب عليهم صيام ايام دون نظر إلى العدد ولا إلى الوقت عن ابي مسلم والجبائي .

ثانيها ان معنى التشبيه انه فرض علينا صوم شهر رمضان كما فرض على النصارى صوم شهر رمضان ايضاً ، وكان يتفق في الحر الشديد والبرد الشديد فحولوه إلى الربيع وزادوا في عدده عن الشعبي والحسن ، وقيل : كان الصوم علينا

من العتمة إلى العتمة ثم اختلفوا فقال بعضهم : كان يحرم الطعام والشراب من وقت صلاة العتمة إلى وقت صلاة العتمة وقال بعضهم : كان يحرم من وقت النوم إلى وقت النوم ، ثم نسخ ذلك .

فالمراد بقوله تعالى : الذين من قبلكم النصارى على قول الشعبي والحسن واهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرهما .

ففي قصص الأنبياء (١) ان نفراً من اليهود سألوا النبي (ص) قالوا : لأي شيء فرض الله الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض الله على آدم اكثر من ذلك قال (ص) : لما أكل آدم من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً وفرض الله على ذريته ثلاثين الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضل من الله عز وجل عليهم وكذلك كان على آدم ، ثم تلا رسول الله (ص) كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم .

وفيه ايضاً بسنده عن ابي عبدالله (ع) ان موسى سأل ربه ان يجمع بينه وبين آدم فجمع فقال له موسى : يا أبة ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكة وأمرك ان لا تأكل من الشجرة فلم عصيته ؟ قال : يا موسى بكم وجدت قبل خلقي في التوراة قال : بثلاثين سنة قال : فهو نسلك قال الصادق عليه السلام فحج آدم موسى (ع) .

القرآن الكريم يشير الى فلسفة الصوم

من فقرات الآية قوله تعالى : لعلكم تتقون ، اي لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم وقيل: لتكونوا اتقياء بما لطف لكم في الصيام ، فانه اقوى الوسائل والوصل

(١) للجزائري ص ٤٧ من خبر طويل .

إلى الكف عن المعاصي كما روي عن النبي (ص) انه قال : خصاء أمتي الصوم لأن بعض الرهبان كانوا يخصون انفسهم وذلك محرم في شرع الاسلام ، فالصوم بمنزلة الخصاء في تأدية الفائدة المطلوبة منه وهي كسر الشهوة عن النفس وتذليلها وخشوعها وخضوعها ، ولم ينقطع النسل الذي هو المطلوب من الخلقة في الصوم كما ينقطع في الخصاء .

وقال (ص) : الصوم جنة من النار ، اي من العقاب ووقاية من النار في يوم الحساب ، وإنما خص الصوم بهذا مع ان سائر العبادات كذلك لكونه اشد وقاية من غيره ببيان ان استحقاق العقاب بالقرب من الشيطان والاطاعة له وللنفس الأمارة وبقوة القرب وضعفه يتفاوت العقاب شدة وضعفاً وبكثرة الطاعة وقلتها يختلف العذاب زيادة ونقصاً وسبيل الشيطان على الانسان ووسيلته اليه هي الشهوات وقوة الشهوات بالأكل والشرب ، فبالجوع والعطش بسبب الصوم تضعف الشهوة وتنكسر صولة النفس وينسد سبيل الشيطان وينجو الانسان من العقوبة والخذلان كما قال رسول الله (ص) : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع .

وقال (ص) لعائشة : أديمي قرع باب الجنة قالت : بما ذا ؟ قال (ص) : بالجوع ، وان السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه كما ان الشقاوة كلها في ان تملكه نفسه كما انك لا تملك الدابة الجموح إلا بضعف الجوع ، فاذا شبعت قويت وشردت ، فكذلك النفس ، ولذا قيل : الجوع خزانة من خزائن الله تعالى ، فقد اتضح بذلك كون الصوم جنة من النار ووقاية من غضب الجبار ، وان فيه من إذلال النفس وقهر إبليس وكسر الشهوات ما ليس في سائر العبادات .

ففي الكافي والفقيه عن النبي (ص) انه قال لأصحابه : ألا أخبركم بشيء ان انتم فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما تباعد المشرق من المغرب ، قال : بلى

يا رسول الله ، قال (ص) : الصوم يسوّد وجهه والصدقة تكسر ظهره والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطع دابره والاستغفار يقطع وتينه ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام .

وفيها ايضاً عن ابي عبدالله (ع) اوحى الله إلى موسى (ع) ما يمنعك من مناجاتي فقال : يا رب أجلك عن المناجاة لخلوق فم الصائم فأوحى الله اليه يا موسى لخلوق فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك .

وعنه (ع) من صام لله يوماً في شدة الحر فأصابه ظمأ وكل الله به الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى إذا افطر قال الله عز وجل : ما اطيب ريحك وروحك يا ملائكتي اشهدوا اني قد غفرت له .

واما قوله تعالى في مقام آخر : الصوم لي وانا اجزي به فتخصيصه بذلك مع ان سائر العبادات ايضاً له تعالى فيحتمل ان الصوم لم يعبد به غيره بخلاف الركوع والسجود وغيرها من العبادات فقد عبدوا بها الشمس والصنم وغيرها كما انه يحتمل لجهة بعد الصوم عن شبهة الرياء ، لأنه خفي يكون بين الصائم وبين ربه بخلاف غيره من العبادات .

وسأل هشام ابا عبدالله (ع) عن علة الصيام فقال (ع) : فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير ، وذلك لأن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فأراد الله سبحانه ان يذيق الغني من الجوع ليرق على الضعيف ويرحم الجائع وأقول : ولعله فيه تذكار على جوع يوم القيامة ، لأن ضعفاء يوم القيامة هم قليلوا العمل فليتباعد الصائم لما يجد من ألم الجوع عن ان يكون بعمله القليل ضعيفاً وجائعاً في يوم القيامة .

ومن فضله فقد ذكر في الوسائل عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطها الله أمة نبي

قبلي إذا كان اول يوم منه نظر الله لهم فاذا نظر الله عز وجل إلى شيء لم يعذبه بعدها ، وخلوق افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح المسك ، ويستغفر لهم الملائكة كل يوم وليلة منه ، ويأمر الله عز وجل جنته فيقول : تزيني لعبادي المؤمنين يوشك ان يستريحوا من نصب الدنيا وأذاها إلى جنتي وكرامتي ، فاذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعاً .

وقال (ص) : رجب شهر الله الأصب وشهر شعبان تتشعب فيه الخيرات وفي اول يوم من شهر رمضان تغل المردة من الشياطين ويغفر في كل ليلة منه لسبعين الفاً ، فاذا كان ليلة القدر غفر الله لمثل ما غفر في رجب وشعبان ورمضان إلى ذلك اليوم إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء فيقول الله عز وجل : انظروا هؤلاء حتى يصطلحوا .

وعن علي بن الحسين (ع) ان لله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار سبعين الف الف عتيق من النار كل قد استوجب النار فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق مثل ما اعتق في جميعه .

وعن الصادق (ع) قال : حدثني ابي عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث قال : من صام شهر رمضان وحفظ فرجه ولسانه وكف أذاه عن الناس غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر واعتقه من النار وادخله دار القرار وقبل شفاعته بعدد رمل عالج من مذنبي اهل التوحيد

وإن افضل الصوم ما صامت فيه الجوارح قال رسول الله (ص) لامرأة سمعها تسب جارية لها وهي صائمة بعد ان دعا (ص) بطعام فقال لها : كلي فقالت : إني صائمة قال : كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك ، ان الصوم ليس من الطعام والشراب .

ومن المعلوم ان ذلك إرشاد منه (ص) إلى الحصول على فوائد الصوم التي

تقدمت لا ان اصل الصحة يتوقف على ذلك . بل كماله وان لا يقتصر الصائم في صومه على قصد إسقاط التكليف فقط وقال ابو عبدالله (ع) إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ، ودع المراء وأذى الخادم ، وليكن عليك وقار الصيام ، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك . وان افضل الصوم ما صامت فيه الجوارح ، فلا ينظر بطرفه ما حرم الله لما روي ان النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه .

وقال رسول الله (ص) : ما من عبد صالح يشتم فيقول : إني صائم سلام عليك لا أشتمك كما تشتمني ، ألا قال الرب تبارك وتعالى : استجار عبدي بالصوم من شر عبدي وقد أجرته من النار .

وفي قصص الأنبياء (١) مما ناجى به موسى ربه قال : إلهي ما جزاء من صام شهر رمضان لك محتسباً ؟ قال : يا موسى أقيمه يوم القيامة مقاماً لا يخاف فيه قال : فما جزاء من صام شهر رمضان يريد به الناس ؟ قال : يا موسى ثوابه كثواب من لم يصمه .

وفي الخصائص (٢) قال النبي (ص) في جواب سؤال اليهودي : فما جزاء من صام الثلاثين يوماً ؟ قال (ص) : ما من مؤمن يصوم يوماً من شهر رمضان حاسباً محتسباً إلا اوجب الله له سبع خصال : اولها يذوب الحرام من جسده ، ثانيها يتقرب إلى رحمة الله ، ثالثها يكفر خطيئته ألا تعلم ان الكفارات في الصوم تكفر ، رابعها يهون عليه سكرات الموت ، خامسها أمنه الله من الجوع والعطش يوم القيامة ، سادسها براءة من النار ، سابعها أطعمه الله من طيبات الجنة .

وقال (ص) : نوم الصائم فيه عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف ، وقال رسول الله (ص) : من صام من شهر رمضان يوماً خرج من ذنوبه

(١) للجزائري ص ٣٤٧ . (٢) ص ٣٨

كيوم ولدته أمه ، فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حي لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ما اجتنب الكبائر ومن عطش نفسه في يوم شديد الحر في الدنيا كان حقاً على الله ان يرويه يوم القيامة .

وقال (ص) : إن لكل صائم دعوة فاذا اراد ان تقبل فليقل عند إفطاره يا واسع المغفرة اغفر لي .

وقال (ص) : لو يعلم الناس ما في شهر رمضان من الخير لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها ، ولو أذن الله للسموات والأرض ان تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة .

وعن النبي (ص) انه من صام شهر رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

وعنه (ص) ان للصائم فرحتين فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه ، وقد ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى : كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية (١) انها ايام الصوم حيث تركوا فيها الأكل والشرب .

آثار الصوم

قال رسول الله (ص) : من صام من كل شهر ثلاثاً كان كمن صام الدهر كله وهي ليال البيض .

في كتاب قصص الأنبياء (٢) عن ابن مسعود سئل عن ايام البيض ما سببها قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : إن آدم لما عصى ربه عز وجل ناداه مناد من لدن العرش يا آدم اخرج من جواري فانه لا يجاورني أحد عصاني فبكى

(١) سورة الحاقة الآية ٢٥ . (٢) للجزائري ص ٥٠ .

وبكت الملائكة فبعث الله جبرئيل فأهبطه إلى الأرض مسوداً ، فلما رأته الملائكة ضجت وبكت وانتحبت وقالت : يا رب خلقاً خلقته ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك فبذنب واحد حولت بياضه سواداً فنادى مناد من السماء صم لربك اليوم فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر فذهب ثلث السواد ثم نودي يوم الرابع عشر ان صم لربك فصام فذهب ثلثا السواد ، ثم نودي في يوم الخامس عشر بالصيام فصام وقد ذهب السواد كله فسميت ايام البيض الذي رد الله فيها على آدم من بياضه .

ثم نادى مناد من السماء يا آدم هـذه الثلاثة ايام جعلتها لك ولولدك من صامها في كل شهر فانما صام الدهر ، ثم قال : فأصبح آدم وله لحية سوداء كالحمم فصرف يده اليها فقال : يا رب ما هذه ؟ فقال : هذه اللحية زينتك بها انت وذكور ولدك إلى يوم القيامة .

الرسول الاعظم ينور الامة تمهيدا للصيام

روى الحسن بن محبوب عن ابي ايوب عن ابي الورد عن ابي جعفر (ع) قال : خطب رسول الله (ص) الناس في آخر جمعة من شعبان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (ص) : أيها الناس انه قد أظلكم شهر فيه ليلة هي خير من الف شهر وهو شهر رمضان فرض الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلاة كمن تطوع بصلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضة من فرائض الله فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه من فرائض الله كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ، وهو شهر الصبر وان الصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة ، وهو شهر يزيد الله فيه من رزق

المؤمنين ، ومن فطر فيه مؤمناً صائماً كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى .

وقيل له : يا رسول الله ليس كلنا نقدر ان نفطر صائماً ، قال : إن الله كريم يعطي هذا الثواب من لم يقدر منكم إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائماً او شربة من ماء عذب او تميرات لا يقدر على اكثر من ذلك ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله عليه حسابه وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره إجابة والعتق من النار .

ولاغنى بكم فيه عن اربع خصال خصلتين ترضون الله بهما وخصلتين لاغنى لكم عنهما ، فأما اللتان ترضون الله بهما فشهادة ان لا إله إلا الله واني رسول الله ، واما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله فيه حوائجكم والجنة وتسألون الله فيه العافية وتتعوذون به من النار .

وفي رواية سلمان فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا إله إلا الله وتستغفرونه ، واما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتتعوذون به من النار .

ومن بعض خطبته (ص) ايها الناس ان ابواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فاسألوا ربكم ان لا يغلقها عليكم وابواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم ان لا يفتحها عليكم والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم ان لا يسلطها عليكم ، ايها الناس من حسن خلقه في هذا الشهر كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام .

وقال (ص) : إن انفسكم مرهونة ففكوها باستغفاركم .

وروي ايضاً ان تسبيحة واحدة في شهر رمضان افضل من الف تسبيحة في غيره .

التهديد لتارك صومه

ان ما مضى كان من طريق الوعد والترغيب على جاري العادة من الرب الرؤف بعبده في ترغيبه على الاقبال على ما يعلم سبحانه فيه الصلاح له ، ثم يعود عليه من جهة الحث والدفع لذلك الفعل المعلوم نفعه والمحكم صلاحه بطريق الوعيد والتهديد حرصاً منه جل شأنه على إحراز عبده لتلك المنفعة المودوعة من قبله عز وجل في ذلك الفعل ، ونكتفي من ذلك بما روي عن النبي (ص) انه قال : من افطر يوماً من شهر رمضان من غير رخصة لم يقض عنه صيام الدهر .

وما روي عنه (ص) ايضاً ان من لم يغفر له في شهر رمضان لم يغفر له في غيره إلى غير ذلك مما يعطي للنبيه أهمية شهر رمضان وعظيم أجر الصائم فيه وما اودع الكريم فيه لعباده من أنواع الخير وجليل النفع .

ونعود إلى معاني الآية ومن فقراتها قوله تعالى : أياماً معدودات ، اي معلومات محصورات مضبوطات ، ويجوز ان يريد سبحانه انها قلائل كما قال تعالى دراهم معدودة ، اي فلا تستثقلوها ترغيباً منه للعباد .

واختلف في هذه الأيام على قولين احدهما انها غير شهر رمضان وكانت ثلاثة ايام من كل شهر ، ثم نسخ عن معاذ وعطا وابن عباس ، وروي ثلاثة من كل شهر وصوم عاشوراء عن قتادة ، ثم قيل : إنه كان تطوعاً ، وقيل : بل كان واجباً ، واتفق هؤلاء على ان ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان .

ثانيهما ان المعدودات شهر رمضان ، وهذا ايضاً عن ابن عباس واختاره الجبائي وابو مسلم ، وعليه اكثر المفسرين قالوا : اوجب سبحانه الصوم أولا فأجمله ولم يبين انه يوم او يومان أم اكثر ، ثم بين انه أيام معدودات وأبهم ، ثم

بينه بقوله شهر رمضان ... الخ ، فذلكة وتمهيد للبيان وهذا يعد من البلاغة بمكان

ثم قال سبحانه تسهيلا على العباد : فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام أخر عطف قوله على سفر وهو ظرف على قوله مريضاً وهو اسم مع ان الظرف لا يعطف على الاسم ، لأن الظرف بمعنى الاسم وتقديره ، فمن كان منكم مريضاً او مسافراً ، فالذي ينوب مناب صومه عدة من أيام أخر وفيه دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الافطار ، لأنه سبحانه اوجب القضاء بقوله : فعدة من ايام أخر بنفس السفر والمرض ولو كان رخصة كما قيل لقال سبحانه : فافطر فعدة من ايام أخر ، لأن القضاء لا يجب على المسافر إلا إذا اختار الافطار بناء على الرخصة ، اما إذا اختار الصيام فلا قضاء والحال انه تعالى اوجب عليه العدة بنفس كونه مسافراً على الاطلاق ، اي افطر أم لم يفطر .

وقد ذهب من العامة جماعة من الصحابة إلى وجوب الافطار في السفر كما هو مذهب جميع الامامية كعمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير ، وهو المروي عن اهل البيت عليهم السلام ، فقد روي ان عمر بن الخطاب أمر رجلا صام في السفر ان يعيد صومه .

وروى يوسف بن الحكم قال : سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال : أرأيت لو تصدقت على رجل صدقة فردها عليك ألا تغضب فانها صدقة من الله تصدق بها عليكم .

وروي عن ابي عبدالله (ع) انه قال : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر

وعنه (ع) قال : لو ان رجلا مات صائماً في السفر لما صليت عليه .

وعنه (ع) قال : من سافر أفطر وقصر إلا ان يكون سفره إلى صيد أو معصية .

وروى عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله (ص) : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر .

وروى العياشي باسناده مرفوعاً إلى محمد بن مسلم عن ابي عبدالله (ع) قال : لم يكن رسول الله (ص) يصوم في السفر تطوعاً ولا فريضة منذ نزلت هذه الآية بكراع الغميم عند صلاة الهجير فدعا رسول الله (ص) باناء فيه ماء فشرب وأمر الناس ان يفطروا فقال قوم : قد توجه النهار لو تممنا يومنا هذا فسماهم رسول الله العصاة فلم يزالوا يسمون بهذا الاسم حتى قبض رسول الله (ص) .

ثم قال تعالى : وعلى الذين يطيقونه فدية .

مرجع الضمير في يطيقونه فيه قولان احدهما إلى الصوم وهو عند اكثر اهل العلم ، ومعناه ان الله تعالى خير المطيقين للصوم من الناس بين ان يصوموا ولا يكفروا وبين ان يفطروا ويكفروا عن كل يوم باطعام مسكين ، لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم في بدء التشريع ، ثم نسخ ذلك بقوله : فمن شهد منكم الشهر فليصمه .

ثانيهما ان الضمير يعود إلى الفداء ، واما المعنى بقوله : الذين يطيقونه ففيه ثلاثة أقوال أولها انه سائر الناس كما قدمنا من التخيير أولا ثم النسخ ، لأن الذي لا يطيق لا فداء عليه بمقتضى القول بالتخيير .

ثانيها ان هذه الرخصة كانت للحوامل والمراضع والشيخ الفاني ، ثم نسخ من الآية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير .

ثالثها ان معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه ، ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه .

وقد رواه بعض اصحابنا عن ابي عبدالله (ع) وان معناه وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم اصابهم كبر او عطاش وشبه ذلك فعليهم بكل يوم مد .

وعن علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق (ع) من مرض في شهر رمضان فأفطر ثم صح فلم يقض مافاته حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه ان يقضي ويتصدق لكل يوم بمد من طعام .

واما معنى قوله تعالى : فمن تطوع خيراً فهو خير له ، قيل : إن معناه من أطعم اكثر من مسكين واحد ، وقيل : من أطعم المسكين الواحد اكثر من قدر الكفاية حتى يزيد على نصف الصاع ، وقيل : معناه عام اي من عمل براً في جميع الدين فهو خير له وأفضل ، وقيل : معناه من صام مع الفدية وجمع بينهما .

واما قوله تعالى : وان تصوموا خير لكم ، فمعناه اما ان يكون اي وصومكم خير لكم من الافطار والفدية ، وكان هذا مع جواز الفدية والافطار في زمن التخيير ، فأما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال الصوم خير من الفدية مع ان الافطار لا يجوز ، واما ان يكون معناه الصوم خير لمطيقه وأفضل ثواباً من التفكير لمن أفطر بالعجز .

ثم قال تعالى : إن كنتم تعلمون اي تعلمون افضل اعمالكم وتختارون أرجحها وزناً بالحسنات وتجعلونها رصيداً لكم كما ورد ان افضل الأعمال أحمزها

ثم قال سبحانه : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ... الخ قد بين تعالى انه خصه بتشريع الصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة وهو انه أنزل فيه القرآن الذي عليه مدار الدين وانه معجزة سيد المرسلين وهو منبع إيمان المؤمنين وهادياً للناس ودالا لهم على ما كلفوا به من العلوم فانه أحد الثقلين .

واما قوله تعالى : وبينات من الهدى ، اي دلالات من الهدى ، وقيل : المراد بالهدى الأول الهدى من الضلالة وبالهدى الثاني بيان الحلال والحرام وبعبارة أجلى ان الهدى الأول إلى العقائد والثاني إلى الأحكام .

وقيل : أراد تعالى بالأول ما كلف من العلم وبالثاني مايشتمل عليه من ذكر

الأنبياء وشرائعهم وأخبارهم ، لأنها لا تدرك إلا بالقرآن ، وقوله بعد ذلك : والفرقان اي انه مما يفرق به بين الحق والباطل .

وروي عن ابي عبدالله (ع) انه قال : المراد من القرآن جملة القرآن وبالفرقان المحكم منه الواجب العمل به .

ثم قال تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه فيه وجهان : الأول ان معناه من شهد منكم المصر وحضر ولم يغب في الشهر فليصم جميعه ، وهذا معنى ما رواه زرارة عن الباقر (ع) انه لما سئل عن هذه قال (ع) : ما أبينها لمن عقلها من شهد شهر رمضان فليصمه ، ومن سافر فيه فليفطر ، وعن ابن عباس وجماعة من المفسرين ان معنى من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه ان يصوم الشهر كله .

الوجه الثاني من شاهد منكم الشهر مقيما مكلفاً فليصم الشهر بعينه ، وهذا نسخ للتخيير أولا بينه وبين الفدية .

ثم قال تعالى : ومن كان منكم مريضاً ... الخ ، قد مضى تفسيره في صدر الآية يريد الله بكم اليسر ، اي في الرخصة للمريض والمسافر إذ لم يوجب عليهما الصوم ، وقيل : إن المراد عام وان الله تعالى يريد بعباده اليسر في جميع امورهم ثم قال مؤكداً ولا يريد بكم العسر ، اي التضييق والاحراج .

وهذا من اوضح البراهين على بطلان قول المجبرة بأن افعال العباد كلها بارادة الله تعالى ، ولذا نسبوا له الخير والشر ، لأنه قد بين بصريح قوله جل ذكره ان من افعال العباد ما يريده وهو اليسر ومن افعالهم ما لا يريده وهو العسر وإذا كان لا يريد العسر بهم فلأن لا يريد بهم تكليف ما لا يطاق أولى ويهون الأمر انه تعالى لهم بالمرصاد ومحاسب لهم على كل اقوالهم وما ينسبونه اليه جل شأنه من الأباطيل وإنا جميعاً عن قريب ذاهبون اليه شاخصون أمامه ونعم الحكم الله .

ثم قال تعالى : ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون

وهذا لطف منه آخر وإرشاد إلى ان افضل العبادات هو ان يعلم العبد الذي وفق لأداء فريضة من الفرائض كصيام شهر رمضان المبارك وإكمال عدته هو من فضل الله عليه وهدايته له . ولولا ذلك لكان مثل من عصى وهتك حرمة الشهر بافطاره وحمل وزره وخسر أجره فالتكبير لله تعالى بعد إكمال الصيام كاتمام للعمل وليكون على أفضل ختام ، ولعل المراد منه تكبير صلاة العيد ولعلكم تشكرون باعترافكم بنعمه تعالى عليكم وإظهارها كما ورد ان شكر النعمة إظهارها ومن فوائد شكرها دوامها وازديادها كما قال تعالى : ولئن شكرتم لأزيدنكم .

وإن الله تعالى قد ختم الشهر المبارك لعباده بجعل عيد لهم لفوائد فيه تعود عليهم ، ومن أهمها رفع الأحقاد ونبذ البغضاء والتقاطع وإبدالها في يوم العيد بالتواصل والتحابب والتعاطف ، لأن المسلم أخو المسلم والمؤمن عين المومن ومرآته ومهما كان بينهما من شيء ينبغي نبذه وطرحه إلى جانب في يوم العيد .

وقد ورد في الخبر انه إذا كان بين اثنين شيء فأيهما سبق إلى إرضاء الآخر كان سابقه إلى الجنة .

وليعتبر قيمة هذا السبق في اليوم الرهيب يوم يفر المرء من أخيه وأمه الخ بسبقك على غيرك في الخلاص من شدة من شدائد الدنيا ، وما قدر سعيك فيها وفرحك بتحقيقها ، فالسبق في ذلك اليوم يكون أشد فرحاً فالسعي لتحقيقه لابد وان يكون أعظم ، ومن مهمات تشريع عيد الفطر هو الانفاق فيه ومواساة الفقراء سواء بأداء الفريضة كالفطرة او غيرها من انواع البذل من الاطعام وغيره وان الانبساط والرأفة والحنان والفرح فيه يكون سائداً ومنتشراً على المسلمين ، وبذلك يكون اللطف والحنان سائداً علينا من رب العالمين والخلاصة انه جل شأنه لعامه بعدم خلونا من الذنوب والأحقاد المترسبة على القلوب قد أعد لغسلها عاملين

العامل الصغير اليومي وهو الصلاة اليومية ، وإذا كانت جماعة فأثرها أقوى كما تقدم انها كفارة للذنوب التي اكتسبها فيما بين الصلاتين ، والعامل الكبير وهو صلاة العيد لما فيها من عظيم الاجتماع واستماع الخطب وبليغ وعظها ، كما نعد نحن لغسل اوساخ ثيابنا عاملا صغيراً وهو البيتي مثلا وعاملا كبيراً فيما إذا تراكم الوسخ عليها وهو الفني مثلا .

فشهر رمضان بجميع مزاياه وما اودع في خلاياه خير فياض منتشر على كل العباد لا يحرم من جوده وخيره إلا الشقي فتراه يفيض بره حتى على من لم يصمه لعذره فيه ، فيقول الامام الصادق (ع) كما في الكافي : من فطر صائماً فله أجره والمراد مثل أجره ، وفيه ايضاً عن ابي جعفر (ع) إفطارك اخاك المسلم يعدل رقبة من ولد اسماعيل .

وفي التهذيب عن الصادق (ع) من فطر مؤمناً كان كفارة لذنبه إلى قابل ومن فطر اثنين كان حقاً على الله ان يدخله الجنة . وقد مر أمثاله في خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ويأتينا بلون آخر لاكتساب الخير من الشهر المبارك على لسان النبي (ص) فيقول : ليس من عبد يصلي في ليلة من شهر رمضان إلا كتب الله له بكل ركعة الفاً وخمسمائة ركعة وبنى له بيتاً في الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون الف باب لكل باب مصراعان من ذهب وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام .

ثم لم يرض سبحانه وتعالى لنفسه من الكرم بهذا فقط ، لأنه مبدأ الفيوضات فيعود على عباده بفتح باب عظيم النفع واسع الخير بعد قوله : ولعلكم تشكرون ، فيقول : وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا

دعان فليستجيبوا لي وليأمنوا بي لعلهم يرشدون (١) .

النزول روي ان سائلا سأل النبي (ص) أقريب ربنا فنناجيه ؟ أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية وقيل نزلت جواباً لقوم سألوا النبي (ص) كيف ندعو وعلى كل حال فانه تعالى لما ذكر الصوم عقبه بذكر الدعاء وبيان مكانته منه وإجابته إياه ، وانه حاضر لمن دعاه فقال : فاني قريب ، ودل بهذا على انه لا مكان له إذ لو كان له مكان لم يكن قريباً لكل من دعاه لتباعد الداعين في وقت واحد ، وان معناه سريع الاجابة إلى دعاء الداع ، لأن السريع والقريب متقاربان ، وقيل : إن معناه اني أسمع دعاء الداع كما يسمعه القريب المسافة منهم فجاءت لفظة قريب لحسن البيان ، واما قرب المسافة فلا يجوز عليه سبحانه ، لأن ذلك من صفات المحدثات وقوله تعالى : أجيب دعوة الداع إذا دعان ، واضح المعنى ، واما قوله تعالى : فليستجيبوا لي قيل في معناه : اي فليجيبوني فيما دعوتهم اليه ، وقيل : معناه فليذعنوا للحق بطلب الموافقة لما أمرتهم به ونهيتهم عنه وقيل : فليستجيبوا لي بالطاعة والكل متقارب وقيل : إن معناه فليدعوني .

وقد روي عن النبي (ص) انه قال : اعجز الناس من عجز عن الدعاء ، وأبخل الناس من بخل بالسلام وأجفا الناس من ذكر اسمي عنده فلم يصل علي وأسرق الناس من سرق من صلاته واكسل الناس العبد الصحيح الفارغ ولا يذكر الله بشفة ولا لسان .

واما قوله تعالى : وليأمنوا بي ، اي وليصدقوا بجميع ما أنزلته .

وروي عن ابي عبدالله (ع) انه قال في معناه : وليتحققوا اني قادر على إعطائهم ما سألوه ، فهل ترى كرماً من أحد كهذا وإرشاد من مشفق كدلالته تعالى على قدسي ذاته وقد ختم الآية بقوله : لعلهم يرشدون ، اي يصيبوا الحق

(١) سورة البقرة الآية ١٨٢ .

ويهتدون إلى طرقه المنصوبة من قبله جل شأنه ، لأن الرشد في اللغة ضد الغي .

ايضاح في رد شبهة

فلو قال القائل : نرى كثيراً من الناس يدعون فلا يجيبهم الله تعالى فأين هذا التعهد منه سبحانه .

فالجواب انه ليس أحد يدعو على مقتضى الحكمة وما توجبه المصلحة إلا أجابه عز وجل فيجب على الداعي ان يسأل بما له فيه صلاح ولايكون فيه المفسدة له ولا لغيره فالله يجيبه إذا اقتضت المصلحة إجابته او يؤخر الاجابة ان كانت المصلحة في التأخير .

ولو قال المعترض : إذا كانت الاجابة منوطة بالحكمة فمقتضاها لابد ان يفعله فما الفائدة في الدعاء حينئذ .

فالجواب أولا ان الدعاء في ذاته هو عبادة يعبد الله تعالى بها لما فيه من إظهار الخضوع والانقياد اليه والاعتراف بالحاجة لكرمه ورحمته ، وثانياً لايمتنع ان يكون مطلوبه ذا مصلحة بعد الدعاء ، وبسببه ولايكون ذا مصلحة قبله ففائدة الدعاء إحداث المصلحة في مطلوبه ، ويؤيده ما روي عن ابي سعيد الخدري قال: قال النبي (ص) : ما مسلم دعا الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه بها إحدى خصال ثلاث : اما ان يعجل له دعوته ، واما ان يؤخر له في الآخرة واما ان يدفع عنه من السوء مثله ، قالوا : يا رسول الله إذاً نكثر ، قال (ص) : الله اكثر ، وفي رواية انس بن مالك الله اكثر وأطيب ثلاث مرات ، فاذاً لابد من الاجابة .

وروي عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله (ص) : إن العبد ليدعو

الله وهو يحبه فيقول : يا جبرئيل لا تقضي لعبدي هذا حاجته وأخرها فاني احب ان لا أزال أسمع صوته وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول : يا جبرئيل اقض لعبدي هذا حاجته باخلاصه وعجلها فاني اكره ان اسمع صوته .

وروي عن امير المؤمنين (ع) انه قال : ربما أخرت عن العبد إجابة الدعاء ليكون اعظم لأجر السائل وأجزل لاعطاء الآمل .

وفي الكافي سأل الصادق (ع) بعض اصحابه عن قوله تعالى : ادعوني أستجب لكم ثم ندعو فلا نرى الاجابة ، فقال (ع) : أترى ان الله أخلف وعده قال : لا ، فقال (ع) : أما انكم لو أطعتموه ثم دعوتموه لأجابكم . وسأله ايضاً عن قوله تعالى : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ، قال : فأنفق فلا أرى خلفاً فقال : أترى ان الله أخلف وعده ؟ قال : لا ، فقال (ع) : لو كسبتم المال من حله ثم أنفقتموه في حقه لم ينفق رجل درهماً إلا أخلفه الله عليه . وفي الاحتجاج سأل الزنديق الصادق (ع) بمثل هذا فأجابه (ع) مايدعوه أحد إلا استجاب له ، اما الظالم فدعاؤه مردود حتى يتوب ، فانظر إلى غزارة علمهم وتفننهم في أجوبة الشبهات على حسب المقتضيات وملاحظة المناسبات والملتقى لأجوبتهم واحد رغم اختلافها ظاهراً تباً لمن سبب حرمان العباد من غزير علومهم وفياض دروسهم ، حيث قد بقي الكثير منه في مكنون صدورهم وقد قال امير المؤمنين (ع) مشيراً إلى صدره الشريف ان ههنا لعلماً جماً لو وجدت له حملة

وفي أمالي الشيخ إذا ظلم الرجل فظل يدعو على صاحبه قال الله تعالى : إن ههنا آخر يدعو عليك يزعم انك ظلمته فان شئت أجبتك وأجبته عليك وان شئت أخرتكما فيوسعكما عفوي .

وفي العدة ان الله اوحى إلى عيسى (ع) قل لظلمة بني إسرائيل اني لا أستجيب لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقي عندهم مظلمة .

وقيل لابراهيم بن أدهم : مابالنا ندعو الله فلا يستجيب لنا ؟ فقال : لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته ، وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه ، واكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ، وعرفتم النار فلم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم ، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس فتدعون فلا يستجاب لكم ، نعم كما قال لأن هذه الخصال تجعل اصحابها اناس ميتة قلوبهم والداعي والسائل انما يستجاب له إذا كان بقلب حي أترى ان لو سألك سكران ذاهب العقل حاجة فهل تجيبه وتعطيه او تعتبره كالميت وترى كل شيء تعطيه إياه عديم الفائدة وكأنما ألقيته في البحر .

الدعاء عبادة في حد ذاته

قد أشرنا قريباً إلى عبادية الدعاء في جواب شبهة عدم إجابة الدعاء والآن نبين السند لذلك .

ففي كتاب عيون اخبار الرضا (ع) (١) عن النبي (ص) انه قال : افضل العبادات الدعاء ، وإذا أذن للعبد في الدعا فتح له باب الرحمة ، انه لن يهلك مع الدعاء احد .

وعن معاوية بن عمار عن ابي عبدالله (ع) قال : قلت لأبي عبدالله في الرجلين افتتحا الصلاة في ساعة واحدة فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته اكثر من دعائه ودعا هذا فكان دعاؤه اكثر من تلاوته ثم انصرفا في ساعة واحدة أيهما افضل ؟ قال (ع) : كل فيه فضل وحسن ، قلت : إني اعلم ان كلا حسن وان كلا

(١) ج ٢ ص ٣٧ .

فيه فضل لـكن ايها افضل ؟ فقال (ع) : الدعاء افضل ، اما سمعت قول الله عز وجل : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين هي والله العبادة هي والله افضل أليست هي العبادة هي والله العبادة هي والله العبادة أليست هي أشدهن هي والله اشدهن هي والله اشدهن

فان في هذا التأكيد منه سلام الله عليه ما لا يخفى لرد الشبهة الشائعة من تفضيل التلاوة عندهم .

وفي نفس الكتاب قال رسول الله (ص : الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض .

وعنه (ص) افزعوا الى الله في حوائجكم والجأوا اليه في ملماتكم وتضرعوا اليه وادعوه فان الدعاء مخ العبادة وما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب له فاما ان يعجل له في الدنيا او يؤجل له في الآخرة ، واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بمأثم .

وفي الكافي عن ابي عبدالله (ع) هل تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قلنا لا ، قال (ع) : إذا ألهم احد الدعاء عند البلاء فاعلموا ان البلاء قصير .

وفيه عن ابي الحسن (ع) ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكا (١) ، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلا فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع الى الله عز وجل .

وفي حديث مرفوع قال رسول الله (ص) : رجلان كانا يعملان عملا واحداً يدخلان الجنة فيرى احدهما صاحبه فوقه فيقول : يا رب بما اعطيته وكان عملنا واحداً ؟ فيقول عز وجل : سألني ولم تسألني ، ثم قال (ص) : اسألوا الله

(١) أي سريعاً .

وأجزلوا فانه لا يتعاظمه شيء .

وعنه (ص) ليسألن الله او ليقضين عليكم ان لله عباداً يعملون فيعطيهم وآخرين يسألونه فيعطيهم ثم يجمعهم في الجنة فيقول الذين عملوا ربنا عملنا فأعطيتنا فبم اعطيت هؤلاء ؟ فيقول : عبادي اعطيتكم اجوركم ولم ألتكم (١) من اعمالكم شيئاً وسألني هؤلاء فأعطيتهم وهو فضلي أؤتيه من اشاء ، فيلحظ من هذا شبه التهديد لتارك الدعاء من النبي (ص) الرؤف حيث يخاف علينا ان يفوتنا السوم لأن الدنيا عمرها محدود وفيها العمل دون الحساب وفي الآخرة الحساب دون العمل فليكسب العاقل وعلى الأقل من كثرة الدعاء بالخير من الله لنفسه .

وعن الصادق (ع) انه قال لميسر بن عبدالعزيز : يا ميسر ادع الله ولا تقل ان الأمر قد فرغ منه ان عند الله منزلة لا تنال إلا بمسألة ، ولو ان عبداً سد فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً فاسأل تعط يا ميسر انه ليس باب يقرع إلا يوشك ان يفتح لصاحبه .

وعن يعقوب بن شعيب قال : سمعت ابا عبدالله (ع) يقول : إن الله اوحى الى آدم اني سأجمع لك الكلام في اربع كلمات قال : يا رب وما هن ؟ قال : واحدة لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس فقال آدم : بينهن لي يا رب ، فقال الله تعالى : اما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً ، واما التي لك فأجزيك بعملك احوج ماتكون اليه ، واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ماترضى لنفسك

(١) أي أنقصكم .

آيات مشفعة بآيات ولاستجابة الدعاء كافلات

في كتاب دار السلام (١) عن الكشي في حاشية مصباحه ذكر صاحب الدلائل عن ابي الحسن محمد بن علي الشريف العلوي قال : اصابني هم وغم شديد حتى ضاق صدري وعيل صبري فرأيت جدي رسول الله (ص) في منامي فقال صلى الله عليه وآله وسلم لي : ما شأنك يا محمد ؟ قلت : هم وغم توالى علي من امور الدنيا وقد ذهب مالي وجاهي وكثر مع ذلك عيالي واصابني خلال ذلك خوف من السلطان وهو أعظم ما بي فقال (ص) : ألا أعلمك شيئاً من عزائم القرآن يرد الله عز اسمه بذلك عليك مالك وجاهك ويرد بها السلطان عنك ويزيل همك وغمك ويصلح شأن عيالك ، فقلت : نعم يا رسول الله فقال : اقرأ هذه الآيات وأجوبتها عند كل شدة فانه تعالى يجعل لك من أمرك مخرجاً ، ويكفيك امر الدنيا والآخرة ولا يقرؤها مهموم إلا فرج الله همه ولا محبوس إلا خلص قال : فانتبهت فقرات الآيات بعد صلواتي وإذا برسول السلطان يدعوني اليه وقال لي : لقد ارعبتني في منامي وأظنك دعوت علي والله ما يلحقك مني خوف ثم رد علي ما اخذ مني وزادني من ماله وقد لقيت ببركتها كل خير .

اما الآيات فالأولى الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون واما جوابها وكافل إجابتها قوله تعالى : اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون .

واما الثانية الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، واما جوابها على اثرها فانقلبوا بنعمة من

(١) ج ١ ص ٢٨٤ .

الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم .

الثالثة : وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا إله إلا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ، واما شفيعتها وجوابها فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين .

الرابعة : وايوب إذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين ، واما الكفيلة لها قوله تعالى : فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين .

الخامسة : وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ، واما جوابها قوله تعالى : فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب .

السادسة : والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، واما جوابها وكافلها فقوله تعالى : على اثرها اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين .

وفيه ايضاً (١) دعاء الجامع بتعليم من فاطمة الزهراء (ع) لبعض مواليها وهو اللهم قنعني بما رزقتني واسترني وعافني ابداً ما ابقيتني واغفر لي وارحمني اذا توفيتني ، اللهم لا تتعبني في طلب ما لم تقدره لي وما قدرت لي فاجعله سهلا يسيراً اللهم كاف عني والديّ وكل ذي نعمة علي اللهم فرغني لما خلقتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به ولا تعذبني وأنا استغفرك ولا تحرمني وأنا أسألك اللهم ذلل نفسي لي في نفسي وعظم شأنك في قلبي وألهمني طاعتك والعمل بما يرضيك والتجنب لما يسخطك يا ارحم الراحمين .

وبحكم العقل والوجدان حق ان يسمى بدعاء الجامع فانها سلام الله عليها

(١) ج ١ ص ٢٨٦ .

لم تبق شيئاً يخص العقيدة او العمل سواء كان للدنيا او للآخرة ألا وقد تعرضت له وطلبت من القادر المساعدة عليه مع إيجاز في كلماتها وبلاغة في تركيبها وفصاحة في ألفاظها وإطناب في معانيها وتوسع في حاجاتها وكثرة في مطالبها ومنشأ ذلك كله قول الرسول الأعظم : فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله كبه على منخريه في نار جهنم .

فحق إذاً للفرع ان ينمى الى الأصل وللبضعة ان تلتحق بالكل وهو القائل (ص) : أنا أفصح من نطق بالضاد ، هذا بلحاظ فصاحتها (ع) واما بلحاظ معرفتها بربها والتجائها اليه في حوائجها فهو القائل : يا علي ما عرف الله غير أنا وانت ، وما عرفني غير الله وانت ، وما عرفك غير الله وأنا فبضعته منه ومثله في معرفة الله تعالى فلقد فاز محبها ومتبع سيرتها وخاب وخسر مبغضها ومؤذيها والمنحرف عن طريقتها .

وعن ابي الحسن الرضا (ع) ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يتهم الله في قضائه ولا يستبطىء رزقه . ومعناه ان لا يقطع دعاءه ولا يمل مسألته .

اما الدعاء للمؤمنين واستثمار الداعي له

ففي خبر الخصال ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلا رد الله عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة مضى من اول الدهر او هو آت الى يوم القيامة وان العبد ليؤمر به الى النار يوم القيامة فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات : يا رب هذا الذي كان يدعو لنا فشفعنا فيه فيشفعهم الله عز وجل فيه فينجو .

وفي الأمالي عنه (ص) ما من مؤمن ولا مؤمنة مضى من اول الدهر

او هو آت الى يوم القيامة إلا وهم شفعاء لمن يقول في دعائه : اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات .

وفيه ايضاً عن النبي (ص) ما من عبد دعا للمؤمنين والمؤمنات بظهر الغيب إلا قال الملك ولك مثل ذلك .

وفيه عن ابي الحسن الأول (ع) من دعا لاخوانه من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وكل الله به ملكا عن كل مؤمن يدعو له .

وفيه عن الرضا (ع) ما من مؤمن يدعو للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إلا كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة منذ بعث الله آدم الى ان تقوم الساعة .

وذكر في الخصال انه اذا جاءك المؤمن في حاجة فان كان عندك ما تفرج به عنه ففرج عنه وإلا فادع له ، والأخبار في ذلك كثيرة وان الدعاء في حق المؤمن لا يرد وانه سبب لقضاء حاجة الداعي وانه يخرق الحجب السبع الى غير ذلك .

في صفة المؤمن وكرامته على الله تعالى

قال رسول الله (ص) في وصف المؤمن : العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه واللين أخوه والرفق والده .

وفي كتاب إرشاد القلوب حديث قدسي في وصف اهل الخير ان اهل الخير رقيقة وجوههم كثير حياؤهم قليل حمقهم كثير نفعهم قليل مكرهم ليس الناس منهم في تعب كلامهم موزون محاسبين لأنفسهم متعبين لا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم .

وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه المجيد مادحاً لهم ومطرياً عليهم حيث ذكروا اخوانهم المؤمنين بالدعاء لهم .

قال في سورة الحشر (١) : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم » . ومعنى الآية الذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار وهم التابعون إلى يوم القيامة ، وقيل: هم كل من اسلم بعد انقطاع الهجرة وبعد إيمان الأنصار والظاهر ان المراد الذين خلفوهم ويجوز ان يكون المراد من هم بعدهم بالفضل وقد يعبر بالقبل والبعد عن الفضل كقول النبي (ص) نحن الآخرون السابقون ، اي الآخرون في الزمان السابقون بالفضل فقد مدحهم ربهم حيث يدعون ويستغفرون لأنفسهم ولمن سبقهم بالايمان ثم قالوا مؤكدين إخلاصهم للمؤمنين ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، اي حقداً او غشاً وعداوة سألوا الله تعالى ان يزيل ذلك عن قلوبهم بلطفه لعلمهم بخبث النفس ، وانها الأمارة بالسوء فاستعانوا عليها بالطاف ربهم وقد احسنوا الدعاء للمؤمنين ولم يرسلوه إرسالا وطلبوا العصمة من الله عن إرادة السوء بالمؤمنين ، حيث علموا ان من ابغض مؤمناً وأراد به السوء لايمانه فهو كافر ، واذا كان لغير ذلك فهو فاسق فكيف بمن ابغض إمام زمانه واهل بيت نبيه ، وكاد لهم بكل كيد طمعاً في الدنيا الفانية وكل نفس بما كسبت رهينة . وقد عظم سبحانه شأن الداعين للمؤمنين وجعلهم القسم الثالث من عباده الصالحين وهم التابعون باحسان ، واما القسم الأول فهم المهاجرون وقد ذكرهم قبل هذا بقوله للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون (٢) . واما الأنصار فهم القسم الثاني وقد وصفهم على اثر ذلك بقوله تعالى : والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم (٣) اي من قبل المهاجرين يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ، اي حسداً وحزازة وغيظاً مما

(١) الآية ١٠ . (٢) و (٣) سورة الحشر الآية ٨ - ٩ .

أتوا ، اي مما اعطوا المهاجرون من الفيء حيث خصهم الله ورسوله بمال بني النضير دون الأنصار ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، اي ان الأنصار يعطون المهاجرين من اموالهم ويسكنونهم معهم في دورهم ولو كان بهم حاجة إلى المال ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، اي ومن يمنع عن نفسه البخل والشح فهو المفلح ، لأنهما من اعظم اسباب منع الحقوق الواجبة فضلا عن المستحبة وبدفعه عن نفسه فقد افلح بالانفاق .

وقد ذكرنا الآيات وبعض معانيها لتضمنها بعض صفات المؤمنين وحبهم لاخوانهم المؤمنين وشدة إخلاصهم لهم بالدعاء والبذل والايثار كل ذلك حيث علموا من تعاليم الاسلام فضل محبة المؤمن والدعاء له وإدخال السرور عليه وقد ورد في فضل إدخال السرور على المؤمنين إضافة إلى فضل الدعاء لهم مايبهر العقول وما هو إلا لكرامة المؤمن لأنه بايمانه الخالص الصحيح صار من خاصة الله تعالى وحزبه فحق عليه ان يعطيه تلك المنزلة ، لأنه العدل الكريم المحسن ، فلنذكر شيئاً من ذلك ثم نعود إلى موضوعنا من آية الصوم .

ففي الكافي عن رسول الله (ص) من سر مؤمناً فقد سرني ومن سرني فقد سر الله عز وجل .

وعن الباقر (ع) ما عبد الله بشيء احب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن . وفيه عن الصادق (ع) لا يرى احدكم إذا أدخل سروراً على مؤمن انه أدخله عليه فقط ، بل والله علينا ، بل والله على رسول الله (ص) . وفيه عنه عليه السلام من أدخل السرور على مؤمن فقد أدخله على رسول الله (ص) ومن أدخله على رسول الله فقد وصل ذلك الى الله ، وكذلك من أدخل عليه كرباً ، وفيه عنه (ع) من أحب الأعمال الى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمن وإشباع جوعته وتنفيس كربته او قضاء دينه .

وفي النهج عن امير المؤمنين (ع) ما من عبد اودع قلباً سروراً إلا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل عن حياضها .

وفي ثواب الأعمال عن ابي عبدالله (ع) من أسر امرئاً مؤمناً سره الله يوم القيامة وقيل له : تمن على ربك ما أحببت فقد كنت تحب ان تسر اوليائي في دار الدنيا فيعطى مايتمنى ويزيده الله مما عنده مالم يخطر على قلبه من نعيم الجنة

وفي كتاب رياض الأبرار عن ابي عبدالله الحسين (ع) انه قال صح عندي قول النبي (ص) : افضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه فاني رأيت غلاماً يواكل كلباً فقلت له في ذلك فقال : يابن رسول الله اني مغموم أطلب سروراً بسروره لأن صاحبي يهودي اريد مفارقته فأتى الحسين الى صاحبه بمائتي أدينار ثمناً له ، فقال اليهودي للحسين (ع) : الغلام فداء لخطاك وهذا البستان له ورددت عليك المال ، فقال (ع) : وأنا قد وهبت لك المال ، قال : قبلت المال ووهبته للغلام ، فقال الحسين (ع) : أعتقت الغلام ووهبت له الجميع فقالت امرأته : قد أسلمت ووهبت زوجي مهري ، فقال اليهودي : وأنا ايضاً قد أسلمت وأعطيتها هذه الدار .

وفي كتاب الاخوان عن الباقر (ع) فيما ناجى الله عبده موسى (ع) قال : إن عباداً أبيحهم جنتي وأحكمهم فيها قال : يا رب ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكمهم فيها قال : من أدخل على مؤمن سروراً .

وعن الرضا (ع) عن آبائه قال : اوحى الله الى داود (ع) ان العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأدخله الجنة قال : يا رب وما تلك الحسنة ؟ قال : يفرج عن المؤمن كربة ولو بتمرة ، فقال داود (ع) : حق لمن عرفك ان لا يقطع رجاءه منك .

وايضاً عنه (ع) من بهت مؤمناً او مؤمنة، او قال فيه ما ليس فيه أقامه الله يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قاله فيه. ويحتمل ان ذلك للتعجيز مثل قوله تعالى: حتى يلج الجمل في سم الخياط، لأن الآخرة ليست دار تكليف وتوبة. وفي الاختصاص (١) عن محمد بن جمهور قال: كان النجاشي وهو رجل من الدهاقين (٢) عاملا على الأهواز وفارس قال: فقال بعض اهل عمله لأبي عبدالله عليه السلام: إن في ديوان النجاشي علي خراجاً وهو ممن يدين بطاعتك فان رأيت ان تكتب اليه كتاباً، قال: فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم سر أخاك سرك الله، قال: فلما ورد عليه بالكتاب دخل عليه وهو في مجلسه، فلما خلا ناوله الكتاب وقال: هذا كتاب ابي عبدالله (ع) فقبله ووضعه على عينيه وقال له: ما حاجتك؟ قال: خراج علي في ديوانك، فقال له: كم هو؟ قال: عشرة آلاف درهم قال: فدعا كاتبه فأمره بأدائها عنه ثم أخرج منها (٣) فأمره ان يثبتها له من قابل ثم قال له: سررتك فقال له: نعم قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فقال له: هل سررتك؟ فقال: نعم جعلت فداك قال: ثم أمر له بمركب وجارية وغلام ثم أمر له بتخت ثياب وفي كل ذلك يقول له: هل سررتك فكلما قال له نعم زاده حتى فرغ.

ثم قال له: احمل فراش هذا البيت الذي كنت جالساً فيه حين دفعت إلي كتاب مولاي الذي ناولتني فيه وارفع إلي حوائجك قال: ففعل وخرج الرجل فصار الى ابي عبدالله (ع) بعد ذلك فحدثه بالحديث على جهته وجعل يسره بما فعل فقال له الرجل: يابن رسول الله كأنك قد سرك بما فعل بي فقال: اي والله لقد سر الله ورسوله.

---

(١) ص ٢٦٠. (٢) الدهاق رئيس القرية.

(٣) اى اخرج اسمه من دفاتر الديوان.

وعن سدير عنه (ع) قال : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى جعلني الله فداك قال أما انه ما كان من سلطان جور فيما مضى ولا يأتي بعد إلا ومعه ظهير من الله يدفع عن اوليائه (١) شرهم .

واما فضل زيارة المؤمن

فنكتفي بما ورد عن ابي عبدالله (ع) انه قال : استأذن ملك ربه ان ينزل الى الدنيا في صورة آدمي فأذن له فنزل فمر برجل على باب قوم يسأل عن رجل من اهل الدار فقال الملك : يا عبدالله اي شيء تريد من هذا الرجل الذي تطلبه قال : هو أخ لي في الاسلام أحببته في الله جئت لأسلم عليه قال : وما بينك وبينه رحم ماسة ولا يرغبنك اليه حاجة قال : لا إلا الحب في الله عز وجل جئت لأسلم عليه قال الملك : فاني رسول الله اليك وهو يقول : قد غفرت لك بحبك إياه في وعليك بمراجعة ما ذكرناه من خبر مالك الجهني عن ابي عبدالله (ع) من ملاقاة المؤمنين وتصافحهما وتحات الذنوب عنهما كتحات ورق الشجر الى غير ذلك وهو كثير .

هذا بعض قدر المؤمن عند الله وجلالته لديه وما اعطى لزائره وساره والداعي له فهل آن لنا ان نكسب الايمان به جل شأنه ونقوي عرى الاتصال به تعالى بحيث يكون إيماننا ركيزة اندفاعنا نحو كل خير ومكرمة ونفوز بسعادة الدنيا وراحة القلب إضافة الى ما سبق ، وان الايمان هو السبب الوحيد في الحصول على ما هو المطلوب لكل فرد من راحة القلب ، غير ان الطالبين لها قد طلبوها من غير مظانها . بل انهم تتبعوها من طرق اضدادها ولذا تراهم دائماً في

(١) أي عن أولياء الله شر الجائرين .

تعب وعناء وان اي واحد منهم يسأل هل انت مستريح القلب فيجيب بالعدم البات وبعكسهم المؤمن .

عودة الى صلب الموضوع

واما قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » (١) . وهي آخر آيات احكام الصيام ذكرها سبحانه على اثر الآية المتضمنة طلب الدعاء آنفة الذكر .

النزول

فقد روى علي بن ابراهيم بسند رفعه الى ابي عبدالله (ع) قال : كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم في بدء التشريع وكان النكاح محرماً ليلا ونهاراً في كل الشهر وكان رجل من اصحاب رسول الله (ص) يقال له مطعم ابن جبير أخو عبدالله بن جبير الموكل في واقعة أحد بفم الشعب من قبل رسول الله (ص) وقد هاجمه خالد بن الوليد لما رأى من تفرق اصحابه حيث رأوا المسلمين قد هزموا المشركين فصاروا مأمونين منهم ولم يعلموا بمكيدة خالد بن

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

الوليد وقد جاء برايته راية الشرك من خلف النبي (ص) بعدما قتل عبدالله بن جبير ومن بقي معه واوقع في المسلمين نكبة لا تنسى مدى الدهر عند من له شفقة على النبي (ص) والمسلمين .

ولما رأى المشركون راية قائدهم خالد منتصبة ومحاربة من وراء المسلمين تراجعوا من هزيمتهم وكان بذلك الالتفاف والتطويق بالنبي (ص) ومن بقي معه من خاصة المؤمنين وفي مقدمتهم علي بن ابي طالب (ع) حيث ان جل الصحابة قد انهزموا وفروا على وجوههم صاعدين على الجبل هناك .

إلى ان رد علي الكتائب عن وجه بن عمه رسول الله (ص) وبهذه الواقعة عجب جبرئيل من ذب علي عن النبي (ص) وقال : يا محمد ان هذه لهي المواساة فقال (ص) له : ما يمنعه وهو مني وأنا منه .

ثم تبع علي (ع) المنهزمين من المسلمين وفيهم اعيان الصحابة ووبخهم على فعلهم وهددهم بقوله (ع) : والله لأنتم اولى بالقتل من هؤلاء ، لأنهم قد نقضوا عهد الله الذي التزموه في أعناقهم عند بيعة رسوله من الذب عنه والتضحية بدمائهم فاما المشركون فلا بيعة له (ص) عليهم فحق لعلي (ع) ان يقول لهم : لأنتم احق بالقتل من هؤلاء ، ثم تراجع عنهم وعفا حيث ان العفو سجيتهم عليهم السلام كما قد عفا النبي (ص) ايضاً في هذه الواقعة لما رأى عمه حمزة اسد الله واسد رسوله قتيلا وقد مثلت به هند أم معاوية افظع تمثيل وكانت مع زوجها ابي سفيان مشجعة للمشركين ومؤلبة على النبي (ص) والمسلمين فاشتد حزنه (ص) على عمه فقال : لأمثلن بسبعين فنزلت عليه الآية « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (١) .

فقال (ص) : بل اصبر وعفا عنهم مع ظفره بهم .

(١) سورة النحل الآية ١٢٧ .

وعلى كل فنعود إلى مطعم بن جبير وقد كان شيخاً ضعيفاً وصائماً فأبطأت عليه اهله بالطعام فنام قبل ان يفطر ، فلما انتبه قال لأهله : قد حرم علي الأكل في هذه الليلة .

فلما اصبح حضر حفر الخندق وعمل فأغمي عليه من شدة الضعف فلما رآه النبي (ص) رق عليه وكذلك كان قوم من الشباب ينكحون سراً بالليل في شهر رمضان فأنزل الله تعالى هذه الآية :

« فأحل النكاح ليلا والأكل ولو كان بعد النوم إلى طلوع الفجر » .

واختلف العامة في اسمه فقال بعضهم : هو قيس بن صومه ، وقيل : ابن صرمه ، وقيل : أبو قيس بن صرمه ، وقيل : صرمه بن اياس ، وقال : هذا القائل جاء إلى رسول الله (ص) فقال : إني عملت في النخل نهاري اجمع حتى امسيت فأتيت اهلي لتطعمني فأبطأت فنمت فأيقظوني وقد حرم علي الأكل وقد امسيت وقد اجهدني الصوم .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله اعتذر اليك من مثله (١) رجعت بعدما صليت العشاء فأتيت امرأتي وقام رجال واعترفوا بمثل الذي سمعوا فنزلت الآية عن ابن عباس والسدي .

واما معنى الآية

فالرفث هو الجماع وقد روي عن ابي جعفر (ع) كراهية الجماع في اول ليلة من كل شهر إلا شهر رمضان فانه يستحب لمكان الآية .

(١) يظهر ان اعتذاره بعد مرور أيام كما قد ظهر انه قد جامع ونكح قبل نسخ الحكم وإلا فلا معنى للاعتذار .

وقال ابن عباس : الله حيي يكني بما شاء ان الرفث واللباس والمباشرة والافضاء هو الجماع .

واما معنى هن لباس لكم ... الخ ، اي سكن لكم وانتم سكن لهن كما قال سبحانه : وجعلنا الليل لباساً ، اي سكناً والمعنى تلابسونهن وتخالطونهن بالمساكنة اي قل ما يصبر احد الزوجين عن الآخر فهو يسكن اليه عندما يراه وقيل : جعل كل منهما لباساً للآخر لانضمام جسد كل بالأخر كاللباس ، ولعل المراد كل منهما ستر للآخر كاللباس في عدم الوقوع بالمعاصي من الزنا ومقدماته ، واما قوله تعالى : علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ... الخ ، لما كان سبحانه قد حرم عليهم الجماع في الليل والأكل بعد النوم وخالفوا في ذلك ذكرهم الله نعمته عليهم في الرخصة التي نسخت تلك التحريمة .

ومعنى تختانون ، اي تخونون انفسكم ولا تؤدوا الأمانة التي عهدت اليكم من الامتناع وحرمة المقاربة ، وقيل : إن معنى تختانون انفسكم تنقصون انفسكم من شهواتها وتمنعونها من لذاتها باجتناب ما نهيتم عنه فخففه الله عنكم ومن عليكم برفعه ونسخ حكمه فتاب عليكم ، اي قبل توبتكم عما صدر منكم ورخص لكم فالآن اي بعد النسخ باشروهن ، اي جامعوهن بالليل لفظه أمر ، ومعناه إباحة لأن الأمر عقيب الحظر للاباحة ، ثم قال تعالى : وابتغوا ما كتب الله لكم ، في معناه قولان الأول اي اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد وان يجامع الرجل بقصد ان يرزقه الله ولداً يعبده ويسبحه لا بقصد مجرد الشهوة ، وبذلك يكون مأجوراً على فعله ، وكذلك سائر المباحات حتى الأكل والنوم وغيرها ينبغي ان يقصد بها التقوى على طاعة الله تعالى والقيام ببعض العبادات فيكون مأجوراً على أكله ونومه وأمثالهما من المباحات .

الثاني ان معناه اطلبوا ما كتبه لكم من الحلال المبين في كتابه فان الله يحب

ان يؤخذ برخصه كما يجب ان يؤخذ بعزائمه لأنها كلها منوطة بالحكم والمصالح للعباد

وقيل : لما نزل قوله تعالى : كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، جاء عدي بن حاتم إلى رسول الله (ص) وقال : إني وضعت خيطاً ابيضاً وخيطاً اسوداً فلم اميز بينهما ولم يتبين الأسود من الأبيض فضحك رسول الله (ص) . والمراد منه الخط الأبيض المعترض على طول الأفق .

عودة الى أصل الموضوع

اعني فضل الصيام وما اودع فيه الملك العلام من عظيم الخير وواسع الكسب للأنام فخصه بليلة القدر وإنزال القرآن فيها تعظيما لشأنها وتكريماً لشهر رمضان بالفضائل التي فيها .

قال الله تعالى : إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر .

في فضل قراءة سورة القدر

عن النبي (ص) من قرأها اعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيى ليلة القدر

وعن ابي عبدالله (ع) من قرأها في فريضة نادى مناد يا عبدالله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل .

وعن ابي جعفر (ع) قال : من قرأ سورة القدر جهراً كان كشاهر في سبيل الله ، ومن قرأها سراً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله ، ومن قرأها عشر مرات

مرت على نحو الف ذنب من ذنوبه . وفي كتاب دار السلام (١) بسنده عن ابي عبدالله (ع) من قرأ سورة إنا انزلناه احدى عشر مرة عند منامه وكل الله به احد عشر ملكا يحفظونه من كل شيطان رجيم حتى يصبح .

وعن الباقر (ع) من قرأها حين ينام احدى عشر مرة خلق الله له نوراً سعته سعة الهواء عرضاً وطولا ممتداً من قرار الهواء الى حجب النور فوق العرش وفي كل درجة منه الف ملك لكل ملك الف لسان لكل لسان الف لغة يستغفرون لقارئها . وعنه (ع) من قرأها حين ينام وحين يستيقظ ملأ اللوح المحفوظ ثوابه وعنه (ع) ابى الله ان ينام قاريها حتى يحفه بألف ملك يحفظونه حتى يصبح وبألف ملك حتى يمسي .

وعن الجواد (ع) انه من قرأ القدر في كل يوم ستاً وسبعين مرة خلق الله له الف ملك يكتبون ثوابها ستة وثلاثين الف عام ويضاعف الله استغفارهم له الفي سنة الف مرة (٢) .

وتوظيف قراءتها في سبعة اوقات (الأول) سبع مرات بعد طلوع الفجر قبل صلاة الصبح ليصلي عليه الملائكة ستة ايام (الثاني) عشراً بعد صلاة الغداة ليكون في ضمان الله الى المساء (الثالث) عشراً اذا زالت الشمس قبل النافلة لينظر الله اليه ويفتح له ابواب السماء (الرابع) احدى وعشرين بعد نوافل الزوال ليخلق الله تعالى له منها بيتاً طوله ثمانون ذراعاً وكذا عرضه ، وستون ذراعاً سمكه وحشوه ملائكة يستغفرون له الى يوم القيامة ويضاعف الله استغفارهم الفي سنة الف مرة (الخامس) عشراً بعد العصر لتمر على مثل اعمال الخلائق يوماً (السادس) سبعاً بعد العشاء ليكون في ضمان الله الى ان يصبح (السابع) احدى عشر مرة حين يأوي الى فراشه ليخلق الله منها ملكا راحته اكبر من سبع سموات

(١) ج ٣ ص ٩٦ . (٢) في نفس المصدر السابق .

وسبع ارضين في كل ذرة من جسده شعرة تنطق كل شعرة بقوة الثقلين يستغفرون لقاريها الى يوم القيامة .

وذكر الكليني في باب شأن إنا انزلناه اخباراً كثيرة وطويلة .

وفي الاختصاص للمفيد (رض) (١) قد ورد في تفسير حروف أبجد إن الحاء من حطي حطوط الخطايا عن المستغفرين في ليلة القدر وما نزل به جبرئيل مع الملائكة الى مطلع الفجر .

كيفية أنزال القرآن فيها والاقوال في ذلك

قال ابن عباس : انزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم كان ينزله جبرئيل على محمد (ص) نجوماً وكان من اوله الى آخره ثلاث وعشرون سنة .

وقال الشعبي : معناه إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر .

وقال مقاتل : انزله من اللوح المحفوظ الى السفرة وهم الكتبة من الملائكة في السماء الدنيا وكان ينزل ليلة القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبرئيل على النبي (ص) في السنة كلها إلى مثلها في القابل ، وقيل : إنه كان ينزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج اليه في تلك السنة جملة واحدة .

وروى الثعلبي عن ابي ذر الغفاري عن النبي (ص) انه قال : انزلت صحف ابراهيم (ع) لثلاث مضين من شهر رمضان . وفي رواية الواحدي في اول ليلة منه ، وانزل توراة موسى (ع) لست مضين من شهر رمضان وانزل انجيل عيسى (ع) لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وانزل زبور داود (ع)

(١) في حاشية ص ٤٤ .

لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد (ص) لأربع وعشرين من شهر رمضان وهذا بعينه رواه العياشي عن ابي عبدالله (ع) عن آبائه عن النبي (ص) .

والكلام في ليلة القدر على ثلاثة ضروب

(الضرب الأول) في معنى لفظة القدر فقيل : إن معناه ان الله يحكم فيها ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها من كل أمر ، وهي الليلة المباركة في قوله تعالى إنا انزلناه في ليلة مباركة فالقدر بمعني القضاء .

فعن ابي جعفر (ع) يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل من خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل ورزق فما قدر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم ولله فيه المشية .

وعن ابن عباس انه تعالى كان يقضي القضايا في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر . وقيل : إن معنى ليلة القدر ليلة الشرف وعظم الشأن كقوله تعالى : وما قدروه حق قدره ، اي ما عظموه حق تعظيمه . وقيل سميت ليلة القدر لأن انزل فيها كتاب ذو قدر على نبي ذي قدر الى أمة ذات قدر على يد ملك ذي قدر . وقيل : لأن الله قدر فيها إنزال القرآن . وقيل : لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة من قوله تعالى : ومن قدر عليه رزقه ، اي ضيق .

(الضرب الثاني) في تعيينها فقيل : إنها كانت على عهد رسول الله (ص) ثم رفعت ويرد هذا القول الرواية عن ابي ذر انه قال : قلت : يا رسول الله ليلة القدر شيء يكون على عهد الأنبياء ينزل فيها فاذا قبضوا رفعت قال (ص) : لا بل هي الى يوم القيامة . وقيل : إنها في ليالي السنة كلها ومن علق طلاق زوجته على

ليلة القدر لم يقع الى مضي سنة وهو مذهب ابي حنيفة . وعن ابن مسعود انه قال : من يقم الحول كله يصبها فبلغ عبدالله بن عمر فقال : رحم الله ابا عبدالرحمن حيث علم انها في رمضان لكنه اراد ان لا يتكل الناس .

وجمهور العلماء على انها في رمضان ، ثم اختلفوا فقيل : إنها اول ليلة منه وقيل : سبع عشر منه والصحيح انها في العشر الأواخر منه لروايات تقول التمسوها في العشر الأواخر ، وكان النبي (ص) إذا دخل العشر الأواخر دأب وأدأب اهله وفي رواية ابي بصير ان رسول الله (ص) كان إذا دخل العشر الأواخر شد المئزر واجتنب النساء وأحيى الليل وتفرغ للعبادة . وهؤلاء بعد ان اجتمعوا على انها في العشر الأواخر اختلفوا ايضاً فقيل : انها احدى وعشرون ، وقيل : انها ثلاث وعشرون ، وانه جاء الى رسول الله رجل فقال : إني رأيت في النوم كان ليلة القدر هي ليلة سابعة تبقى فقال (ص) : ارى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن كان منكم ان يقوم شيئاً من الشهر فليقم ليلة ثلاث وعشرين . وقيل : إنها ليلة سبع وعشرين .

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه عن علي بن حمزة قال : كنت عند ابي عبدالله (ع) فقال له ابو بصير : جعلت فداك الليلة التي يرجى فيها ما يرجى اي ليلة هي ؟ فقال (ع) : هي احدى وعشرون وثلاث وعشرون قال : فان لم أقو عليها ؟ قال (ع) : ما أيسر ليلتين فيما تطلب قال : ربما يشك في الهلال فقال (ع) ما أيسر اربع ليال فيما تطلب ، قلت : جعلت فداك ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني قال (ع) : إن ذلك ليقال قلت : جعلت فداك ان سليمان بن خالد قال : إن في تسع عشرة يكتب وفد الحاج قال (ع) : يا ابا محمد وفد الحاج يكتب في ليلة القدر والمنايا والبلايا والأرزاق وما يكون الى مثلها من قابل فاطلبها فى احدى وثلاث وصل في كل منهما مائة ركعة وأحيهما ان استطعت الى النور قلت : فان لم

اقدر وانا قائم ، قال (ع): وانت جالس قلت : فان لم استطع قال : فعلى فراشك قلت : فان لم استطع ، قال (ع) : لا عليك ان تكتحل اول الليل شيئاً من النوم ان ابواب السماء تفتح في شهر رمضان وتصفد الشياطين وتقبل اعمال المؤمنين نعم الشهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله (ص) المرزوق .

وفي رواية انه قال : ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني وحديثه انه قال لرسول الله (ص) : إن بيتي ناء عن المدينة فمرني بليلة ادخل فيها فأمره بليلة ثلاث وعشرين واسم الجهني عبدالله بن انيس الأنصاري .

(الضرب الثالث) في بعض ما ورد من فضلها ، فعن النبي (ص) قال : إذا كانت ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى ومنهم جبرئيل فينزل ومعه ألوية ينصب منها لواء على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلم عليه إلا مدمن الخمر وآكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران . وعنه (ص) من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . وعنه (ص) قال : إن الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع فيها ان ينال احداً بخبل او داء او ضرب من ضروب الفساد ولا ينفث فيه سحر ساحر . وعنه (ص) انها ليلة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع .

واما قوله تعالى : وما أدراك ما ليلة القدر ، فهو تعظيم لشأنها وتنبيه لعظم قدرها وشرف محلها وقد اوضح سبحانه ذلك بقوله ليلة القدر خير من الف شهر اي ان القيام فيها والعمل افضل من قيام الف شهر ، ليس فيها ليلة قدر ولا صيام لما جعل فيها من الخير والبركة للعباد .

وذكر عطاء عن ابن عباس قال : ذكر لرسول الله (ص) ان رجلا من بني إسرائيل قد حمل السلاح على عنقه في سبيل الله الف شهر فعجب من ذلك

رسول الله (ص) عجباً شديداً وتمنى ان يكون ذلك في امته فقال : يا رب جعلت أمتي اقصر الناس اعماراً وأقلها اعمالا فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وقال : هي خير من الف شهر التي حمل الاسرائيلي فيها السلاح على عنقه في سبيل الله هي لك ولأمتك من بعدك الى يوم القيامة في كل رمضان فانظر الى مدى حبه (ص) الخير لأمته وشفقته عليهم ورغبته في ترفيع درجاتهم في التزود لدار بقائهم ولهذا بعينه ارشدهم الى حب اهل بيته وألزمهم بالأخذ عنهم وأوجب عليهم بأمر ربه طاعتهم كل ذلك لصالحهم ولسلوكهم الطريق المعبد الذي يوصلهم الى رضوان ربهم وسكنى جنان خلدهم .

ثم قال تعالى : تتنزل الملائكة والروح فيها فقد ذكر في معنى تتنزل الملائكة هل انهم كلهم ينزلون او بعضهم ؟ قيل بعضهم وقيل كلهم لظاهر قوله تعالى الملائكة المعرف باللام دون عهد فيفيد العموم وكذلك الخلاف في ان نزولهم الى السماء الدنيا او إلى الأرض وعلى كلا القولين فالمكان لا يسعهم إلا على سبيل التفاوت والنزول فوجاً فوجاً كالحجاج في دخولهم المناسك على كثرتهم ، ومن هنا فسر بعضهم معنى ليلة القدر بالضيق كما تقدم تقريبه ، وعلى كل فنزولهم قيل فيه ليسمعوا الثناء على الله تعالى وقراءة القرآن وغيرها من الأذكار وقيل ليسلموا على المسلمين باذن الله ، اي بأمر الله وقيل ينزلون بكل أمر عائد الى مصالح العباد في تلك السنة إلى سماء الدنيا حتى يعلم اهلها فيكون لطفاً لهم .

واما الروح فقيل : إنه جبرئيل ، وقال كعب ومقاتل الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر . وقيل : الروح هو الوحي كما قال تعالى : اوحينا اليك روحاً من أمرنا ومعناه تتنزل الملائكة ومعهم الوحي بتقدير الخيرات والمنافع .

ولكن الظاهر انه غير ذلك ، لأنه معطوف على الملائكة والعطف يقتضي

النغاير ، ويدل عليه ما روي عن الصادق (ع) قال : إن الروح اعظم من جبرئيل ان جبرئيل من الملائكة والروح خلق اعظم من الملائكة أليس يقول الله تعالى : تنزل الملائكة والروح (١) .

وفي شرح الصحيفة اتى رجل علي بن ابي طالب (ع) يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل ؟ فقال (ع) له : جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل ، فقال له الرجل : لقد قلت قولا عظيما ما احد يزعم ان الروح غير جبرئيل فقال له علي (ع) : إنك ضال تروي عن اهل الضلال يقول الله لنبيه (ص) : اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح (٢) والروح غير جبرئيل .

وعنه (ع) ايضاً ان له سبعين الف وجه ولكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من تسبيحه ملكا يطير مع الملائكة ولم يخلق الله اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبلع السموات السبع والأرضين السبع بلقمة واحدة لفعل فسبحان من هو على كل شيء قدير .

وقد ذكر ان الروح في يوم القيامة يقف صفاً وحده وباقي الملائكة كلهم صفاً في قباله واهل الجنة يمرون من بينهم احتراماً لهم وإجلالا وتعظيما .

ثم قال تعالى : باذن ربهم ، اي بأمر ربهم من كل امر ، اي بكل امر من الخير والبركة كقوله تعالى : يحفظونه من امر الله اي بأمر الله فمن بمعنى الباء وقيل : معناه بكل امر من اجل ورزق إلى مثلها من العام القابل سلام هي حتى مطلع الفجر اي ان هذه ليلة الى آخرها سلامة من الشرور والبلايا وآفات الشيطان وقيل : معناه سلام على اولياء الله واهل طاعته ، فكلما لقيتهم الملائكة في هذه

(١) يريد (ع) قضية العطف كما ذكرنا . (٢) سورة النحل الآية ٢ .

الليلة سلموا عليهم من الله تعالى . والحاصل ان السلامة والبركة والفضيلة في هذه الليلة يمتد وقتها إلى طلوع الفجر ولا يكون في ساعة منها فحسب ، بل يكون في جميعها والله اعلم بالصواب .

ولنختم فصل الصوم بالتيمن بما كان يخطب به الناس امير المؤمنين عليه السلام يوم عيد الفطر ونهاية الصيام .

ففي شرح نهج البلاغة (١) خطب امير المؤمنين (ع) في يوم الفطر ومن فقراتها ألا ان الدنيا قد تنكرت وأدبرت وأصولت وآذنت بوداع ألا وان الآخرة قد رحلت فأقبلت وأشرفت وآذنت باطلاع ألا وان المضمار اليوم والسباق غداً ألا وان السبقة الجنة والغاية النار ، أفلا تائب من خطيئته قبل يوم منيته ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه وفقره جعلنا الله وإياكم ممن يخافه فيرجو ثوابه ، ألا وان هذا اليوم يوم جعله الله لكم عيداً وجعلكم له اهلا فاذكروا الله يذكركم وادعوه يستجب لكم وأدوا فطرتكم فانها سنة نبيكم وفريضة واجبة من ربكم فليؤدها كل امرىء منكم عن نفسه وعن عياله كلهم ذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم وحرهم ومملوكهم عن كل إنسان منهم صاعاً من بر او صاعاً من تمر او صاعاً من شعير وأطيعوا الله فيما فرض عليكم وأمركم به من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحسان الى نسائكم وما ملكت أيمانكم وأطيعوا الله فيما نهاكم عنه من قذف المحصنة وإتيان الفاحشة وشرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان وشهادة الزور والفرار من الزحف عصمنا الله وإياكم بالتقوى وجعل الآخرة خيراً لنا ولكم من الأولى ان احسن الحديث وابلغ موعظة المتقين كتاب الله العزيز اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد .

(١) للخوئي ج ٤ ص ٢٥٠ .

فهرست الجزء الأول

من كتاب الآيات الساطعة

الصحيفة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	المدخل هوى النفس ومدى تأثيرها
٦	علاج النفس وأجر جهادها
١١	نتيجة إهمال النفس
	العقد الأول في توحيد الله تعالى
	وفيه فصول
١٣	الفصل الأول في معنى التوحيد
١٥	اجر كلمة التوحيد لقائلها
	الفصل الثاني
	في بعثة الأنبياء وحالهم في الدعوة
١٧	احوال شعيب وفصاحته في الارشاد
٢٠	موسى الكليم خادم لشعيب
٢١	بعثته الى قومه ونزول العذاب عليهم
٢٣	تعذيب فظيع لمن آمن به
٢٤	نوح (ع) وحالته في الدعوة
٢٥	غرق قومه ونجاته ومن معه بالسفينة
٢٦	ماهو المراد من التنور وفورانه بالماء

الصحيفة	الموضوع
٢٦	عدد الناجين وفلسفة نجاتهم
٢٧	الصمود على الايمان يسخر الجمادات
٢٨	قبس عن عدالة الباري يتجلى في نوح وابنه وفيه الفلسفة لعدم دخول المشرك الجنة
٢٩	نوح وإبليس في معركة بعيدة القعر
٣٠	الفلسفة في طهارة العصير بذهاب الثلثين
٣١	مقارنة بين نوح (ع) ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وفيها الفلسفة لجعله سيد المرسلين وانتخاب اهل بيته الطاهرين
٣٢	المصير الأخير لنوح (ع) وفيه العظة الشافية وفلسفة الوصية لولده سام دون اخويه
٣٣	هود في بعثته ومسلكه في دعوته
٣٤	آداب الأنبياء مع قومهم فى الدعوة
٣٥	القصة وفيها منزل عاد والمرحلة الأولى من عذابهم

الصحيفة	الموضوع
٣٦	الخلاصة وفيها انتصار الحق وان قل اهله على الباطل وان كثر اهله
٣٧	الاخلال بالنظام يوجب الانتقام
٣٨	الأئمة الأطهار يكشفون حقيقة الآثار
٣٩	الامام (ع) يبين الرياح المهلكة واسمائها من القرآن
٤٠	الفلسفة في قصص القرآن الكريم
٤١	الفلسفه في تنوع وسائل العذاب
٤٢	ابراهيم (ع) وأسباب اتخاذه خليلا وبعض خصائصه
٤٣	دعوته (ع) على العاصين وانتصار الله تعالى لهم والحكمة في الغض عنهم
٤٤	تدبير الله تعالى في رسله يغلب تدبير اعدائه
٤٥	التحقيق في آزر وفق المحافظة على كرامة الأنبياء
٤٦	الصادق (ع) يكشف ما اراه الله تعالى لابراهيم من الملكوت
٤٧	الكشف عن معنى قوله (ع) للكوكب والقمر والشمس هذا ربي على طبق مذهب الامامية من عصمة الأنبياء
٤٨	الوسامات الرفيعة منه تعالى للصامدين على الحق وعدم ضياع جهادهم
٤٩	الجواب عن شبهة لزوم الكذب لقوله (ع) بل فعله كبيرهم
٥٠	إفحام ابراهيم لقومه بالحجة من طريق الحس
٥١	الشبه الكامل في المبدأ والمنتهى بين ابراهيم (ع) وقومه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقومه
٥٢	إبليس يخترع طريقة إلقاء الخليل في النار لحيرتهم في ذلك
٥٣	ثمرات العقيدة والنجدة من الله بخارق العادة
٥٤	لوط ونتيجة إيمانه
٥٥	عذاب الاستئصال نتيجة الاصرار
٥٧	تدمير قوم لوط بلون شنيع لشناعة ذنوبهم
٥٨	مكيدة دقيقة لابليس في إغواء قوم لوط على لسان الباقر (ع)
٥٩	هجرة ابراهيم (ع)
٦٠	القصة وفيها غيرته (ع) وما لاقى

الصحيفة	الموضوع
	في طريقه من ملك القبط
٦١	غيرة جبرئيل تثبت لورقة بن نوفل نبوة محمد (ص)
٦٢	الوفد من الله تعالى بحمل البشارة لابراهيم (ع)
٦٤	اسباب خوف ابراهيم (ع) من الرسل
٦٥	تعجب سارة بالبشارة ومعناه
٦٦	ابراهيم يجادل الرسل ومعنى ذلك
٦٧	المدحة من الله تعالى لخليله لدفع الشبهة عنه (ع)
٦٨	العودة على ابراهيم بأشد الامتحان
٦٩	تصميم إبراهيم على ذبح ولده واستسلام الولد لربه
٧٠	تشخيص الذبيح من هو
٧١	تعميم ملاك الاحسان
٧٢	إيضاح القصة
٧٣	إبليس يتابع ابراهيم وسارة مع رسوخهما في الايمان
٧٥	اخذ العبرة من القصة
٧٧	معنى قوله (ع) : رب ارني كيف تحيي الموتى

الصحيفة	الموضوع
٧٨	إجابة الجليل دعوة الخليل
٧٩	الفلسفة في تخصيص الطاووس والنسر والبط والديك بالذبح
٨٠	معجزة للصادق (ع) تفوق معجزة ابيه ابراهيم (ع)
٨٤	بدء الخليقة وابو البشر في تكوينه وعبث الشيطان فيه
٧٦	إبليس من الجن او من الملائكة
٨٧	الكشف عن امر غامض يخص محمداً (ص) واهل بيته (ع)
٨٨	إبليس يطالب ربه بعدله عوضاً عن عبادته
٨٩	انتصار آدم لذريته
٩٠	إبليس يخترع القياس والعلم يفضح الجهل
٩١	العلم مودوع عند اهله وهو رصيد الحاجة
٩٤	احكام الشرع بالنص تبطل الأخذ بالقياس
٩٥	اهل البيت (ع) يعالجون امراض النفوس بوصفاتهم الروحية

الصحيفة	الموضوع
٩٧	تشخيص الداء وتعيين الدواء
٩٨	إجماع الأطباء تبعاً لمرشدهم الأعلى على تشخيص الداء والدواء
٩٩	آدم والجنة
١٠٠	إبليس في التعقيب وحيلته في النجاح
١٠٢	المرض المكروبي يسبب العزل لصاحبه من طريق الفلسفة
١٠٣	سراديب مهبط آدم من الجنة إلى دار العناء
١٠٤	اكتشاف سر الله تعالى في محمد (ص) وآله (ع) من القرآن العظيم
١٠٧	يونس ذو النون وقصته
١٠٩	الالتجاء إلى الله في بطن الحوت والاعتراف بالذنب
١١٠	ثمرات الخلوص والكشف عن سر الاجابة
١١٢	الرجوع لذوي الفن مصحوب النجاح
١١٤	ايوب في صبره عند محنته
١١٧	ايوب في معركته مع إبليس لعنه الله
١١٨	انفاس ايوب في رحمة ربه .
١١٩	ايوب في اخلاصه وتنفيذ عهده لربه
١٢٠	الثمرات الفياضة لقصة ايوب واخذ العبرة منها
١٢١	داود (ع) في قوته ومعنى إعطائه فصل الخطاب
١٢٥	تحكيم داود يعطينا نظرة عما نحن فيه
١٢٧	علي (ع) يوصي الأمة كوصية الله تعالى لداود
١٣٠	النفس الشريرة تحاول النهوض
١٣١	إسعافات الباري لداود في إخماد طغيان النفس
١٣٤	الله تعالى يتجر لصاحبة الغزل
١٣٥	الزبور يعظ بني إسرائيل في سوره
١٣٦	السورة السابعة عشر من الزبور
١٣٧	السورة الثالثة والعشرين من الزبور
١٣٨	ما في السورة السادسة والأربعين
١٣٩	داود (ع) يشيد بيت المقدس
١٤٠	انتقال داود لدار البقاء على مكانته
١٤١	إرادة الله في تشييد بيت المقدس تظهرها الحادثات
١٤٢	ألطاف الله تقع في محلها القابل
١٤٤	ذووا اللب في إمكانياتهم

الصحيفة	الموضوع
١٤٦	الريح تحمل البساط ومن عليه
١٤٧	سليمان والنملة
١٤٨	سليمان والحوت
١٤٩	سليمان يعرف منطق الطير
١٥١	اندحار ابي حنيفة
١٥٤	يوم لسليمان اوله بضد آخره
١٥٦	دفع شبهة البخل والاحتكار عنه (ع)
١٥٧	يحكم سليمان طبق الواقع في الحرث
١٥٨	فتنة سليمان امتحان له ولطف به
١٦٠	لكل بداية نهاية
١٦٢	سليمان في آخر نفس من حياته
١٦٣	الحسين (ع) في آخر لحظة من حياته
١٦٤	لقمان في حكمته ونزول القرآن فيه
١٦٦	بالامكان لكل إنسان ان يكون لقمان
١٦٧	الشكر يثمر لصاحبه وللنظام العام
١٦٩	شكر الوالدين عديل شكر الخالق تعالى
١٧٠	وصية لقمان لابنه ومواعظه
١٧٢	لقمان حكيم من بدئه
١٧٧	فضل قراءة سورة لقمان
١٧٨	اختيار الله تعالى موسى (ع) مبلغاً
١٧٩	القصة في بعثته

الصحيفة	الموضوع
١٨٠	التوحيد هو الأساس الرصين
١٨٢	العجب يؤل بصاحبه الى النزول
١٨٣	الايمان الكامل يسدد صاحبه
١٨٥	التقاء موسى (ع) بالخضر
١٨٦	قيمة العلم عند اهله
١٨٧	انتقاد موسى (ع) للخضر في افعاله
١٨٩	كشف الخضر عن اسرار افعاله
١٩١	سر يتولد من سر
١٩٢	مقارنة بين امير المؤمنين (ع) والخضر
١٩٣	نشأة الخضر
١٩٥	الخضر في حياته وبعض احواله
١٩٨	وصية الله تعالى لموسى (ع)
١٩٩	نصائح من عدو لدود
٢٠١	حكمة الله تعالى في عباده
٢٠٢	موسى (ع) يدافع ملك الموت
٢٠٣	الخلافة في دورها الامتحاني
٢٠٤	تشبيه علي (ع) بيوشع معكوس
٢٠٥	كشف عن غامض من مخلوقه تعالى
٢٠٦	آثار الانقطاع اليه تعالى
٢٠٧	نتيجة التمرد والطغيان في قارون
٢١١	الغرور الأخير لقارون

الصحيفة	الموضوع
٢١٢	الانتقام الحتمي من قارون وسببه
٢١٣	إبليس في معركته الأخيرة معهم
٢١٤	معنى قوله تعالى : يضل من يشاء ويهدي من يشاء
٢١٥	احوال عيسى (ع) وحمله وولادته وعمره
٢١٦	التجاء مريم إلى ربها
٢١٧	اول كلمة لعيسى (ع)
٢١٨	فلسفة تخصيص معاجزه بالابراء والأحياء
٢٢٠	عيسى (ع) يحلل الدنيا تحليلا ضافياً
٢٢١	المراد من قوله تعالى : من أحيى نفساً الاحياء الروحي
٢٢٢	معاجز عيسى (ع) في زهده والناس منها على طرفي نقيض
٢٢٣	الجاهل يقتله الذهب والعاقل يقتل الذهب
٢٢٥	مواعظ عيسى (ع)
٢٢٨	علي (ع) يوضح قول الناقوس
٢٢٩	ارتفاع عيسى (ع) إلى السماء
٢٣١	إبليس يطمع حتى بالأنبياء

الصحيفة	الموضوع
٢٣٢	العجب من اسلحة الشيطان الخفية
٢٣٣	الطاف الله لأنبيائه وفق العدل
٢٣٤	في الدفع عما يوهم نقصهم (ع)
٢٣٥	النجاة من هذه الورطة
٢٣٧	التحذير المشفع بالتهديد
٢٣٨	العقد الثاني في العبادة وفيه فصول الفصل الأول في الصلاة
٢٣٩	فلسفة تشريع الصلاة
٢٤٠	الصلاة تتضمن وعداً ووعيداً
٢٤١	فوائد الصلاة عاجلا وآجلا
٢٤٢	معنى قوله تعالى : إن الصلاة تنهى عن الفحشاء ... الخ
٢٤٣	الشيطان يخاف من الانسان
٢٤٤	مسابقة الطامعين في الصلاة
٢٤٧	اقوال النبي (ص) في آداب الصلاة
٢٤٨	العلاج لقطع الوساوس فيها والأمثلة
٢٤٩	مكاسب الصلاة وفضلها
٢٥٠	الصلاة يعالج بها سواد آدم
٢٥١	الاعتبار لذوي اللب والأفكار
٢٥٢	الأسرار الدفينه في الصلاة
٢٥٣	اسرار الوضوء وإضافة القلب إلى اعضائه

الصحيفة	الموضوع
٢٥٤	تفصيل الرموز الخفية في اجزاء الصلاة وشرائطها
٢٥٦	اسرار فاتحة الكتاب
٢٦١	عظمة السجود وفزع إبليس منه إلى سلاحه النهائي
٢٦٢	البغية تقهر إبليس بتوبتها
٢٦٤	اساس سجدة السجدة في الاسلام
٢٦٥	الفلسفة في حديث بني الاسلام على اربع
٢٦٧	فوائد المبادرة إلى الصلاة في اول وقتها
٢٦٨	الصلاة جماعة لا يحصى ثوابها
٢٦٩	الصدقة بما في الأرض لا تساوي تكبيرة الاحرام جماعة
٢٧٠	ملك ذو عيون كثيرة يعجز عن عد ثواب صلاة الجماعة
٢٧١	النبي (ص) لا يترك صلاة الجماعة حتى في الحرب
٢٧٥	الصلاة تكسح الذنوب
٢٧٦	شفقة الصادق (ع) على المؤمنين
٢٧٧	علي (ع) يمتحن الناس في ارجى آية

الصحيفة	الموضوع
٢٧٨	لقمان يقارن بين الدرة والموعظة
٢٨٠	اول خطبة للنبي (ص) في المدينة
٢٨١	النداء في القرآن بصلاة الجمعة وسبب النزول ومعنى الآية واسرار السورة
٢٨٣	تبديل عثمان سيرة رسول الله (ص)
٢٨٤	فضل الجمعة وعتق من مات فيها
٢٨٧	السر الغامض لآيات سورة الجمعة
٢٨٨	بشائر عديدة للشيعة وفيها رواية الاختصاص المتضمنة فهل سررتك مراراً
٢٩٢	البشائر تتوالى
٣٩٣	حكمة الالزام بحب اهل البيت (ع) بآية القربى وسبب نزولها وتفسيرها
٢٩٥	التأييدات الطبيعية
٣٠١	آية ام يحسدون الناس . . . الخ ، سرها اهل البيت
٣٠٢	نتائج تصفية النفس الاخبار بالمغيبات
٣٠٥	معجزة للكاظم (ع)
٣٠٦	معجزة باهرة وكرامة نادرة للجواد
٣٠٨	كرامة للصادق (ع)
٣٠٩	الذخائر الثمينة في الأوعية الحصينة

الصحيفة	الموضوع
٣١٣	حكميات الصادق (ع)
٣١٤	جواهر الكلام تراثهم للأنام
٣١٦	وصية الصادق عليه السلام لولده موسى عليه السلام
٣١٧	من حكم الحسن عليه السلام
٣١٨	من حكم الحسين عليه السلام
٣١٩	من حكم علي بن الحسين عليه السلام
٣٢١	المخلفات الروحية
٣٢٣	من العترة النبوية حكم الكاظم عليه السلام
٣٢٥	التراث الجميل من معدنه الأصيل للرضا عليه السلام
٣٢٦	من حكم الامام الجواد عليه السلام
٣٢٧	من حكم الامام الهادي عليه السلام
٣٣١	كلمتنا الأخيرة في حقهم (ع)
٣٣٢	المقارنة بين الصلاة وحبهم (ع)
٣٣٣	الولاية الكبرى لأمير المؤمنين عليه السلام وتفاصيل يوم الغدير
٣٣٤	نصوص خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير والفلسفة في نصب علي عليه السلام
٣٣٦	تتويجه عليه السلام بعمامته صلى الله عليه وآله السحاب
٣٣٨	الأعمال في يوم الغدير وانه عيد
٣٣٩	تطبيق آية وماصاحبكم بمجنون الخ
٣٤١	في دلائل إمامة امير المؤمنين عليه السلام
٣٤٤	تشبث المخالفين وردهم
٣٤٥	علي عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه وآله وتفسير آية المباهلة وسبب النزول
٣٤٨	الفصل الثاني في الصوم
٣٥٠	القرآن الكريم يشير إلى فلسفة الصوم
٣٥٥	آثار الصوم
٣٥٨	التهديد لتارك صومه
٣٦٦	إيضاح في رد شبهة
٣٦٨	الدعاء عبادة في حد ذاته
٣٧٣	الدعاء للمؤمنين واستثمار الداعي له
٣٧٤	في صفة المؤمن وكرامته على الله تعالى
٣٧٩	فضل زيارة المؤمن
٣٨٤	في فضل قراءة سورة القدر
٣٨٥	الكلام في ليلة القدر

تم بعون الله تعالى الجزء الأول من كتاب الآيات الساطعة

ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى

Library of

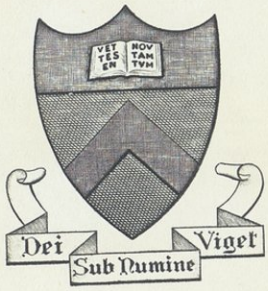

Princeton University.

Princeton University Library
32101 072238247